دروس المساء بين المغرب والعشاء

فى

التفسير والحديث والفقه والسيرة والأخلاق

إعداد وتأليف

فضيلة الشيخ

عاشور محمود متولى أيوب

إمام وخطيب ومدرس

مسجد سيدى على المحلى بمدينة رشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الكتاب

يقول أفقر العباد إلى رحمة ربه الغفور أبو محمد/ عاشور بن محمود بن أيوب .

الحمد لله المحيط بخفيات الغيوب المطلع على سرائر القلوب المختص بإرادته كل محبوب وموهوب المتعالى بجلال صمديته عن مشابهة كل مربوب بارئ النسم وخالق الأمم ومجرى القلم فى القدم بما هو أعلم بقدرته على وفق مشيئته أعطى ومنع وخفض ورفع وضر ونفع ، فلا مشارك له فى إنعامه وألوهيته ولا معاند له فى أحكامه وربوبيته ولا منازع له فى إبراماته وأقضيته ، وألزم عباده المؤمنين بالوفاء بالعقود وأمرهم فى كتابه وعلى لسان نبيه سيدنا ومولانا محمد ﷺ بحفظ المواثيق والعهود ومدح نفسه وكثيرا من خواصه بالوفاء بالوعد ، ووصف بضد ذلك إبليس اللعين ومن وافقه من ذوى البعد والطرد ، واستخلص العلماء بعنايته وجميل لطفه من غياهب الجهالات وجعلهم أمناء على خلقه ، يقومون بحفظ شريعته حتى يؤدوا الخلق تلك الأمانات فهم مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء ليستغفر لهم كل شىء حتى الحيتان فى البحر ويحبهم أهل السماء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد له شهادة أستفتح بمددها أبواب الجنان .

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا ﷺ عبده ورسوله وخليله وحبيبه قطب دائرة الأنبياء والمرسلين وطراز عصابة أهل الله المقربين ﷺ وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه ، صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين . أما بعد :

فيا أيها الأحباب : إلى حضراتكم الجزء الأول من كتاب نفحات من بيوت الله من خلال دروس المساء وقد تضمن مجموعة من الدروس المسائية وقصدت من وراء هذا الكتاب أن يكون زادا للخاصة والعامة وذلك لما يلى :

أولاً : لما كانت الأسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع بدأت الدروس بالحديث عنها لتعرف الأسرة ما لها وما عليها فى ضوء الكتاب والسنة وفقه السادة الأئمة من أول الخطبة إلى ما شاء الله ، وأرجو أن تجد الأسرة المسلمة بُغيتها من خلال ما قدمناه من حديث والله من وراء القصد .

ثانيا : من المعلوم أن القرآن الكريم هو الزاد العظيم لمن أراد خيرى الدنيا والآخرة ، ولاشك أن كل مؤمن صادق يحب أن يصافح كتاب الله عزوجل ومن ثم فإنه يَرُوق له أن يعرف بعض معانى الكلمات القرآنية بل ربما أراد التبحر فهم ما يقرأ لذا

جعلنا الدرس الثانى فى تفسير القرآن الكريم حتى يهنأ أحباب القرآن لمدارسة ما تيسر من آى الذكر الحكيم ولا سيما من خلال هذه الدروس التفسيرية الموجودة فى هذا الكتاب المتواضع .

وقد ذكرنا فضل قارئ القرآن فلينظر القارئ الكريم وأرجو أن نكون عند حسن ظنه .

ثالثا: وإذا كان الكتاب العزيز هو الغذاء الروحى الأول فإن السنة النبوية هى بيان القرآن سرّ قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [١] من ثم فإن السنة هى الغذاء الثانى للأرواح ومن المعلوم أن بعض الأحباب يجب مطالعة حديث البشير النذيرليرتوى من كلام الصادق الأمين سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، ومن المعلوم أيضا أن قراءة متن الحديث فقط لا تكفى فقد يتوقف القارئ عند معنى الحديث . ومن هنا فإن الشيطان قد يُلبس عليه المعانى التى تتنافى مع المعانى الصحيحة لفهم الحديث . لذا حرصت أن يكون هناك مشرب طهورا مدرارا ومن سنة البشير النذير فقمنا بإلقاء الضوء حول مجموعة من الأحاديث النبوية وسيجد المسلم تلك البغية فى الدرس الثالث من هذا الكتاب .

رابعا: من المعلوم أن الخير كل الخير فى التفقه فى أمور الدين وهذا ما نطق به أصدق لسان إذ يقول صلوات ربى وسلامه عليه : **«من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين»**[٢] . ولا يخفى على ذوى البصائر أن دروس الفقه قلت فى زماننا ولا أكون مبالغا إن قلت بأن تدريس الفقه صار فى ندرته كالكبريت الأحمر ، ولست بذلك بمُتجَنٍ على أحد وأحوال الناس فى المساجد شاهد على ذلك ، فلا أنسى مقولة هذا الرجل كبير السن والذى جاوز السبعين والذى قال لى : والله ما عرفنا كيف نغتسل من الجنابة إلا بشرحك لنا من خلال الدروس فإننا أدركنا العلماء وهم لا يدرسون لنا إلا القصص وأمثال هذا الرجل بكثرة فإنا لله وإنا إليه راجعون . حتى الذين يدرسون الفقه يعتمدون فى تدريسهم له على كتب ألفت من أجل أشخاص وأغراض ومن أهم أغراضها نبذ فقه الأئمة الأربعة وإقناع الناس بأنه هو الفقه المبتدع ، وأن ما ألفوه هو فقه السنة وما سواه بدعة فى هذه الكتب طامَّات تقشعر منها الجلود فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ومن خلال مقدمة هذا الكتاب أهيب بالدعاة الهداة أن يعيشوا مع كتب التراث ومنها ما درسوه فى المعاهد الأزهرية والحمد لله المراجع الفقهية ميسرة ومتاحة لمن أراد أن يقتنيها ليقرأها .

---

(١) سورة القيامة الآية / ١٩ .

(٢) رواه البخارى .

إخوتى الكرام إن أسلافنا كانوا قمماً شامخة لذا كان علينا أن نفهم كتبهم ونقربها للناس بروح العصر . أحبابى تلك همسة أرجو أن تجد طريقها للتطبيق . ولما كان الفقه له من الأهمية ما له وهو قليل التدريس فى دنيا الناس جعلنا الدرس الرابع متضمنا لهذا المقصد راجين من الله عزوجل أن ينتفع به سامعيه وقارئيه وأن يفقهنا فى ديننا نحظى بتلك الخيرية التى وعد بها المصطفى ﷺ فى الحديث سالف الذكر .

خامسا: من المعلوم أن الصغار والشباب قد قلت بضاعتهم العلمية والثقافية عن سيرة سيد الوجود بيد أنهم قد تعلقوا بالثقافة وكثرة البحث عن سير أناس آخرين كالفنانين والفنانات والممثلين والممثلات وأبطال كرة القدم ، وإن سألتهم عن واحد من هؤلاء لرأيت الفيوضات الشيطانية وفى نفس الوقت لو سألتهم عن سيرة المصطفى وآله وأصحابه والأئمة الهداة فلسوف تجد الصمت السمين والجهل العريض ، من أجل ذلك كان اهتمامنا فى الدرس الخامس بتدريس السيرة العطرة راجياً من الله أن ينفعنا بها وبالدروس المستفادة منها وهذه الخطة لتلك الدروس قد وضعناها لتكون موافقة لخطة وزارة الأوقاف والتى جعلت الأحد تفسير والاثنين حديثا والثلاثاء فقها والأربعاء فى السيرة والأخلاق وقد جعلنا درس الراحة وهو يوم السبت فى أحكام الأسرة والأحوال الشخصية أما بعد: هذا هو جهد المقل وعمل المتواضع رجونا به رضوان الحق تبارك وتعالى وفى نفس الوقت نزلنا على رغبة إخواننا الذين طلبوا بإلحاح تدوين تلك الدروس فأردنا تحقيق تلك الرغبة المحكمة كما حققناها فى الجزء الأول من الخطب .

إخوانى فى الله وأحبابى فى سيدى رسول الله ﷺ: ومما لاشك فيه أن من لم يشكر الناس لم يشكر الله فلا يفوتنى بالأصالة عن نفسى وعن كل مؤمن أن أشكر تلميذى الداعية المخلص فضيلة الشيخ / عبده حسن عرب إمام وخطيب ومدرس مسجد الرحمة بمنشأة علوان / مركز رشيد / محافظة البحيرة فهو صاحب الفضل بعد الله فى كتابة تلك الدروس وأسأل الله عزوجل أن يجزه خير الجزاء فقد لاقى العناء وجاء مشكورا بحب صادق من أجل تقديم عمل أسأل الله عزوجل أن يجعله ابتغاء وجهه سبحانه وتعالى كما نسأله سبحانه أن يجزى كل من عاوننا فى إخراجه إلى النور خير الجزاء . والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الفقير/أبو على
عاشور محمود أيوب

إهـــداء

أهدى هذا الكتاب إلى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ إمام الدعاة الدعاة ، وخير قدوة لمن أراد الاقتداء ، وخير هدى لمن أراد الاهتداء . ثم لآل بيته الأطهار ، ثم لصاحبته الأخيار ، والتابعين ، وتابعيهم بإحسان ، والعلماء العالمين ، وإلى كافة الدعاة والهداة .

ثم لوالدى ، ولشيوخى فى المكتب والمعهد والجامعة (وغيرهم) ولمن كان له الفضل فى كتابة هذا المؤلف .

راجيا من الله عزوجل أن يجعله فى سجل حسناتى ، وأن يجعله ابتغاء وجهه الكريم ، بجاه سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أفقر العباد إلى مولاه - الغنى به عمن سواه الفقير إلى رحمة ربه الغفور

عاشور بن محمود بن متولى بن يوسف بن أيوب

نسبا - المالكى مذهبا - المحمدى مسلكا ومشربا (عفا الله عنه)

* * * * * * * * *

المقدمـــة

الحمد لله الذى فقَّه فى الدين من أراد به خيرا ، وأولاه مثوبة وأجرا ، وأعظم له عنده محلا وقدرا ، وأجمل عليه الثناء ، وجعله أهلا للاهتداء به والاقتداء ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أشرف الخلائق ، ومنبع الحقائق ، وأفضل من أوضح الحق وبين الطرائق ، المجتبى من آل ابن عدنان ، المبعوث بالدين الحنيف السميح دين الإيمان ، المؤيد بواضح الحجة وساطع البرهان ، وعلى آله المطهرين من الأرجاس والأدران ، أهل العلوم اللّدنية ، ومعادن العلوم الكسبية والوهبية ، وأصحابه الأئمة الأعلام ، والملجأ للخاص والعام ، أهل الفضل والدفع عن حوزة الدين بالكفاح والطعان ، ومن تبعهم فى نهجهم وسيرتهم إلى يوم القيام ، صلاة وسلاما يتعاقبان ما تعاقب الملوان والجديدان ، ويكون بفضل الله سببا لرقينا مراقى الإخلاص ونيلنا غاية الاختصاص .

وبعـد ،

فيا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ أُهدى إلى حضراتكم هذه المجموعة الأولى من دروس المساء بين المغرب والعشاء والتى منَّ الله بها علىَّ ألقيتها فى مسجد العارف بالله سيدى على المحلى بمدينة رشيد محافظة البحيرة ، وقد حرصت أن يعم نفعها الكافة إخواننا الدعاة الهداة من الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف خاصة ، ولكل المؤمنين والمؤمنات عامة ، وتلك هى رغبة أصدقائى وأحبابى من الدعاة وغيرهم .

وهذه الدروس حرصت كل الحرص أن تكون معالجة لأمراض مجتمعنا فى هذا الوقت الراهن خصوصا لأن السوق قد امتلأت بالأشرطة والكتب التى تقدم بها غير أهل الاختصاص فأدلوا بدلوهم بغير وجه حق ، وأصبح الناس فى حيرة من أمرهم أمام عواصف وتيارات فكرية قد هَدَمَتْ وما بَنت ، بلبلت الأفكار ، وشتت الشمل ، وسمَّمت العقول ، ولابد أن يكون ذلك كذلك لأن الغرض دنيوى وَحُبًا للظهور أعاذنا الله من ذلك .

ومن ثم فقد جعلت تلك الدروس مصنفة على النحو التالى:

يوم السبت: كان للأحوال الشخصية وأحكام الأسرة فى ضوء الكتاب والسنة وفقه السادة الأئمة .

يوم الأحد: فى تفسير القرآن المجيد .

يوم الاثنين: فى الحديث النبوى الشريف .

يوم الثلاثاء: فى الفقه الإسلامى - وابتدأنا بالعبادات .

يوم الأربعاء: فى السيرة والأخلاق .

وبذلك يكون هذا الترتيب موافقا للترتيب الذى وضعته وزارة الأوقاف للسادة الأئمة . ومن خلال تلك الدروس الخمس لم نترك شاردة ولا واردة إلا بيّناها بفضل الله عز وجل . وقد حرص شبابنا خاصة والمصلين عامة على متابعة تلك الدروس فى هذا المسجد المبارك ، ومن ثمَّ كانت الرغبة الملحة على تدوينها وإخراجها إلى النور ليعم بها النفع حيث أن هذه الدروس قد اعتمدت على الدليل الساطع من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة إلى جانب اعتمادنا على أمهات الكتاب فى كل درس قصدناه حتى يعلم الداعية خاصة والقارئ الكريم بصفة عامة من أين يأخذ . وكل ذلك بفضل الله عز وجل ، ولا أدعى لنفسى شيئا ولا أدنى فضل ، إن أنا إلا مُبلِّغ رسالة حُمِّلت أمانتها من الله ورسوله ثم من مشايخى رضى الله عنهم أجمعين راجيا من كل قارئ التماس الأعذار كلما قابله خطأ فكل كلام يؤخذ منه ويرد إلا كلام مولانا رسول الله ﷺ ، وحسبى أنى حاولت تقديم هذا العمل المتواضع لخدمة دينى وإخوانى .

وفى النهاية: أضرع إلى المولى عز وجل أن يغفر لى الزلات والهفوات وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم إنه ولىُّ ذلك والقادر عليه ، والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أفقر العباد إلى مولاه الغفور

أبو على / عاشور بن محمود بن متولى بن يوسف بن أيوب

الأزهرى المالكى

الدرس الأول درس "السبت"

فى الأحوال الشخصية وأحكام الأسرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة ونورا وهداية للخلق أجمعين ، سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته وسلك مسلكه القويم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أحباب الله ورسوله فى هذه الليلة من مساء يوم السبت نعيش فى درسنا هذا فى رحاب أحكام الأسرة حتى نكون على بصيرة ووعى فى أمور ديننا ودنيانا وحتى نستطيع أن ننشئ أسرة إسلامية قوامها المحبة والمودة والرحمة ، وقبيل أن نتكلم عن أحكام الأسرة أرى لزاما على أن نذكر النصوص القرآنية والنصوص النبوية والتى ترغب فى الزواج وتحث عليه .

فالقرآن الكريم قد حفل بنصوص حثت على التزوج ، وكذلك سنة مولانا رسول الله ﷺ ، فعلى بركة الله نعيش فى رحاب الكتاب والسنة حول هذا البناء الطيب ، ولبنة الأسرة وقوامها ، وهو الزواج فصلوا جميعا على الحبيب المصطفى تفلحوا فتعالوا بنا أولا إلى القرآن الكريم وهو يبين لنا عظمة الزواج .

فيقول سبحانه : ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [١] ، ويقول تباركت أسماؤه : ﴿ **فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [٢] ، وقال تعالى فى وصف الرسل ومدحهم : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** ﴾ [٣] ، وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ**

---

(١) النور : ٣٢ .

(٢) البقرة : ٢٣٢ .

(٣) الرعد : ٣٨ .

إِمَامًا ﴾ [١] ، ويقول جل شأنه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢] .

هذا بالنسبة لبعض ما جاء فى الكتاب الخالد أبد الدهر ، ثم تعالوا بنا إلى سنة المعصوم صلوات ربى وسلامه عليه وهى أيضا حافلة بالعديد من الأحاديث الشريفة التى ترغب فى الزواج ، وبينت صفة الزوجين فى الإسلام .

أيها المؤمنون الأحبة أسمعونى توحيد الواحد فقولوا : لا إله إلا الله .

فعن سيدنا عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» [٣] والمراد بالباءة يا أحباب الحبيب المصطفى : الاستطاعة المالية والجسمانية فمن قدر على الزواج حسيا واجتماعيا فإن عليه أن يسارع إلى الزواج لأنه من سنة سيد الأنام ﷺ .

وما زلنا مع الحبيب النبى ﷺ وبصحبة سنته المطهرة .

فعن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «**من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر**» [٤] وعن أبى أيوب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**أربع من سنن المرسلين : الحناء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح**» وقال بعض الرواة الحياء : بالياء [٥] ، وعن سيدنا عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول ﷺ قال : «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**» [٦] ، وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه كان يقول : «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته**

---

(١) الفرقان : ٧٤ .

(٢) الروم : ٢١ .

(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ لهما وأبو داود والترمذى والنسائى .

(٤) رواه ابن ماجة .

(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

(٦) رواه مسلم والنسائى وابن ماجة ولفظه قال : "إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شىء أفضل من المرأة الصالحة" .

وإن غاب نصحته فى نفسها وماله»[١] ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة ، قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا ، وبدنا على البلاء صابرا ، وزوجة لا تبغيه حوبا فى نفسها وماله»[٢] ، وعن ثوبان رضى الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ [التوبة: ٣٤] كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره ، فقال بعض أصحابه: " أنزلت فى الذهب والفضة لو علمنا أى المال خير فنتخذه ؟ " فقال: «أفضله: لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه»[٣] ، وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جده رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم ثلاثة ، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة ، من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح ، ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء ، والمسكن السوء ، والمركب السوء»[٤] ، وعن سيدنا أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله فى الشطر الباقى»[٥] ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد فى سبيل الله ، والمكاتب الذى يريد الأداء ، والناكح الذى يريد العفاف»[٦] وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٧] وروى عن سيدنا أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذُلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ، ويحصن فرجه ، ويصل رحمه ، بارك الله له فيها وبارك لها فيه»[٨] .

---

(١) رواه ابن ماجة عن على بن يزيد عن القاسم عنه .

(٢) رواه الطبرانى فى معجميه الكبير والأوسط وإسناد أحدهما جيد .

(٣) رواه ابن ماجه والترمذى وقال: حديث حسن .

(٤) رواه أحمد بإسناد صحيح والطبرانى والبزار .

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم .

(٦) رواه الترمذى واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم .

(٧) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

(٨) رواه الطبرانى فى الأوسط .

أيها الأحباب تلكم هى طائفة من أحاديث سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا ومولانا محمد ﷺ لعلنا نتعلم منها كيف نختار شريك الحياة وشريكة الحياة .

والآن تعالوا بنا لنعيش مع أول دروس أحكام الأسرة لنستنير ونسعد بضيائها وأوصى نفسى وأوصيكم بتقوى الله والسير على ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حتى نكون من السعداء فى الدنيا والآخرة .

أيها المؤمنون الأحبة صلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا ، ثم تعالوا بنا لنعيش مع أحكام الأسرة لنعلم من خلالها ما لنا وما علينا .

• وفى بداية الحديث أرى لزاماً علىَّ أن أتكلم عن صفة الزوجة كما بين لنا ذلك حجة الإسلام الإمام الغزالى رضى الله عنه إذ يقول عليه من الله الرضوان : -

[الخصال الطيبة للعيش لابد من مراعاتها فى المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده ثمانية : الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وألا تكون قرابة قريبة] . ثم فصَّل ذلك قائلا :

الأولى: أن تكون صالحة ذات دين فإنها إن كانت ضعيفة فى الدين ضعفت فى صيانة نفسها وفرجها ، وأزرت بزوجها ، وسودت بين الناس وجهه ، وشوشت بالغيرة قلبه ، ونغصت بذلك عيشه ، وقد جاء فى الحديث الشريف : «**من نكح امرأة لمالها وجمالها حُرم جمالها ومالها ومن نكح لدينها رزقه الله مالها وجمالها**» [1] .

الثانية: حسن الخلق ، وذلك أصل مهم فى طلب الراحة والاستعانة على الدين فإنها إذا كانت سليطة اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء .

قال بعض العرب : [لا تنكحوا من النساء ستا لا أنانة ، ولا حنانة ، ولا منانة ولا تنكحوا حداقة ، ولا براقة ، ولا شداقة] .

والآن : أحد الجالسين يسأل فيقول : وما معنى هذه الخصال الست ؟ حسنا

---

(١) رواه الطبراني فى الأوسط .

فالأنانة هى : التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة .

والمنانة هى : هى التى تمن على زوجها فتقول لـه فعلت لأجلك كذا وكذا .

والحنانة هى : التى تحن لزوج كان لها .

والحداقة هى : التى ترمى إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه .

والبراقة هى : تحتمل معنيين أحدهما : أن تظل طول النهار تشغل بتجميل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع ، والثانى : أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها .

والشداقة هى : المتشدقة كثيرة الكلام .

نسأل الله أن يُجنبنا هؤلاء بمنه وكرمه [إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد] .

أيها المؤمنون الأحبة ثم نمضى مع

الخصلة الثالثة : وهى حُسْنُ الوجه ، فذلك مطلوب لأنه يحصل به التحصن والطبع لا يكتفى بالدميمة غالبا ، وما روى أن المرأة لا تنجح لجمالها ليس زجرا عن طلب الجمال بل هو زجر عنه النكاح لأجل الجمال فقط مع فساد الدين .

الخصلة الرابعة : هى أن تكون خفيفة المهر ، فقد قال النبى ﷺ : «**خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا**» [1] . فقد نهى النبى ﷺ عن المغالاة فى المهور ومن ثم فقد تزوج النبى ﷺ بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت ، وهذا الأثاث مُكون من رحى يد وحرة ، ووسادة من أدم حشوها ليف ، وأولم على بعض نسائه بِمُدٍّ من شعير وعلى أخرى بِمُدَّيْنِ من تمر ، ومُدَّيْنِ من سويق .

وفى حديث الرسول ﷺ : «**أكثرهن بركة أقلهن مهورا**» [2] . وكما تكره المغالاة فى المهر من جهة المرأة يكره السؤال عن مالها من جهة الرجل فإنه لا ينبغى أن يكون

---

(١) أخرجه ابن حبان .

(٢) أخرجه أبو داود والبزار .

الزواج من أجل المال .

وفى التنبيه على عدم المغالاة فى المهور روى ابن الأثير أن أبا حدرد الأسلمى جاء إلى النبى ﷺ يستعينه فى مهر امرأة فقال له : كم أمهرتها ؟ قال : مائتى درهم ، قال : لو كنتم تفرقون بطحان - واد بالمدينة - ما زدتم . . . فيا حسرتا على مال المسلمين اليوم فكأنى بهم يضربون بسنة رسول الله ﷺ عرض الحائط ، ويفضلون السير وراء الناس ، فكثيرا ما نسمع عن رجل خطبت ابنته وإذا به يعمل على تعسير زواج ابنته فيكلف الشاب ما لا يطيق ، فضلا عما يسمع من أم خطيبته ، لابد من المواسم والأعياد ، ولابد أن يكون أعلى وأحسن من خُطّاب بنات جيرانها ، فنحن نجد أم الفتاة كلما ذهب خطيب ابنتها قالت له بلسان يدعى العفة - وإنها والله لعفة كاذبة - يا محمد : إن محمودا خطيب فلانة بنت فلان (جارنا) أتى إلى خطيبته بغسالة قدرها كذا ، أو بتليفزيون مُلون ، ولست أقول لك ذلك من أجل أننى أريد منك شيئا كلا ، فوالله يكفينى أن تدخل على ابنتى بمفردك . ولابد هنا للحرية الشباب أن تأخذ مجراها ، ووصفها الحقيقى ، فإنه من ساعة أن سمع كلام أم خطيبته والدم يغلى فى عروقه ، وهل محمود هذا أفضل منه ؟ ماذا يفعل ؟ إنه يعمل موظفا بأحد البنوك أو بمجلس المدينة وغير ذلك من الوظائف ذات الدخل المحدود فلابد أن تمتد يده إلى السرقة وبأى صفة .

يا أحباب الله ورسوله : إن الآلاف المؤلفة التى تدفع مهرا ، وكذا الحجرات التى تطلب من الزوج إنها لخراب بعينه ، فهيا بنا ننظر إلى نساء عصر النبوة والأمثلة منهن كثيرة : فهذه هى امرأة من بنى فزارة تتزوج على نعل ، وهذه أخرى تتزوج على مهر وقدره سبعة آلاف جنيه ، أتعلم ما حقيقة هذا القدر الذى أعنيه ، إنها تزوجت على سبع آيات من القرآن ، على سورة الفاتحة .

وإنما ذكرت لكم سبعة آلاف جنيه على سبيل التوبيخ والتعنيف على ما يحدث فى زماننا هذا الذى أصبحنا مولعين فيه بحب المال ، وكأننا لا نزوج البنت إنما نبيع جاموسة أو بقرة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

هذا ما قصدناه وإلا فوالله لنقطة فى سورة الفاتحة خير من الدنيا وما فيها فإن كتاب الله ليس فى الدنيا ما يقدره ولا يقابله .

فصلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا واعتبروا يا أولى الأبصار ويا أصحاب العقول النيرة العامرة بالإيمان .

لماذا يخطب الشاب سنة ثمانين (٨٠) ثم تتم الشبكة سنة ثلاث وثمانين (٨٣) ويتم عقد القران سنة خمس أو سبع وثمانين (٥ أو ٨٧) وفى عام تسعين (٩٠) أو أقل بقليل يتفضلون عليه بالدخول بكريمته رضى الله عنها وأرضاها هى وأسرتها الفاضلة المفضالة .

أتعلمون أيها المؤمنون ماذا حدث أثناء مدة الخطبة إنها المواسم والأعياد وما فيها من هدايا تقسم الظهر فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأقول والله الذى لا إله إلا سواه إن أى جريمة زنا تقع من شاب حاول الزواج فأحيل بينه وبينه إلا وكان الجزاء يوم القيامة على كل من شدَّد وعسَّر أمر الزواج . نعم فإن الزواج فى هذا الزمان جريمة ووباء يقع فيه الشاب ، وهذا ما يجعل البنت تلوف بشاب ، ويجعل الشاب يلوف بشابة ، وربما ضحك عليهما الشيطان فتزوجا بكلمة : "زوجتك نفسى" فيقول : "قبلت" وتظنون أنه زواج كلا إنه الزنا المقَنَّع ومن منا يتحمل ذلك أمام الله؟ رفقا بالشباب والفتيات .

أيها المؤمنون الأحبة ، إننا إذا نظرنا إلى الشاب فى مرحلة خطبته لخطيبته بنت الأصول والأكابر إنما نجده يبحث عن مهره وعن شقته التى تتكون من خمس حجر وإلا كان الزواج باطلا إن هؤلاء لاشك وأنهم درسوا الفقه على مذهب إبليس لعنة الله عليه .

إننا لا نريد أن نقول : نفعل كما يفعل الناس ، بل نقول : نفعل كما فعل رسول الله ﷺ وكما فعل السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

وهناك من العقد الكثير ومن أشدها ما يسمى بالقائمة ومؤخر الصداق وما هى القائمة ؟ إن هى إلا ورقة يكتب فيها أبو الزوجة العاقل صاحب العقل المظلم - يكتب فيها الأطباق والوسادات ، وبقية الأجهزة التى دخلت بها الزوجة ، إنه يعمل على كتابة المراتب والوسادات الأحياء منهم والأموات سبحان الله . . . أجسام كأجسام البغال وأحلام وعقول كأحلام وعقول العصافير ، من أى الجامعات درسوا هذا الفكر المظلم

الضيق الذى إن دل على شىء إنما يدل على الوقاحة والهيافة التى تَصَدَّرْنا فيها ، أيها الإنسان : إنك استأمنته على ابنتك فلذة كبدك فهل هناك عندك أعز منها ، إن من يقومون بكتابة القائمة ويصممون عليها لاشك أنهم بُلْهُ وأصحاب ضحالة عقلية .

وقد يقولون نحن نثق فيه وإنما نكتب هذه حفاظا على مستقبلها .

سبحان الله أنت الذى ستحفظ حقها فالله خير حافظا والله أسأل أن يحفظنا منك ومن أمثالك .

أيها الإنسان ، إذا أردت أن تحفظ حقها كما تدعى فعليك أن تسرع إلى إحضار إيصال أمانة يؤمنك عليها ويجعلك تنام فى قبرك مستريحا قرير العين هذا الإيصال كتب فيه «**إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير**» [1] هذا هو مصدر الأمن والأمان وضمان المستقبل لها وليست القائمة ولا القاعدة .

فاتقوا الله وكُفوا عن هذا الجهل الفاضح وانشدوا الأمن والأمان للبنت عند سيد الناس صلوات ربى وسلامه عليه ، وليس عند الجهلة من الناس ، وليس عند العرف الفاسد .

أيها الوالد العاقل : لو أنك رجل كما تقول لحكّمت عقلك فلو سألتك سؤالا وقلت لك فيه : هل عندك أغلى من ابنتك ؟ لكانت الإجابة (هى قرة عينى) فإنك استأمنت هذا الشاب عليها أفلا تأمنه على عرضك وفلذة كبدك ، ولا تستأمنه على شىء تافه أيها التافه ؟

وما هى القائمة التى كتبت لسيدتنا فاطمة ؟ ونسينا أو تناسينا أن القائمة نية سيئة فهى تنبو بشر وسوء ، وهذا حق فإن هذا الأب العاقل لو سألته لماذا تكتب القائمة؟ لأجاب بلا تردد حتى إذا ما طَلَّقْتَها قمت بإيذائك فى المحاكم إذا نقص شىء فيما كتبت فى القائمة فهل هذا يرضى الله ورسوله .

أما الشؤم الثانى والبدعة المنكرة الأخرى فهى مؤخر الصداق والناس فى الحقيقة

---

(١) رواه أبو داود والنسائى .

لا يفهمون معنى مؤخر صداق .

إن معنى كلمة مؤخر صداق أنهم قدروا على الزوج ألف جنيه فدفع منهم خمسمائة أو أكثر ، وتأخر عنده بقية المبلغ فهل هذا ما يحدث ؟ الحق (لا) إن المهر شىء والمؤخر شىء آخر ، وما هذا الوباء (المؤخر) إلا سيف صنع ليقطع به رقبة الزوج وكأنى بهم يقولون له التزم وإلا التزمنا بشكواك ولو سألت أهل الزوجة : لماذا تكتبون المؤخر ؟ لأجابوا بقولهم: ضمانا لمصلحة وسعادة ابنتنا فربما وقعت فى إنسان شقى .

وهنا أقول : بمقتضى هذا الكلام يجب أن يكون هناك مؤخر للزوج الذى يقع حظه فى زوجة شقية ضمانا لسعادته أم أن للبنت سعادة وليس للزوج سعادة ؟

إن الناس بينهم وبين السنة ثأر كثأر أهل الصعيد فالرسول ﷺ يعظم حق الزوج وهم يعظمون حق الزوجة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فيا أيها الناس : اعلموا أن الفتاة ليست ببقرة تفاصلون فى مهرها وتشترطون مؤخر صداقها حتى يكون ذلك تهديدا للزوج فيتحمل أخطر وأسوأ المساوئ التى تقع من ابنتكم هروبا من هذا الوباء المنابذ للسنة إنه مؤخر الصداق المشهور المشؤوم لتأمين الزوجة المشؤومة .

أيها المؤمنون الأحبة : أظن أنى قد أطلت على حضراتكم ولكنى حرصت كل الحرص أن أتناول فى ليلتى هذه أهم شىء فى حياة الأسرة ألا وهو الزواج الإسلامى السعيد لنعرف ما لنا وما علينا ولنعلم الحق من الباطل والخطأ من الصواب . والحديث موصول معكم وبكم يوم السبت القادم بإذن الله ومشيئته ، جعلنى الله وإياكم من أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله أعلم .

* * * * * * * *

الدرس الثانى درس "الأحد"

فى رحاب تفسير سورة الفاتحة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على من أوتى جوامع الكلم ، وأوتى الحكمة وفصل الخطاب ، سيدنا ومولانا محمد سيد العرب والعجم ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيهم ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب . ثم أما بعد :

فيا أحباب الله ورسوله نعيش اليوم مع القرآن ، كتاب الله الخالد أبد الدهر ، وبالتحديد مع سورة الفاتحة ، حيث ننهل مع معينها ونعيش فى رحاب أنوارها ، لعلنا بفضل الله نكرم ببركتها وبركة كتاب الله العزيز .

يا أحباب الحبيب المصطفى ، كما عودتنا وزارة الأوقاف المصرية أن يكون درس الأحد بين المغرب والعشاء فى التفسير أحببنا أن نفتتح التفسير بفاتحة الكتاب العزيز تيمُّنا بها واقتداء بالكتاب العزيز .

نعم يا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ، تعالوا بنا لنعيش مع القرآن الكريم لعلنا نكون من الماهرين به حتى نحظى بالحديث النبوى القائل : «**إن الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة**» [1] ، وإننا الليلة بمشيئة الله تبارك وتعالى يسعدنا أن نعيش فى رحاب تلك السورة النيِّرة . نعم أيها الأحباب ، ولكن قبيل أن ندخل فى رحاب تفسير السورة الكريمة أستأذن سورة الفاتحة فى وقفة مع القرآن الكريم لنسعد بفوائده التى لا تحصى ولا تعد ، ولنبدأ إن شاء الله تلك الفوائد بفضل القرآن الكريم ، ثم نتبع ذلك بشىء عن نزوله ، وعدد أحرفه ، وكلماته ، وآياته ، وسوره ، حتى تعم الفائدة إن شاء الله رب العالمين فنقول وبالله التوفيق :

وردت أحاديث كثيرة تبين فضل القرآن الكريم ، ولا يمكن لنا أن نذكرها وسنكتفى بذكر قدر منها إن شاء الله تعالى فمن ذلك ما روى عن سيدنا أبى أمامة رضى

---

(١) رواه أبو داود والترمذى ، ورواه البخارى ومسلم بلفظ : "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة" .

الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه**»[١] وعن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[٢] وعن سيدنا عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[٣] ، وعن سيدنا عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»[٤] ، وعن سيدنا أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله أهلين من الناس**» ، قالوا من هم يارسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[٥] ، وعن سيدنا عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: (من أحب القرآن يحبه الله ورسوله ، فيقول: من أحب أن يحبه الله ورسوله فلينظر فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله)[٦] ، وعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»[٧] ، هذا بالنسبة لفضل القرآن الكريم وفضائله . أما بالنسبة لنزوله فاعلموا إخوانى أكرمنا الله بالقرآن أن القرآن العظيم أنزل من اللوح المحفوظ جملة إلى السماء الدنيا فى شهر رمضان فى ليلة القدر فى مكان يقال له: بيت العزة على هذا الترتيب الذى نقرؤه .

إذن فهذا الترتيب توقيفى بأمر من منزل الكتاب العزيز ، ثم كان ينزل مفرقا على لسان جبريل إلى النبى ﷺ مدة رسالته نجوما وبحدوث ما يحدث على ما يشاء الله .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخارى وأبو داود .
(٣) رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح .
(٤) رواه الترمذى وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه .
(٥) رواه النسائى والحاكم فى المستدرك .
(٦) رواه الطبرانى وقال الهيثمى فى المجمع: رجاله ثقات .
(٧) رواه الإمام مسلم .

قال جل شأنه : ﴿ وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (١) .

لكن لا على هذا الترتيب ، وقد نزل القرآن فى ثلاث وعشرين سنة ، ومنه ما نزل بمكة ، ومنه ما نزل بالمدينة ومنه ما نزل مرة بمكة ومرة بالمدينة كسورة الفاتحة وأول ما نزل بمكة سورة العلق وآخر ما نزل بمكة سورة العنكبوت . وأول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ، وآخر ما نزل بالمدينة سورة المائدة ، وقيل سورة النصر وآخر آية نزلت من القرآن الكريم قوله جل شأنه : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (٢) .

أيها المؤمنون : وللقرآن الكريم أسماء كثيرة وكثرة الأسماء تدل على شرف المُسمَّى ومنها : القرآن ، الكتاب ، الذكر ، الفرقان وذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل ، ثم نأتى إلى بيان عدد حروفه وآياته وكلماته وسوره .

أما عن بيان حروفه : فقد قال العلماء إن عدد حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة حرف وواحد سبعون حرفا (٣) .

وأما عن عدد كلماته فيقول الإمام جلال الدين السيوطى رضى الله عنه فى الإتقان : [عدَّ قوم كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعا وثلاثين كلمة ، وقيل : وأربعمائة وسبعا وثلاثين كلمة ، وقيل : ومائتان وسبع وسبعون وقيل غير ذلك] . ثم نأتى بفضل الله تعالى إلى بيان عدد آى الذكر الحكيم حيث يقول حبر الأمة سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : [جميع أى القرآن ستة آلاف آية وستمائة آية وست عشرة آية] .

أما عدد الآيات القرآنية فى المصحف الذى بين أيدينا اليوم فهى : " ستة آلاف آية وستمائة وست وثلاثون آية " بطريقة عد الكوفيين عن أبى عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمى عن على بن أبى طالب على حسب ما ورد فى كتاب (ناظمة الزهر للإمام الشاطبى) .

---

(١) الفرقان (٣٣) .

(٢) البقرة (٢٨١) .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن .

ثم إن عدد سوره (١١٤) سورة .

فليتنا نحفظ أبناءنا وبناتنا ونعلمهم هذه الفوائد القيمة لأن المعرفة به فيها خير كثير لنا ولهم ، وهذه أفضل من معرفتهم باللهو واللعب وما يضر ولا ينفع ، وبعد :

فها نحن نأتى إلى مقصدنا فى هذا الدرس إن شاء الله سائلين المولى عز وجل أن ينفعنا بما سمعنا وبما نسمع ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ (١) ، الاستعاذة مستحبة عند تلاوة القرآن الكريم ، ذلك لأن تالى القرآن الكريم يمر بثلاث مقامات وهى : التخلية ، والتحلية ، والتجلية . فإذا استعاذ بالله من الشيطان الرجيم تخلى عنه الشيطان وتخلت عنه كل الرذائل ومن هنا تفرغ بكليته إلى الله وبذلك يكون كالريشة فى مهب الريح فيصبح منشغلا بذكر مولاه فليس للشيطان عليه سبيل كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ (٢) والرأى المختار لصيغة الاستعاذة هو : [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم] لأن الأمر الإلهى صدر بها كما فى سورة النحل : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ (٣) .

قال العلماء : [أى إذا أردت أن تقرأ القرآن فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم] هكذا أقرأ النبى ﷺ عبدالله بن مسعود رضى الله عنه وقال له : هكذا أقرأنى جبريل عن اللوح المحفوظ عن القلم] .

والحكمة فى الاستعاذة قبل القراءة : أن الله تعالى أنزل القرآن شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة وأنه لن يكون كذلك بالنسبة للتالى إلا إذا استجمع عند التلاوة شوارد أفكاره وأقبل إلى القرآن متوجها بكليته يتفهم معانيه متدبرا متذكرا ، ولا يتأتى للتالى ذلك وعدوه الشيطان واقف له بالمرصاد يحاول جاهدا أن يصرفه عن هذا الموقف الكريم ويزحزحه عن وصل حبله بربه تعالى ، لذلك وجهه جل وعلا إلى أن يستعيذ به تعالى ويلجأ إليه سبحانه متحصنا مستجيرا من عدوه مستمدا منه تعالى العون ليقوى على

---

(١) النحل (٩٨) .
(٢) الحجر (٤٢) .
(٣) النحل (٩٨) .

قهره والتغلب عليه .

والاستعاذه سنة فى الصلاة المفروضة والنافلة عند أبى حنيفة والشافعى وأحمد ومكروهة فى الفريضة عند المالكية جائزة فى النافلة فمن تركها لم تبطل صلاته باتفاق ، ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضا . وحكى عن عطاء رضى الله عنه [وجوبها سواء كانت فى الصلاة أو غيرها] . وقال ابن سيرين رضى الله عنه (إذا تعوذ الرجل فى عمره مرة واحدة كفى بها فى إسقاط الوجوب قبل القراءة) عند الجمهور سواء فى الصلاة أو خارجها ، وحُكى عن إبراهيم النخعى أنه (بعد القراءة) وهو قول داود رضى الله عنه وإحدى الروايتين عن ابن سيرين .

فضل الاستعاذة [1]

وأما عن فضلها فيروى سيدنا عثمان بن أبى العاص الثقفى أنه أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها علىَّ ، فقال له رسول الله ﷺ : «**ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً**» . قال ففعلت فأذهب الله عنى [2] ، ومعنى أعوذ بالله : أى ألتجئ إليه وأمتنع به مما أخشاه . والشيطان : أصله من شطن أى تباعد عن الرحمة ، وقيل : من شاط يشيط إذا هلك واحترق ، والشيطان : اسم لكل عات من الجن والإنس قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [3] وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك كان فيه القوة الغضبية ومن ثَمَّ فعلى من أصيب بغضب أن يتوضأ لأن الوضوء يكون بماء ولا يطفئ النار إلا الماء ثم يصلى ركعتين فإنه يذهب عنه غضبه ، وبذلك يكون قد تمكن من هزيمة اللعين لعنة الله عليه .

ومعنى الرجيم : فعيل بمعنى (فاعل) أى يرجم بالوسوسة والشر .

وقيل : فعيل بمعنى (مفعول) أى مرجوم بالشهب عند استراق السمع .

وقيل : مرجوم بالعذاب : وقيل : مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات

---

(١) نور الألباب فى تفسير فاتحة الكتاب ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) الأنعام (١١٢) .

وعن منازل الملأ الأعلى .

وإذا كنا قد فرغنا معكم من الحديث عن الاستعاذة فإننا نشرع بفضل الله تعالى فى الحديث عن البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" ، وأول حكم يجب أن نتعرض إليه هو هل البسملة آية من الفاتحة ومن كل سورة أم لا ؟ أجمع العلماء على أن البسملة من القرآن وأنها جزء آية من سورة النمل . واختلفوا فى مكانها من سائر السور .

أولاً : هى آية من كل سورة ، وبه قال علماء السلف من أهل مكة فقهائهم وقرائهم ومنهم ابن كثير القارئ - وأهل الكوفة ومنهم عاصم والكسائى من القراء وبعض الصحابة والتابعين من أهل المدينة ، والشافعى فى الجديد وأتباعه - والثورى وأحمد فى أحد قوليه .

ومن المروى عنهم ذلك من علماء الصحابة : على وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة ومن علماء التابعين : سعيد بن جبير وعطاء والزهرى وابن المبارك .

وأقوى حججهم فى ذلك إجماع الصحابة ومن بعدهم على إثباتها فى المصحف الأول كل سورة سوى (براءة) .

ثانيا : قيل : هى آية مفردة أنزلها الله علامة لبيان رؤوس السور والفصل بينها ، وممن قال بذلك الإمام مالك من فقهاء المدينة - والإمام الأوزاعى فقيه الشام وأبو عمر البصرى ، ويعقوب الحضرمى من قراء البصرة - وبه قال أبو حنيفة .

ثالثا : قيل : هى آية من الفاتحة دون غيرها وبه قال الإمام حمزة الزيات الكوفى القارئ والإمام أحمد فى أحد قوليه - والشافعى .

هذا وقد رجح الإمام القرطبى رضى الله عنه القول الثانى وهو أنها ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها ؛ لأن القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد وإنما طريقه التواتر القطعى الذى لا يختلف فيه .

وقد تفرع من هذا الخلاف مسألة أخرى ألا وهى : حكم قراءتها فى الصلاة [1] : فالمالكية ذهبوا إلى كراهية البسملة فى الفرض دون النفل .

---

(١) انظر المنار ١ / ٣٣ ، والألوسى ١ / ٣٩ ، والقرطبى ١ / ٨٤ .

وقال الأحناف : تُسن قراءتها سرا فى الصلاة مع الفاتحة فى كل ركعة وبه قال أحمد ، وروى عن أبى حنيفة أنها تقرأ فى الركعة الأولى فقط .

وقال الشافعى وأحمد فى رواية عنه بوجوب قراءتها مع الفاتحة إذ أنها آية منها [وبأى رأى أخذنا فنحن على حق إن شاء الله] أيها الأحباب ، هذا ما أردنا أن نذكره فى البسملة ولكن هل الفاتحة مكية أم مدنية ؟

إلى الملتقى يوم الأحد القادم إن شاء الله تعالى .

* * * * * * * * *

الدرس الثالث درس "الاثنين"
فى حديث البشير النذير

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله رب العالمين الذى خلق الإنسان من طين وكتب سعادته وشقاوته ورزقه وأجله وهو فى قرار مكين .

وأشهد أن لا إله إلا الله الخالق المنشئ المحيى المميت - وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الناصح الأمين - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته وسلم تسليما كثيرا - آمين .

وبعد :

فيا إخوانى فى الله ، ويا أحبابى فى سيدنا رسول الله - لقاؤنا الليلة مع قول من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم لنستنير بأنواره ونتجمل بما فيه من جمال وجلال . ومولانا رسول الله ﷺ قد خصه الله بفضائل دون بقية الأنبياء والرسل عليهم جميعا السلام . ومن بين الخصائص التى خص المولى عز وجل حبيبه المصطفى سيدنا ومولانا أنه تعالى أكرمه بجوامع الكلم ومن بين جوامع كلمه ﷺ هذا الحديث الذى أردنا أن ندرسه هذه الليلة .

فعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول: **«لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره ، التقوى ها هنا ويشير ﷺ إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»** [1] صدق رسول الله ﷺ ، أيها المؤمنون الأحبة ، صلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا ، ثم تعالوا بنا لنطوف بحضراتكم حول هذا الحديث الجامع المانع نفعنا الله به .

اعلموا جماعة المؤمنين وفقنى الله تعالى وإياكم لطاعته أن هذا الحديث عظيم الفوائد كثير العوائد .

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه .

فقوله ﷺ: «**لا تحاسدوا**» أى: لا يحسد بعضكم بعضا، والحسد: تمنى زوال النعمة عن الغير، وهو حرام بالإجماع، وفى ذمه أحاديث كثيرة وهو داء لا دواء له من أمراض القلوب العظيمة، وهو يضر الحاسد دنيا ودينا ولا يضر المحسود دنيا ولا دينا إذا لا تزول نعمة بحسد قط وإلا لم تبق نعمة لله على أحد حتى الإيمان لأن الكفار يحبون زواله عن أهله.

بل المحسود منتفع بحسد الحاسد دنيا لأنه مظلوم من جهته سيما إن أبرز حسده إلى الخارج بالغيبة وهتك الستر وغيرهما من أنواع الإيذاء فهذه هدايا يهدى إليه حسناته بسببها حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة مفلسا محروما من النعم كما حرم منها فى الدنيا. فعلم أن هذا دواء عظيم للحسد أعاذنا الله تعالى منه.

قال رسول الله ﷺ: «**دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء**[١] **هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذى نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم**»[٢]، ويقول ﷺ: «**ليس منى ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه**»[٣]، ويقول صلوات ربى وسلامه عليه: «**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**»[٤] ويقول صلوات ربى وسلامه عليه: «**الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب**»[٥]، وقال ﷺ: «**لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك**»[٦] وفى الحديث: «**كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر**»[٧]، وفى حديث: «**استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود**»[٨]، ويروى أن موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لما تعجل إلى ربه رأى فى ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال: (إن

---

(١) رواه البزار والبيهقى وغيرهما عن الزبير بن العوام رضى الله عنه.
(٢) أخرجه أحمد والترمذى.
(٣) رواه الطبرانى عن عبدالله بن بشر رضى الله عنه.
(٤) رواه الطبرانى عن ضمرة بن ثعلبة.
(٥) رواه أبو داود والبيهقى.
(٦) رواه الترمذى وابن أبى الدنيا.
(٧) رواه النسائى وأبو نعيم وابن حبان.
(٨) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى.

هذا الكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه فقال: أحدثك عن عمله بثلاث: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعق والديه، وكان لا يمشي بالنميمة)[1]، وقال بعض السلف: (أول خطيئة عصى الله بها الحسد حسد إبليس آدم أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية). ووعظ بعض الأئمة بعض الأمراء فقال: إياك والكبر فإنه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[2]، وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة، أسكنه الله جنة عرضها السماوات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فمن حرصه أكل منها فأخرجه الله من الجنة ثم قرأ قوله سبحانه: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً ﴾[3] وإياك والحسد فإنه الذى حمل ابن آدم على أن قتل أخاه حين حسده ثم قرأ قوله سبحانه: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[4]، وقيل: كان السبب أيضا فى قتله أن زوجته أخت القاتل كانت أجمل من زوجة القاتل أخت المقتول لأن حواء ولدت لآدم عشرين بطنا في كل بطن اثنان ذكر وأنثى فكان آدم صلوات الله وسلامه عليه يزوج أنثى كل بطن لذكر بطن أخرى لا لذكر بطنها فلما رأى قابيل أن زوجة أخيه هابيل أجمل حسده عليها حتى قتله.

وقال أبو الدرداء: [ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قلَّ فرحه وقلَّ حسده]، وقال بعضهم: [الحاسد لا ينال من المجالس إلا مَذَمَّة وذُلاًّ، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبُغضا، ولا ينال من الخلق إلا جَزَعًا وغَمًّا، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهَوْلاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا]، وعن زكريا عليه السلام أنه قال: قال الله سبحانه وتعالى: [الحاسد عدو نعمتى، مسخط لقضائى، غير راض بقسمتى بين عبادى].

ولبعض الصالحين:

---

(١) انظر المجالس السنية للشيخ أحمد الفشنى ص ١٠٣، ١٠٤.
(٢) البقرة: ٤٣.
(٣) البقرة: ٣٨.
(٤) المائدة: ٢٧.

دع الحسود يوما تلقاه من كمده ::: كفاك منه لهيب النار فى كبده
إن لمت ذا حسد نفست كربته ::: وإن سكت فقد عذبته بيده

أيها المؤمنون: وقد يوضع الحسد موضع الغبطة وهو محمود ومنه قوله ﷺ: «**لا حسد إلا فى اثنتين**» الحديث [1] يا أحباب الحبيب المصطفى، وربما يسأل البعض منكم فيقول: قلتم فى هذا الدرس بأن الغبطة محمودة بخلاف الحسد فإنه مذموم فما الفرق بين الحسد والغبطة؟ نقول وبالله التوفيق، بعد ما تصلوا على الحبيب المصطفى ﷺ: إن الفرق واضح وشتان بين الثريا والثرى، وشتان بين الصيف والشتاء وبين آدم وإبليس فالأول: صفى الله ونبيه، والثانى: عدو لدود، اعلموا إخوانى حفظكم الله من الحسد والحاسدين: أن الحسد: أن يراك أحد الحاسدين فى نعمة أو فى خير ثم يعجب لما أنت فيه وينسى أن الله هو المنعم والرزاق، ثم يتمنى أن تزول تلك النعمة وهذا الخير عنك فيقول: فلان عنده كذا فمن أين ذلك وكيف حصل عليه، فلان اشترى ثلاجة أربعة عشر قدما فمن أين أتته؟ ويظل الليل الطويل لا ينام ولم يلبث المنعم عليه إلا أن تأتيه مصيبة فيتشاجر مع زوجته، وربما طلقها، أو ضرب الأولاد، أو شب فى البيت حريق، حينئذ يفرح الحاسد أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

هذا عن الحسد، وإليكم الغبطة، فالغبطة: هى أن يراك أحد الناس فى خير ونعمة فيفرح ويقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، كفاك الله شرها، ورزقك خيرها، وأعانك على سداد ثمنها، ثم يتمنى لنفسه أن يمن الله عليه بمثل هذا الفضل.

ولعلى بذلك قد أوضحت لك الفارق لكنى أحب أن أنبه إلى أمر عظيم يقع فيه الجهلة من الناس إذا ما أصيبوا بحسد أخذوا يبحثون عن قطعة من ذيل الحاسد لكى يُبخَّرَ بها المحسود، وهذه الوصفة إنما صدرت على ألسنة بعض النساء الجاهلات ولاسيما من تقدم بهن السن نعوذ بالله من غضبه وكفانى الله وإياكم شر الجهل الفاضح. إن المحسود عليه أن يسأل الله العافية وحبذا لو قام أحد الناس برقيته رقيه ترضى الله.

ومثال ذلك: أن يضع الراقى يده اليمنى على المريض ثم ليقرأ الفاتحة والفلق والناس ثم يقول: [بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل نفس

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد والبزار عن ابن عمر رضى الله عنهما.

أو عين حاسد الله يشفيك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين] .

أخي في الله وحبيبي في سيدنا رسول الله ﷺ ، وختاما لحديثنا عن الحسد يسرنا أن نذكر إليكم هذه القصة لعلنا نتعظ بها ونأخذ منها الدرس والعبرة .

كان [1] أحد الصالحين يجلس في مجلس أحد الملوك فنصح هذا الصالح الملك وقال له : أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيك إساءته ، فحسده بعض الجهلة على قربه من الملك وعمل الحيلة على قتله فسعى به أي قام بوشاية ضده عند الملك . فقال للملك : إنه يزعم أنك أبخر [أي رائحة فمك كريهة] وأمارة ذلك إذا قربت منه يضع يده على فمه وأنفه لئلا يشم رائحة البخر . فقال له : انصرف حتى أنظر - فخرج فدعا الرجل لمنزله وأطعمه ثوما . فخرج الرجل من عنده وجاء للملك وقال له مثل قوله السابق - أحسن إلى المحسن إلى آخره كعادته .

فقال له الملك : ادن مني ، فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك رائحة الثوم ، فقال الملك في نفسه : أرى فلانا صادقا . وكان الملك لا يكتب بخطه إلا جائزة أو صلة فكتب لبعض عماله : إذا أتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه . فأخذ الرجل الصالح الكتاب وخرج فلقيه الذي سعى به فقال : ما هذا الكتاب ؟ قال : خط الملك إليَّ بصلة . قال : هبه لي فقال : هو لك . فأخذه ومضى به إلى العامل . فقال له العامل : في الكتاب أني أذبحك . فقال : إن الكتاب ليس لي " الله الله في أمري " فقال : أراجع الملك ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به . ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله . تعجب الملك وقال : ما فعلت بالكتاب ؟ قال : لقيني فلان فاستوهبه مني فدفعته له . فقال الملك : إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر . قال : ما قلت ذلك . قال : فلم وضعت يدك على أنفك وفيك ؟ قال : أطعمني ثوما فكرهت أن تشمه . قال : صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفى المسيء إساءته ، فتأملوا رحمكم الله تعالى شؤم الحسد وما جر ليه تفلحوا . ويقول ﷺ : «**لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك**» أيها المؤمنون الأحبة ، إذا كان لكل داء دواء فهل هناك دواء للحسد ؟ نعم إخواني الأحبة فمن ابتلاه الله بالحسد فعليه أن يعرض نفسه على صيدلية سيدنا ومولانا

---

(١) انظر المجالس السنية للشيخ / أحمد الفشني ص ١٠٥ .

محمد فإن فيها الدواء لكل داء .

والآن : ننتقل إلى صيدلية المصطفى ﷺ لنسأل فيها عن علاج الحسد وبينما نحن فى صيدلية الحبيب المصطفى إذا بنا نجد دواء ما أحلاه وما أجمله وما أزكاه وما أروعه هذا هو الأمين جبريل يقوم برقية رسول الله ﷺ عندما أصيب بعين .

رقاه بقوله : «**اذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقما**» . وكان عليه الصلاة والسلام فى مرضه يقرأ بالمعوذات وينفث فى كفيه ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده . قالت أمنا عائشة رضى الله عنها : فلما ثقل جعلت آخذ كفيه فأصنع فيها مثل ما كان يصنع رجاء بركة يده المباركة ﷺ . ومما تقدم تعلمون جميعا أن الرقية سنة عن سيد الخلق ﷺ لكن بشروط أو بشرط أن تكون بالكيفية التى ذكرتها وما ماثلها . أما الرقية بكلام فيه تخاريف وشعوذات فهذا حرام لا ينبغى أن يكون أبدا . ومن البدع أخذ بعض الناس قطعة من ثوب الحاسد ويبخر بها ، وإلى هنا أيها المؤمنون الأحبة ينتهى حديثنا عن الحسد وننتقل إلى ما يليه فى الحديث الشريف .

وهو قوله عليه الصلاة والسلام : «**ولا تناجشوا**» اعلموا إخوانى بارك الله فيكم ونفعنا جميعا بسنة البشير النذير أن المناجشة : الإثارة والخديعة ، وفى الشرع : الزيادة فى الثمن المدفوع فى السلعة للبيع وإن لم يساوى القيمة . وهو حرام للإيذاء ، وغش الناس حرام ويختص الإثم بالعالم بالتحريم دون غيره ، فالذى لا يعلم حكم الله فى المناجشة فلا إثم عليه وذلك لجهله بحكم الدين فيها . وقوله ﷺ : «**ولا تباغضوا**» أى لا تتعاضوا أسباب البغضاء فالبغض حرام إلا فى الله فإنه واجب ومن كمال الإيمان كما قال ﷺ : «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»[1] ، واعلموا عباد الله أن البغض إما من جانبيهما وإما من جانب أحدهما فأحيانا يكون البغض بين رجلين وأحيانا يكون من أحدهما . قال سيدى العارف بالله الشيخ إبراهيم الشبراخيتى رضى الله عنه : [والبغض على كل حال حرام شرعا اللهم إلا أن يكون هذا البغض فى الله ولله عز وجل وهو محمل الحديث وهو واجب ومندوب كما قال

(١)رواه أبو داود ، انظر الترغيب والترهيب للمنذرى ٤ / ٢٤ ط مصطفى الحلبى .

تعالى: ﴿ لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء ﴾[1]] . وقوله صلوات ربى وسلامه عليه «**ولا تدابروا**» . أى لا تتكلموا فى أدبار إخوانكم بالغيبة والبهتان . ويحتمل أن يكون المعنى: لا تولوا أدباركم استثقالا بل أبسطوا وجوهكم وقيل: من الإدبار وهو الإعراض المؤدى إلى التقاطع والعياذ بالله لأن كل واحد يولى صاحبه دبره .

أى لا يعرض بعضكم عن بعض كراهية فيه ويفر لأنه يؤدى إلى تضييع ما يجب من حقوق الإسلام من الإعانة والنصرة ونحوهما . وقيل معناه: لا تقاطعه إلى الأبد من قولهم: "قطع الله دبره" أى: [من بقى بعده] وفى الحديث: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**[2]» وفى رواية: «**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام**» ومن هنا أخذ منه العلماء أن السلام يرفع إثم الهجر . وأنشد بعضهم[3]:

هجرك يا سيدى مظلمة ::: فاستفت فيها ابن أبى خيثمة

فإنه يرويه عن جده ::: وجده يرويه عن عكرمه

عن ابن عباس عن المصطفى ::: نبينا المبعوث بالمرحمة

إن صدود الخل عن خله ::: فوق ثلاث ربنا حرمه

وأنت منذ شهر لنا هاجر ::: فما تخاف فينا فمه

ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «**تعرض الأعمال فى كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل فى ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرءا كانت بينه وبين أخيه شحناء يقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا**»[4] وفى رواية: «**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقول: أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا**» . وفى الحديث: «**يطلع الله تعالى إلى جميع خلقه ليلة النصف من**

---

(١) الممتحنة (١) .

(٢) رواه البخارى .

(٣) انظر الفتوحات الوَهْبِيَّة ص٢٦٣ .

(٤) رواه مسلم .

شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن» [1] . ووجه مغايرته لما قبله أن الشخص قد يبغض صاحبه عادة ويوفيه حقه وقد يعرض عنه لنحو تهمة وتأديب وهو يحبه ، ومن هذا القبيل قول بعضهم : **«لا يكتم الحب إلا خشية التهم»** ثم يقول صلوات ربى وسلامه عليه : **«ولا يبع بعضكم على بيع بعض»** هذا ما سوف نعلمه من الحديث الشريف يوم الاثنين القادم بمشيئة الله تعالى . جعلنى الله وإياكم من أولئك الذين يستعمون القول فيتبعون أحسنه ، وهدانى وإياكم إلى ما فيه الخير وليتنا نعمل بما سمعناه تلك الليلة ، فعمرى لو عملنا به لكنا من السعداء فى الدنيا والآخرة ؛ لأن الخير كل الخير فى اتباع المعصوم صلوات ربى سلامه عليه . اللهم امنحنا رضاك واكفنا شر شؤم المعصية وشر أهل السوء بمنك وجودك وكرمك يارب العالمين . وصلى الله على نور قلبى سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وكل تابع مستنير والحمد لله رب العالمين ، والله أعلم .

* * * * * * * * *

---

(١) أخرجه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى .

الدرس الرابع درس " الثلاثاء"

فى الفقه الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وكفى ، وصلاة وسلاما على الحبيب المصطفى ، سيدنا ومولانا محمد اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن دعا الناس بدعوته وهداه بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فيا إخوانى فى الله ويا أحبابى فى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ نعيش بمشيئة الله تعالى هذه الليلة مع درس من دروس المساء بين المغرب والعشاء . ودرس الليلة من أفضل الدروس وأهمها لكل مسلم ومسلمة لأنه يتعلق بأحكام الشرع الحنيف ، ودرسنا الليلة فى أحكام العبادات حتى يكون المتعبد عارفا بأحكام الفقه الإسلامى فى عبادته وحينئذ يكون متعبدا بفقه إن شاء الله تعالى ، وسوف يكون أول لقاء لى بكم فى الفقه الإسلامى فى أحكام الطهارة . ولسنا نلتزم مذهبا معينا من المذاهب الفقهية وذلك تيسيرا عليكم حتى يأخذ المسلم والمسلمة من الحاضرين لدروس العلم ، ما يناسبهم من الآراء التى سنذكرها . وأطلب من حضراتكم أن لا تبخلوا علينا بأى سؤال أردتم معرفته فمما لاشك فيه أننا جميعا طلاب علم .

والآن أسمعونى توحيد الواحد ثم صلوا وسلموا على النبى الباهر وتعالوا بنا لنستفيد من هذا الدرس الشيق المبدع .

الطهــارة

عرف أهل العلم الطهارة بأنها النزاهة والتخلص من الأنجاس والآثام .

وهى فى عرف الفقة والشرع : إزالة الدنس والنجاسة أو فى معناها من الحدث بالماء أو ما فى معناه ، والطهارة مشروعة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة . فأما من الكتاب العزيز فقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ ﴾ (١) وأما من السنة فعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ

---

(١) سورة المائدة : ٦ .

قال: «**لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه**» وفى لفظ: «**ثم يتوضأ منه**»[١]، وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**»[٢]، وأما الإجماع: فقد انعقد الإجماع على وجوب الطهارة، وكفى أن المتطهر حبيب الله عز وجل، قال جل ذكره: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾[٣].

أقسام الطهارة

واعلموا عباد الله أن الطهارة تنقسم إلى أقسام:

❖ فهناك الطهارة الحقيقية وهى الطهارة من الخبث أى: من بول أو براز (أو) أى نجاسة أصابت البدن أو الثوب، والشرع الحنيف سماها خبثا لخبث رائحتها. وقد أوجب الشرع على المصلى أن يكون بدنه وثوبه طاهرين من الخبث وهو الشىء المستقذر شرعا كالبول وغيره كما بينا.

❖ والطهارة الحكمية: وهى الطهارة من الحدث، وقد أوجب الشرع الحنيف على المصلى أن يكون بدنه طاهرا من الحدثين الأصغر والأكبر.

❖ والطهارة الأصلية: وهى النظافة من النجاسة التى تصيب هذه الأعيان وذلك بواسطة المطهرات التى تزيل الخبث مثل الماء والتراب وغيرهما، ومن ثم فإننا لابد أن نتكلم عن الأشياء الطاهرة حتى نكون على معرفة بها إن شاء الله.

الأشياء الطاهرة

وهى التى يسميها الفقهاء بالأعيان الطاهرة، اعلموا أيها المؤمنون أن الأصل فى الأشياء الطهارة، والنجاسة عارضة والأعيان الطاهرة كثيرة منها:

١ - الإنسان حيا كان أو ميتا لقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي**

---

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) البقرة (٢٢٢).

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [١] ، وقولنا الإنسان على عمومه مسلما كان أو مشركا . وقد يقول قائل : كيف يكون المشرك طاهرا والقرآن الكريم قد صرح بنجاسته فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [٢] ، فالمراد به النجاسة المعنوية (أى) أنهم نجس فى عقيدتهم ليس إلا .

٢ - الجماد : والمقصود به كل جسم لم تحل فيه الحياة ولم ينفصل عنه حى كالذراع المقطوعة مثلا . وينقسم هذا الجماد إلى قسمين :

أ - جامد : ومنه جميع أجزاء الأرض ومعادنها كالذهب والفضـ[illegible] ـحس والحديد والرصاص ونحوها ، وجميع أنواع النبات ولو كان من المخد[illegible] قال له المفسد ، وهو الذى يفسد العقل دون الحواس كالحشيشة [illegible] ـضر بالبدن كالنباتات السامة فهذه الأنواع كلها طاهرة وإن كان ما يضر العقل أو الحواس أو غيرهما محرما .

ب - مائع كالمياه وعسل القصب وماء الأزهار والطيب والخل ومخاطه وسم الحية والعقرب ، وإن كان هناك خلاف بين أئمة الفقه فى ذلك .

❖ فالسادة الشافعية قالوا : بطهارة اللعاب إذا كان من حيوان طاهر مأكول أو غير مأكول [٣] .

❖ أما السادة المالكية فقالوا : إن اللعاب إن كان سائلا من الفم فى حال اليقظة أو النوم فهو طاهر ، أما ما يخرج من المعدة فهو نجس ويعرف بتغير لونه أو ريحه فإذا لازم صاحبه عُفى عنه وإلا فلا [٤] .

❖ وأما السادة الحنابلة فقالوا : الدمع طاهر وكذلك العرق واللعاب والمخاط

---

(١) الإسراء : ٧٠ .

(٢) التوبة : ٢٨ .

(٣) انظر المجموع شرح المهذب ٢ / ٥٧٨ .

(٤) فتح الجليل لسيدى محمد الخرشى ١/٨١ ، وحاشية الدسوقى على شرح الكبير لسيدى محمد عرفة الدسوقى ١/٤٨ .

سواء كانت من حيوان يؤكل أو من حيوان لا يؤكل بشرط أن يكون ما لا يؤكل من جنس الهرة أو أقل منها ، وبشرط ألا يكون متولدا من النجاسة [١] .

❖ وأما السادة الأحناف فقالوا : عرق الحى ولعابه كسؤره طهارة ونجاسة فسؤر الخنزير نجس باتفاق وكذلك سؤر الكلب وسؤر البغل والحمار مشكوك فيهما [٢] ،

حكم البلغم والصفراء والنخامة وما شابه ذلك

قال الفقهاء بطهارة البلغم والصفراء والنخامة ومرارة الحيوان المأكول لحمه بعد تذكيته الشرعية (والمراد بالتذكية : الذبح) واختلفوا فى ماء الصفراء :

❖ فقال الشافعية : ماء الصفراء وهى المرارة نجس وجلدتها أى غلافها متنجسة به ، وتطهر بغسلها كالكرش ، فإن ما فيه نجس وهو متنجس به ويطهر بغسله [٣] .

وقال الأحناف : مرارة كل حيوان كبوله فهى نجسة نجاسة مغلظة فى نحو ما لا يؤكل لحمه ، ومخففة فى مأكول اللحم والجلدة تابعة للماء الذى فيها [٤] .

حكم حيوانات البحر

الحيوانات البحرية طاهرة بأنواعها ولو طالت حياة بعضها فى البر كالتمساح والضفدع والسلحفاة على أى صورة كانت ، سواء مات فى البر أو البحر ، وسواء مات بفعل فاعل أو مات حتف أنفه ، أى " فجأة بلا ضرب ولا قتل " [٥] ، قال ﷺ : «**أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال**» [٦] وقد أخبرنى فضيلة الشيخ / حسن خليل من الأحناف بأن الملخلول مكروهة عندهم كراهة تحريمية لأنها ليست من السمك .

---

(١) المغنى لابن قدامة ١ / ٤٣ .

(٢) المبسوط للسرخسى ١ / ٧٦ .

(٣) معنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ١ / ٧٨ .

(٤) شرح كنز الدقائق ص ١١ .

(٥) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ١ / ٤٥ والمجموع شرح المهذب للنووى ٢ / ٥٦٨ ، والمغنى والشرح الكبير لابن قدامة ١ / ٤٠ والمحلى لابن حزم ٧ / ٢٩٣ ، وشرح فتح القدير لابن الهمام ١ / ١٣٢ .

(٦) سنن الدارقطنى ٤ / ٢٧٢ .

وأنا لم أقف على هذا القول فى كتب الأحناف فالعهدة عليه وإذا وقفت يوما على هذا الحكم فى كتب الأحناف فسوف أحققه بمصدره .

والرجل عندنا ثقة رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وقد كان يعمل مفتشا عاما فى الوعظ بمحافظة (الإسكندرية) وهو مشهور فى قرية إدفينا / مركز رشيد / محافظة البحيرة باسم الشيخ / حسنى أحمد خليل جمعنا الله به فى جنة الفردوس مع سيدنا ومولانا محمد وآل البيت أجمعين يا رب العالمين .

أيها الأحباب ونعود إلى حديثنا فنقول : ويلتحق بهذه الأصناف التى ذكرناها ميتة الحيوان البرى الذى ليس له دم يسيل مثل الذباب والسوس والجراد والنمل . وقيدت الحنابلة هذه الميتة بعدم تولدها من نجاسة كدود الجروح .

رأى الفقهاء فى أجزاء جسم الحيوان المذبوح

أيها الأحباب : اعلموا وفقنى الله تعالى إلى طاعته ومرضاته : أن الحيوان مأكول اللحم المذكى ذكاة شرعية طاهر بإجماع الفقهاء . وكذلك الشعر والصوف والوبر والريش من الحيوان مأكول اللحم أو غير مأكول اللحم أو ميتهما سواء كانت هذه الأشياء متصلة أو منفصلة خرجت بغير نتف أو هز أو حلق أو قص أو إزالتها النورة [مادة تصنع لحلق الشعر وهى بضم النون وهى ما نسميها فى عصرنا هذا بماكينة الحلاقة] .

❖ قال السادة المالكية رضى الله عنهم أجمعين [(١)] : كل هذه الأشياء طاهرة بهذا الشرط ولو كانت من كلب أو خنزير . ووافقهم السادة الحنفية رضى الله عنهم أجمعين[(٢)] إلا فى الخنزير فإن شعره نجس سواء أكان حيا أو ميتا .

❖ وقال السادة الشافعية عليهم من الله الرضوان [(٣)] : هذه الأشياء نجسة إن كانت من حيوان حى غير مأكول اللحم إلا شعر الآدمى غير المنتوف فإنه طاهر أو كان من ميتة غير الآدمى .

---

(١) حاشية الدسوقى والشرح الكبير ١ / ٣٤ وما بعدها .

(٢) بدائع الصنائع ١ / ٢٦٥ .

(٣) مغنى المحتاج ١ / ١٨ .

❖ وقال السادة الحنابلة رضوان الله عليهم [١] : هذه الأشياء طاهرة إن كانت من حيوان مأكول اللحم حيا أو ميتا أو من حيوان غير مأكول اللحم بحكم طهارته فى حياته .

سؤال يا سيدنا الشيخ : عندما ذكرت السادة الحنابلة بسؤال نود أن نعرف الحق فيه وهو نسمع من آباءنا وأجدادنا قديما عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال : بأن خيال الكلب إذا مر على جسم الإنسان ينجسه فما مدى صحة هذا القول؟

يا أخى : اعلم وفقنى الله وإياك إلى مرضاته أن هذا القول مدسوس فى حق الإمام أحمد وهذه الفتوى مفتراه على هذا الإمام الجليل الذى تفضل الله عليه بأن رآه سبحانه فى منامه مائة . وإذا كان الإمام أحمد قد رأى الله فى منامه مائة مرة بالكيفية التى تليق بجلاله أنفترى عليه كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . وعليكم عباد الله رحمنى الله وإياكم ألا نلتفت جميعا إلى هذه الأقوال الشائعة الباطلة والتى تحمل فى طياتها إهانة الأئمة والعلماء .

ونعود إلى موضوعنا هذه الليلة وهو أحكام النجاسة : فإذا كنا قد تكلمنا عما هو طاهر من الأشياء فأرى لزاما علىَّ أن أُبين أحكام النجاسات أيضا . صلوا على سيدنا رسول الله ﷺ تُفلحوا : اعلموا إخوانى بارك الله فيكم : أن النجاسة هى اسم لكل ما يستقذر ويجب التنزه عنه سواء كان حسيا أو معنويا .

أما الحسى : فهو ما يرى ويحس ، أما المعنوى : فهو ما لا يرى كالشرك والنفاق . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢] ، وقد قسمها الفقهاء إلى قسمين : نجاسة حقيقية ، ونجاسة حكمية ولكل رأيه فى تفسير كل منهما :

فالحنابلة يقولون : النجاسة الحقيقية هى عين النجس ، والحكمية : هى الطارئة على محل طاهر فتشمل ما له جرم وما ليس جِرم .

---

(١) المغنى ١ / ٢٠ .

(٢) التوبة : ٢٨ .

والشافعية يقولون [١] : النجاسة الحقيقية هى التى لها جِرم أو طعم أو لون أو ريح وهى العينية ، والحكمية ما ليس لها ذلك ، وإذا جف البول ولم تدرك له صفة فإنه نجاسة حكمية . والمالكية يقولون [٢] : النجاسة العينية هى ذات النجاسة ، والحكمية : أثرها المحكوم به على المحل . والأحناف يقولون [٣] : النجاسة الحقيقية هى الخبث وهو كل ما يستقذر شرعا . والحكمية : هى الحدث الأصغر والأكبر وهو وصف شرعى يقوم بالأعضاء .

أيها المؤمنون الأحبة ، وإذ كنا قد عرفنا منذ قليل الأعيان أو الأشياء الطاهرة فإننا الآن نبين الأشياء النجسة حتى نتقيها ونحذرها .

اعلموا إخوانى فقهنى الله وإياكم فى دينه أنه من الأعيان النجسة :

١ - ميتة الحيوان البرى غير الآدمى إذا كان له دم ذاتى يسيل عند جرحه بخلاف ميتة الحيوان البحرى وبخلاف ميتة الإنسان وبخلاف ميتة الحيوان البرى الذى ليس له دم ذاتى كالجراد .

٢ - أجزاء الميتة التى تحلها الحياة كاللحم والجلد والعظم والعصب ونحوها بخلاف الشعر والصوف والوبر والريش فهذه ليست بنجسة وقال الشافعية : بنجاسة كل ذلك .

وقال الأحناف : النجس هو اللحم والجلد فقط لقوله ﷺ فى شاة ميمونة : «**إنما حرمت أكلها**» وفى رواية : «**لحمها**» [٤] . فدل ذلك على أن ما سوى اللحم لا يحرم ما لم تكن به دسومة فإنها تنجس بسبب هذه الدسومة . أما العصب ففيه روايتان : المشهور طهارته وقيل بنجاسته [٥] ، ويرى الإمام أحمد بن حنبل [٦] أن جميع أجزاء الميتة نجس إلا الصوف والشعر والوبر والريش لقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا**

---

(١) مغنى المحتاج ١ / ٨٣ .
(٢) بداية المجتهد لابن رشد الحفيد ٨٣/١ .
(٣) مجمع الأنهر ١ / ٦٣ .
(٤) رواه الجماعة إلا ابن ماجة
(٥) انظر شرح كنز الدقائق ٢ / ٢١٤ .
(٦) انظر الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف ١ / ٩٢ .

وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ (١) ، فظاهر الآية أيها الأحباب يشمل حالتى الحياة والموت ويقاس الريش على هذه الثلاثة (٢) ، وكما تنجس أجزاء الميتة التى تحلها الحياة يتنجس الخارج منها نحو دم ومخاط وبيض ولبن - هذا مذهب المالكية (٣) . ووافقهم الشافعية (٤) إلا أنهم استثنوا البيض إذا تصلب قشره سواء كان من مأكول اللحم أو غيره فإنه طاهر .

والحنابلة كالشافعية إلا أنهم اشترطوا فى البيض المتصلب قشره أن يكون مما يؤكل لحمه (٥) . وقال الأحناف بطهارة ما يخرج من الميتة من لبن وأنفحه [أى كرش الحمل والجدى] وبيض رقيق القشرة ونحو ذلك مما كان طاهرا حال الحياة .

يا أحباب المصطفى وإذا ما نظرنا إلى الأعيان النجسة لوجدنا الكلب والخنزير إلا أن السادة المالكية قالوا : كل حى طاهر العين ولو كان كلبا أو خنزيرا . ووافقهم الأحناف على طهارة عين الكلب مادام حيا على الراجح من مذهبهم إلا أنهم قالوا بنجاسة لعابه حال الحياة ، وبنجاسة لحمه بعد موته . فلو وقع فى بئر وخرج حيا ولم يصب فمه الماء لم يفسد الماء وكذا بَلَلُه لا ينجس شيئا أصابه (٦) . وقال الشافعية والحنابلة بنجاستها إلا أن الإمام أحمد لم يقل بأن خيال الكلب إذا مر على الإنسان ينجسه فهى كلمة مفتراه وقول مختلق على هذا الإمام الجليل ، وهى من الكلام الذى يردده جهلة الناس وأخذوا تلك الكلمة من اسم لقب الإمام أحمد بن حنبل ، نسأل الله الهداية . واعلموا أن دين الله غال ومتين فليحذر كل إنسان يقول كلمة دون معرفة معناها ومغزاها ومبناها . إن الكلب والخنزير قد قال الشافعية والحنابلة بنجاستهما أما خيال الكلب فلم يقل واحد من الفقهاء بنجاسته لأنه غير معقول .أيها الأحباب : وإذا كان الشافعية والحنابلة قد ذهبوا إلى القول بنجاسة الكلب والخنزير فإنهم قد استدلوا بقول سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ : «**إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فَلْيُرِقْهُ ثم ليغسله**

---

(١) النحل : ٨٠ .

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين ١ / ١٣ .

(٣) انظر الذخيرة للإمام أبى العباس انقرافى ١ / ١٧٦ ، وانظر الفقه المالكى وأدلته ١ / ٣٣ .

(٤) روضة الطالبين ١ /١٣ .

(٥) انظر المغنى ١ / ٦١ .

(٦) انظر المغنى ١ / ٦١ .

سبع مرات» [١] وأما نجاسة الخنزير فهو يقاس على الكلب لأنه لا يقل عنه نجاسة إنما هو أخبث من الكلب .

وأما ما يرشح من الكلب والخنزير من لعاب ومخاط وعرق ودموع قالت المالكية بطهارة كل ذلك لقاعدة : **«أى كل حى وما رشح منه طاهر»** [٢] .

أيها المؤمنون ، ومن الأعيان النجسة أيضا : الدم بجميع أنواعه إلا الكبد والطحال فإنهما طاهران للحديث القائل : **«أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال»** [٣] . ومن بقى فى لحم المذكاة (أى المذبوحة) أو عروقها ودم السمك والقمل والبرغوث ودم الكنان [أى دويبة حمراء شديدة اللسع : الزنبور) فهذه الدماء طاهرة ويلحق بالدم فى النجاسة القيح والصديد .

وقال الأحناف : إن ما يسيل من البدن غير القيح إن كان لعلة ولو بلا ألم فنجس وإلا فطاهر .

وقيد الشافعية نجاسة السائل من القروح غير الدم والصديد بما إذا تغير لونه ، وإلا فهو طاهر كالعرق .

أيها الأحباب : وأرانى الليلة قد أطلت على حضراتكم فلنكتفى الليلة بهذا القدر على أمل أن نلتقى معكم وبكم بمشيئة الله تعالى فى مثل هذه الليلة فى الأسبوع القادم إن كان لى فى العمر بقية وأستودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم . والله أعلم .

****

---

(١) رواه مسلم ٣ / ١٨٢ .
(٢) انظر الذخيرة ١ / ١٧٠ .
(٣) انظر سنن الدارقطنى ٤ / ٢٧٢ .

الدرس الخامس درس "الأربعاء"

فى سيرة سيد الأنام سيدنا ومولانا محمد ﷺ

الحمد لله الذى شرف الأكوان بظهور خير البرية فأزال بشرعه ظلمة الشرك ودعا الخلائق إلى عبادة مولاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تنزه عن عقائد الجاهلية ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد ذى القدر العالى والجناب الرفيع اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تُحَلُّ بها العقد ، وتفرَّج بها الكرب ، وترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين .

أما بعد ،

فيا إخوانى فى الله ويا أحبابى فى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فمرحبا بكم جميعا فى رحاب سيرة الحبيب المصطفى والنبى المجتبى ، مرحبا بكم خاصة ونحن فى أيام قلت بضاعة الشباب بل وغير الشباب عن حياة مولانا رسول الله ﷺ ، بينما كثرت بضاعتهم فى اللهو واللعب ومعرفة أعلام التمثيل والمباريات ، وقلما نجد بضاعة عن حياة الرسول ﷺ .

وتعالوا بنا نأتى بدليل يؤيد دعوانا . . . .

سل ولدك سؤالين :

الأول : من سيعلب غدا ؟ وهل هناك فيلم فى هذا اليوم أو مسرحية أم لا ؟ وعلى أى قناة يكون ذلك الوباء المدبر ؟

ثم سله عن أبطال السينما ، وماذا تعرف عن حياتهم ؟

الثانى : سله متى ولد رسول الله ﷺ ؟ وكم عدد أولاده ؟ وماذا تعرف عن أعمامه وعماته ؟ وعن أخواله وخالاته ؟ وعن كافة أسرة الحبيب المصطفى ﷺ ، وحياته ؟

سله هذين السؤالين ، ثم استمع إلى الجواب .

فأما عن السؤال الأول فسوف تجد الإجابة المستفيضة ، وأما عن السؤال الثانى فإنك لن تجد إلا الصمت الثمين ، والجهل الموحش ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . من أجل ذلك أرجو أن نحرص كل الحرص على درس السيرة النبوية الشريفة المطهرة فهذا أفضل بكثير من سير الممثلين والممثلات والفنانين والفنانات هذا أفضل بكثير لأن سِيَرْ هؤلاء لا نفع ولا طائل من وراءها سوى الخيبة والندامة .

أما سيرة مولانا رسول الله ﷺ فإنها مدرسة وجامعة لمعرفة الأخلاق العالية العلية لأن صاحبها زكاه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

والآن هيا بنا لنحلق فى سيرة النبى ﷺ : أسمعونى الصلاة على الحبيب المصطفى ﷺ .

يا أحباب الحبيب المصطفى ، إن أول ما نبدأ به دروس سيرة الحبيب المصطفى هو التحدث عن خلقه وأخذ الميثاق على الأنبياء بأن يؤمنوا به وينصروه ويصدقوه ، فعلى بركة الله نبدأ :

التنويه بأولية خلقه ونبوته وأخذ الميثاق على النبيين بالإيمان به ونصرته وتبشير الكتب السماوية والأنبياء بظهوره ﷺ

أما التنويه بأولية خلقه ﷺ ، فقد ارتبط بذكر الميثاق فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٢) .

حيث قدّم ذكر نبينا ﷺ على ذكر الأنبياء المذكورين معه فى الآية الكريمة رغم سبق أزمنتهم لزمن الرسول ﷺ .

ولاشك أن تقديم المصطفى هنا ليس لرتبته فحسب إنما هو دال على تقدمه فى الخلقة أيضا كما روى ذلك سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين : فهذا هو

---

(١) سورة القلم الآية : ٤ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٧ .

سيدنا قتادة يروى لنا عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: «**كنت أول الأنبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث**» [١].

وكان سيدنا قتادة إذا تلى هذه الآية: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ . . .** ﴾ الآية. قال: كان نبى الله ﷺ فى أول النبيين فى الخلق [٢].

وعن سيدنا قتادة أيضا عن سيدنا الحسن عن سيدنا أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال فى هذه الآية: «**كنت أول المؤمنين فى الخلق وآخرهم فى البعث**» [٣]

وعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قد قال عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ . . .** ﴾ الآية. قال: «**كنت أولهم فى الخلق وآخرهم فى البعث**» [٤].

وعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه أيضا عن النبى ﷺ عندما سئل عن الآية الكريمة قال: «**كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث**» [٥].

والأحاديث والآثار فى ذلك كثيرة ولولا خشية الإطالة لسقناها جميعها لكن فيما ذكرناه كفاية وفيه رد على من ينكر على كل مؤذن يقول بعد الأذان أثناء صلاته وتسليمه على النبى المعصوم ﷺ: (يا أول خلق الله ويا خاتم رسل الله) أرجو من هؤلاء أن ينظروا فى تلك الأحاديث والآثار نظرة إمعان بعين البصيرة والحب لسيد الخلق محمد ﷺ.

وليعلم الجميع أن أولية خلق النبى ﷺ تعنى التقدير دون الإيجاد حيث إنه ﷺ قبل ولادته لم يكن مخلوقا ولكن الغايات والكمالات سابقة فى التقدير لاحقة فى الوجود. ويدل عليه قوله ﷺ: «**كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد**» [٦].

---

(١) انظر جامع البيان للطبرى ٢١ / ١٢٥ ط / الحلبى.

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) انظر تفسير البسيط للإمام أبى الحسن الواحدى ٧ / ٨ بالنسخة الخطية بدار الكتب وانظر أيضا كتاب هدى النيرين فى سيرة سيد الكونين - للعارف بالله فضيلة الأستاذ الدكتور / جوده محمد أبو اليزيد المهدى ١ / ١٧.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبى ١٤ / ١٢٧ ط دار الكتب.

(٥) رواه أبو نعيم وابن عساكر.

(٦) رواه ابن سعد والطبرانى عن سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما. وانظر الجامع الكبير للحافظ السيوطى/

أيها الأحباب: إذا كنا قد طوّفنا بحضراتكم حول أولية خلق النور المحمدى بإيجاز شديد يجدر بنا أن ننتقل بفضل الله تعالى إلى الحديث حول أخذ العهد والميثاق على الأنبياء .

أخذ العهد والميثاق على الأنبياء بالإيمان بالنبى ونصرته

وهذا يتجلى فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [(١)] .

أيها المؤمنون: يقول علماء التفسير أن الرسول فى الآية هو نبينا محمد ﷺ وأنه ما من نبى إلا أخذ الله عليه الميثاق أنه إن بعث محمد فى زمانه لتؤمنن به ولتنصرنه ويوصى أمته بذلك ، وفى ذلك من التنويه بالنبى ﷺ وتعظيم قدره العلى ما لا يخفى وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه فى زمانهم يكون مرسلا إليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة ، ويكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله: «**بعثت للناس كافة**» لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا ، ويتبين بذلك معنى قوله ﷺ: «**كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد**» وأن من فسره بعلم الله بأنه سيصير نبيا لم يصل إلى هذا المعنى لأن علم الله محيط بجميع الأشياء ووصف النبى ﷺ وسلم بالنبوة فى ذلك الوقت ينبغى أن يفهم منه إنه أمر ثابت له فى ذلك الوقت ولهذا رأى آدم اسمه مكتوبا على العرش (محمد رسول الله) [(٢)] .

يا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ، إذا ما قد ثبت هذا القدر العالى من العظمة للجناب المحمدى فلابد أن يكون ذلك معنى ثابتا فى ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير فى المستقبل لم يكن له خصوصية بأنه نبى وآدم بين الروح والجسد لأن جميع الأنبياء يعلم الله نبوتهم فى ذلك الوقت وقبله فلابد من خصوصية

---

٦٣٠ ، وانظر هدى النيرين فى سيرة سيد الكونين ١ / ٢١ .

(١) سورة آل عمران: ٨١ .

(٢) رواه الحاكم فى مستدركه وصححه والبيهقى فى دلائل النبوة وابن عساكر فى قصة توبة آدم من رواية سيدنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال شيخنا الحافظ سيدى عبدالله الصديق: درجته حسن وانظر الرد المحكم المتين ١٣٨ ، ١٣٩ .

للنبى ﷺ لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلاما لأمته ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك [١] وهذا هو مولانا الإمام علىّ يجلّى لنا قدر هذه الآية فيقول: "لم يبعث الله عزوجل نبيا آدم فمن بعده ، إلا أخذ عليه العهد فى محمد: لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأمره فيأخذ العهد على قومه ، فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ . . . ﴾ [٢] .

يقول الإمام على بن أبى طالب وابن عمه عبدالله بن عباس رضى الله عنها: (ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه) وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه [٣] .

تبشير الكتب المنزلة والأنبياء به ﷺ

أيها الأحباب:

لقد صرح القرآن الكريم بثبوت ذكر الرسول ﷺ فى الكتب الإلهية السابقة ومعرفة أهل الكتاب به صلوات الله وسلامه عليه من خلاف وصف كتبهم له فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٤] .

كما أن السنة النبوية المطهرة قد جاءت هى الأخرى تبيانا لما قررته الآية الكريمة فعن سيدنا عطاء بن يسار أنه قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قلت . أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة قال: أجل . والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا

(١) انظر رسالة التعظيم والمنة فى لتؤمنن به ولتنصرنه .للإمام أبو الحسن السبكى وهى مطبوعة ضمن فتاواه ١ / ٣٨ ، ٣٩ ، دار المعرفة - بيروت - لبنان .

(٢) جامع البيان للطبرى ٣ / ٣٣٢ ط / الحلبى .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢ / ٥٦ ط الشعب .

(٤) الأعراف / ١٥٧ .

للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا) [١] .

وقد بينت الآية السالفة الذكر عدة نعوت وأوصاف للنبى ﷺ كان أهل الكتاب يجدونها عندهم فى التوراة والإنجيل منها ما يبينه قوله تعالى : ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ قال سيدنا عطاء فى تفسيرها (يأمرهم بالمعروف) : بخلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام (وينهاهم عن المنكر) : عبادة الأصنام وقطع الأرحام .

النعت الثالث : ويبينها قوله تعالى : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾ والمراد بالطيبات :

ما كانت العرب تستطيبه بحسب الطبع مما حلله الشرع ، وقيل : هى الشحوم التى حرمت على بنى إسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى [٢] .

النعت الرابع : ويبرزه قوله تعالى : ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ وقد فسر سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنه الخبائث بالميتة والدم وما ذكر فى سورة المائدة إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [٣] . وقد كان اليهود يستحلونها [٤] .

النعت الخامس : ويوضحه قوله تعالى : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ والإصر هو : الثقل الذى يأصر صاحبه أى : يحبسه من الحراك لثقله يقول الإمام فخر الرازى رضى الله عنه فى تفسيرها :

المراد منه : أن شريعة موسى عليه السلام كانت شديدة وقوله : والأغلال التى كانت عليهم المراد منه : الشدائد التى كانت فى عباداتهم كقطع أثر البول وقتل النفس فى التوبة وقطع الأعضاء الخاطئة ، وتتبع العروق من اللحم ، وجعلها الله أغلالا : لأن التحريم يمنع من الفعل كما أن الغل يمنع عن الفعل .

وقيل : كانت بنو إسرائيل إذا قاموا إلى الصلاة لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى

---

(١) رواه البخارى ٢ / ١٠ ط حجازى .
(٢) الوفاء لابن الجوزى ١ / ٣٧ وانظر هدى النيرين ١ / ٣٠ .
(٣) سورة المائدة / ٣ .
(٤) الوفا / ١ / ٣٧ .

أعناقهم تواضعا لله تعالى فعلى هذا القول الأغلال غير مستعارة [١] .

تلك بعض معالم الرسالة المحمدية بنص التنزيل على وجودها فى نعت الرسول ﷺ فى التوراة والإنجيل وبها نختم حديثنا الليلة عن سيرة سيد الخلق راجيا من أبنائنا وبناتنا أن يعلموها ويستفيدوا منها فهى أفضل بكثير من سير الفنانين وغيرهم هدانى الله وإياكم . وإلى الملتقى فى حديث الأربعاء القادم إن شاء الله .

* * * * * * * * *

(١) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازى ١٥ / ٢٧ ، ٢٨ .

الدرس السادس درس " السبت"

فى الأحوال الشخصية وأحكام الأسرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لله وصلاة وسلاما على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ . وبعد ،

فيا إخوانى فى الله ويا أحبابى فى رسول الله ﷺ .

فهذا هو موعد لقاءى بحضراتكم حول أحكام الأسرة فى الشريعة الغراء ولقد ختمنا الحديث فى اللقاء السابق عن بعض العقبات التى تعرقل الزواج ومنها مؤخر الصداق ونواصل الحديث مع حضراتكم حول هذا الموضوع الحيوى الشائك ألا وهو أحكام الأسرة فى ظل الإسلام .

أيها المؤمنون الأحبة . لقد أبدلنا مولانا رسول الله ﷺ بخير من ذلك بما يضمن للبنت أمنها واستقرارها فقال صلوات ربى وسلامه عليه : «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه . . .** » الحديث .

وينصحنا سبط رسول الله ﷺ . سيدنا ومولانا الحسن ابن الإمام على حيث يقول : (زوج بنتك ممن يتق الله فإن أحبها أكرمها وإن كرهها لم يهنها) [1] .

أيها المؤمنون الأحبة . من أراد السعادة لابنته فعليه أن يسير وراء سيدنا رسول الله ﷺ وآل بيته ، ومن أراد التعاسة والشؤم والخراب فعليه بالسير وراء العرف الفاسد الظالم .

أيها المؤمنون الأحبة ، رفقا بأنفسكم ورفقا بأبنائكم وبناتكم ، واعلموا أن لمؤخر الصداق أحكامه ، نقف معها حينما نتحدث عن الصداق .

والآن نتكلم عن الصفة الخامسة : وهى أن تكون المرأة ولودًا فإن عرفت بالعقم فلا يحسن تزوجها لما مر فى الأحاديث السابقة ، والولود تعرف من زواجها السابق إن

---

(١) انظر الحياء ٣ / ٥٤ .

كانت ثيِّبًا . كما تعرف من صحتها وشبابها - وإن كانت عذراء فمع الصحة والشباب يغلب توقع الولد .

الصفة السادسة : يحسن أن تكون بكرا ، وقد مر حديث جابر الذى قال له النبى ﷺ : «**هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك**» . ذلك أن البكر تتوفرها مزايا لا توجد فى غيرها .

فمن هذه المزايا أن البكر تقبل على زوجها وتحبه وتألفه فيتحقق الود الذى أشار إليه النبى ﷺ بقوله : «**عليكم بالودود الولود**» [1] .

والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف .

أما الذى اختبرت الرجال قبل ذلك فقد لا ترضيها بعض الخصال التى تحبها فى زوجها متعارضة مع خصال الزوج السابق .

ومنها : أن بكارتها أتم من مودته لها لأن الطبع غالبا ينفر عن التى مسها غير الزوج .

ومنها : أن البكر ليس لها زوج سابق تحن إليه وتتذكره بين الحين والحين .

الصفة السابعة : النشأة فى منبت حسن وهى النسيبة أى المنسوبة إلى أهل بيت معروف بالصلاح والدين وقد نهى النبى ﷺ عن تزوج المرأة الحسناء التى تنبت فى منبت سيىء فقال : «**إياكم وخضراء الدمن . فقيل وما خضراء الدمن؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء**» [2] .

الصفة الثامنة : ألا تكون من القرابة القريبة ، فإن ذلك يقلل الشهوة ومما يدل على ذلك ما ورد أن سيدنا عمر رضى الله عنه رأى قوما من قريش قد ضعفت بنيتهم وضوت جسومهم فقال : ما لكم صغرتم؟ قالوا : قرب آباؤنا من أمهاتنا ، قال : صدقتم .

وقد روى ابن أبى مليكة عن عمر قوله : يا بنى السائب . . . إنكم قد أضويتم

---

(١) أخرجه أبو داود والنسائى من حديث معقل بن يسار "تزوجوا الودود الولود" وإسناده صحيح .

(٢) رواه الدارقطنى .

فانكحوا فى النزائع .[١] .

وروى الأصمعى عن رجل قال: بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضرب رؤوس الأبطال كابن الأعجمية .

وتعليل ذلك من الناحية النفسية: أن الوجه المألوف لا يثير الشهوة غالبا وإنما تنبعث الشهوة بقوة الإحساس واللمس ، ويقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد ، فأما المعهود الذى دام النظر إليه فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثير به .

وهناك تعليل آخر عن نكاح القريبة تنبه له بعض الفقهاء فقالوا: ضعف النسل المترتب على الزواج من القرابة القريبة يكون بسبب تثبيت الصفات الوراثية لأنه يزيد من احتمال ظهور هذه الصفات . فإذا كان الزوجان يحملان صفات متوارثة كالقصر وضعف البصر مثلا فإنها تظهر حتما فى أولادهما بفعل قانون الوراثة .

وعلى كل فليس النهى على إطلاقه فقد ثبت أن النبى ﷺ تزوج ابنة عمته زينب بنت جحش . كما زوج ابنته السيدة فاطمة من ابن عمه على بن أبى طالب .

وختاماً لحديثى عن صفات المرأة أقدم لكم هذا الحديث الشريف الذى يكشف لنا عن أشياء فى المرأة يجب أن نتجنبها .

أخرج الديلمى عن زيد بن حارثة أن رسول الله ﷺ قال له: «**تزوج تزد عفة مع عفتك ولا تتزوج خمسة . شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هندرة ولا لفوتا**» . قال: يا رسول الله لا أدرى مما قلت شيئا .

قال: "ألستم عربا ؟" أما الشهبرة: "فالطويلة المهذولة" .

وأما اللهبرة: فالزرقاء البدينة ، وأما النهبرة: فالقصيرة الدميمة .

وأما الهندرة: فالعجوز المدبرة ، وأما اللفوت: فذات الولد من غيرك [٢] .

عرفت أيها الشاب فالزم حتى تتجنب المتاعب وتتوقى سوء العاقبة فما جلب لنا

---

(١) رواه أبو نعيم فى فضل النفقة على البنات ، وانظر إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، ومنهج السنة فى الزواج الدكتور/ محمد الأحمدى أبو النور/ ٣٢٨ .

(٢) رواه الديلمى .

الشؤم والفساد والبغض والشقاق إلا بعدًا ورغبة عن هدى الإسلام وتوجيهاته التى بينت لنا كيف نختار الزوجة .

وإذا كانت سنة النبى ﷺ وجهتنا لاختيار الزوجة الصالحة فهى توجهنا إلى اختيار الزوج الصالح فهناك شروط وضعها سيد الخلق وهناك شروط وضعها الخلق .

وقبيل أن تعلم الشروط التى وضعها سيد الخلق لابد أن نقف عند الشروط التى وضعها الخلق لاسيما فى عصرنا هذا .

فالناس يشترطون الفتاة أن تكون جميلة وذات حسب وذات مال وقد مر بك فى سنة النبى ﷺ عاقبة هذه الشروط .

كذلك يشترطون فى الزوج كونه غنيا ذا حسب ونسب صاحب رتبة عالية كونه شيكا فى منظره ذو شعرات تشبه أوراق الشجر تتميز تلك الشعرات بطول يشبه شعر النساء ، وهذا هو ما فى عصرنا الحاضر حتى إن بعض الشباب إن رأيته طويلا وهندامه حسنا تعثر عليك أن تميزه عن النساء وهذا لا يصون للبنت عرضا ولا يعرف لها قدرا فهو مذواق مطلاق سبّاب للدين والملة بعيد عن أبواب المساجد قريب من أصحاب السوق والسماسرة ومن ذوى السهر والمجون .

لا تفرح أيها الأب وأيتها الأم بفخامة رتبته وشهرة أهله لأنه لا يعرف لبنتكم أدنى قدر لأنه ما تزوج حبا فى الله ورسوله وإنما لأنه صاحب شهوة بهيمية .

وقد مر بك فى هذا الدرس قول سيدنا الحسن حيث نصحك أن تختار الشاب القريب من الله حتى إن أحبّ البنت أكرمها وإن أبغضها لم يهنها .

ثم يخبرنا الحبيب المصطفى بشرطين جليلين فى الشاب فيقول : «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**» [1] .

ثم تنبأ لنا بمخالفة تلك الشروط فقال : ﴿ **إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ .

---

(١) رواه النسائى وأبو داود وأورده الترمذى بلفظ آخر .

الشرط الأول: أن يكون متدينا وليست حقيقة تدينه بإطالة اللحية وقصر الثوب ومسك السواك كلما جلس بين الناس ، ولا باستعمال المسبحة فى كل جلساته ولا بأدائه صلاة من الصلوات ، وإنما يعرف بمعاملته وحسن صحبته وهذا يتأتى بالسؤال عنه وذلك عن طريق أقرب أصدقائه .

فقد سأل سيدنا عمر بن الخطاب عن أحد الناس: فقال: من يعرف هذا ؟

فقال أحد الجالسين أنا يا أمير المؤمنين فقال له: أجاورته فى مسكن؟ قال: لا . أسافرت معه ؟ قال لا : هل استقرضت منه مالا ؟ قال: لا . . . إلخ أسئلة أمير المؤمنين ، ثم قال له: لعلك رأيته يركع ركعات . قال: نعم ، قال له: أنت لا تعرفه .

ويا لها من بصيرة نيرة فاز بها الفاروق عمر فإننا اليوم نجد الشعارات الزائفة بالحج عدة مرات وبادعاء الصلاة وباللحية الكثيفة والسواك والمسبحة وبكثرة الكلمات الدينية والخطب المفوهه وكل ذلك على غير أساس سليم وعلى غير عرى الإيمان وقواعده الثابتة .

يا أحباب الله ورسوله ، اعلموا جيدا أن الدين المعاملة فلا تغتروا بالشعارات التى فشت فى مجتمعنا وأهلها ليسوا من الدين الصادق فى شىء .

الشرط الثانى: الخلق:

والرسول الكريم ﷺ يقول: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» [1] .

ولذا كانت تزكية الحق له بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [2] .

وإذا كانت لى وصية فى درس الليلة فإنما تكون للزوج وللزوجة .

فيا أيها الزوج يا من تسأل عن خطيبتك بقولك: ما هى؟ ومن أبوها؟ ومن عمها؟ وإذا مات أبوها فكم ترث ؟ يا من تحرص على الزواج من المتبرجة اعلم أن ذلك متاع زائل .

---

(١) أورده مالك فى الموطأ وأحمد فى مسنده بلفظ آخر .

(٢) القلم: ٥ .

أيتها الفتاة : يا من تحرصين على الزواج من شاب ما عرف لله حقا ، وإنما اكتفيت بطول شعره ، وبارتدائه السلسلة ، وبهندام منظره ، وشهرة عائلته ، وعلو رتبته الأفضل لك أن تختارى الزوج الصالح وهذا هو الأفضل لك والذى تضمنين معه مستقبلا طيبا مباركا فى عش الزوجية النير .

وخذوا من الأحداث التى تنشر على صفحات وكالات الأنباء والجرائد الرسمية التى تطالعنا صفحاتها بكل جديد يؤسف له . فاليوم نسمع عن زوج أهان زوجته من أجل الخمور والحشيش والإدمان .

وبالأمس استمعنا إلى زوجة هددت زوجها بالقتل بل وقتلته .

وفى الغد نسمع عن أولاد تشردوا وأصيبوا بالدمار من أجل الزوجين اللذين بينهما وبين الدين مسافة بعيدة .

حكموا الدين ثم حكموا العقل وإياكم والمظاهر الكذابة والبراقة حتى نسير إلى الأمام قدما .

أيها المؤمنون الأحبة : هذه وقفة كان لابد لى أن أقفها معكم وذلك للأمور الخطيرة التى أودت بكم إلى الدمار والهلاك فهل من رجعة إلى الله ؟

اللهم إنا نسألك أن تشرح الصدور بالامتثال إلى أوامر علام الغيوب وبجاه النبى المحبوب سيدنا ومولانا محمد ﷺ الشفيع لنا من كثرة الذنوب .

أما الآن وبعد هذه الوقفة حول أحوال السنة فى الزواج . تعالوا بنا نعيش حول فقه الأسرة المسلمة لنعلم بفضل ما لنا وما علينا حتى نجتنب تلك الرزائل التى استوقفتنا منذ قليل .

يا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ، تعالوا بنا لنبدأ تلك الأحكام بالخطبة وما يتعلق بها من أحكام فقهية لابد من معرفتها .

اعلموا أيها المؤمنون الأحبة أن الخطبة ما هى إلا وعد بالزواج وليست عقدا شرعيا يبيح لنا الخلوة والاستمتاع ، فإننا اليوم نلاحظ على ولىّ أمر الفتاة وعلى الشباب أنهم بمجرد إتمام الخطبة يصرح للولد الشاب أن يخرج بخطيبته إلى المتنزهات

وحدائق الحيوانات ، ونجد غير ذلك من الرحلات التى تعرفونها وقد يذهب بها إلى ستوديو التصوير ليلتقط لها المصور صورا تذكارية وما أدراك ما تلك الصور التذكارية ولا سيما إذا ما كانت هناك قطيعة بفسخ الخطبة مستقبلا حينئذ تهدد الفتاة وأهلها بهذه الصور التى تمت بموافقة المغفلين من أهل الفتاة المخطوبة والذين تركوا العنان للبنت وخطيبها يخرجان متى شاءا حيث شاءا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

يا أحباب الله ورسوله إن الفقهاء قد عرّفوا الخطبة بأنها :

(وعد متبادل بين الرجل والمرأة أو بين الأولياء على الزواج فى المستقبل) وقد جرت عادة الناس منذ القدم على اتباع هذا العمل والإسلام جرى على ذلك أيضا وقد اهتم الإسلام بموضوع الخطبة اهتماما بالغا سبيل إلى الزواج الذى شرعه الله لعباده ليقوموا بتعمير الكون تحقيقا لقوله تعالى على لسان سيدنا صالح عليه السلام: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ** ﴾[١] .

ثم اعلموا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ أن للخطبة شروطاً أهمها شرطان :

الشرط الأول : ألا يكون هناك مانع شرعى من الزواج بها فى الحال ، والمانع الشرعى قد يكون بسبب كونها مشغولة بحق الغير أو محرمة عليه تحريما مؤبدا أو تحريما مؤقتا .

فالمرأة المتزوجة لا تحل خطبتها لأنها مشغولة بحق زوجها وكذلك إذا طلقها زوجها طلاقا رجعيا ولم تنتهى عدتها من هذا الطلاق ، وكذلك المرأة المحرمة على الرجل تحريما مؤبدا كأمه وأخته وعمته وخالته أو تكون محرمة تحريما مؤقتا كأخت زوجته التى معه .

الشرط الثانى : ألا تكون المرأة التى يريد الرجل خطبتها مخطوبة لغيره خطبة تامة فإن كان كذلك فلا تكون خطبتها مباحة وإنما تكون محرمة بالأحاديث التالية :

فمن ذلك قوله ﷺ : «**لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك**» [٢]

---

(١) هود : ٦١ .

(٢) رواه البخارى .

وفى رواية أخرى قال: «**لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب**» (١).

أما لو وقع هذا فما الحكم؟ فالحكم أن يفسخ نكاحها من الثانى وترد إلى الأول وجعل الفقهاء هذا من مبطلات عقد النكاح إلا أن بعض الفقهاء قد جعل هذا العقد لا يبطل إن وقع وإن كان فاعل هذا يستحق العقاب والتعزير .

حكم النظر إلى المرأة قبل الخطبة

يجب على من وقع فى قلبه امرأة أن ينظر إليها قبل التقدم لخطبتها فإن ذلك من أسباب الارتباط والمحبة . وقد أمرت سنة سيدنا ومولانا محمد ﷺ بذلك . فعن سيدنا المغيرة ابن شعبة أنه خطب امرأة فقال له النبى ﷺ: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**» (٢) .

وعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه قال: خطب رجل امرأة فقال له النبى ﷺ: «**انظر إليها فإن فى أعين الأنصار شيئا**» (٣) .

وقال المصطفى ﷺ: «**إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**» (٤) .

فها أنت أخى المسلم ترى أن سنة المصطفى ﷺ تحث الخاطب على النظر إلى المخطوبة ، إلا أن أئمتنا اختلفوا فيما ينظر إليه منها .

فيرى الإمامان مالك والشافعى أن المنظور إليه: الوجه والكفان ، وإذا ما أراد أن يتعرف على شىء غير الوجه والكفين فذلك يتم بمعرفة أمه أو أخته أو محارمه من النساء وزاد أبو حنيفة رضى الله عنه النظر إلى القدمين . أما الحنابلة فقد قالوا: يجوز النظر إلى ما قد ظهر منها كالرقبة أو ما ماثل ذلك . والذى نميل ونرجحه ما ذهب إليه الإمامان الجليلان مالك والشافعى .

---

(١) رواه أحمد والنسائى .

(٢) رواه الخمسة إلا أبى داود .

(٣) رواه أحمد والنسائى .

(٤) رواه أحمد وأبو داود وأخرجه الشافعى وعبدالرزاق والحاكم وصححه وقال الحافظ الذهبى: رجاله ثقات .

" حكم الخلوة بالمخطوبة "

من العادات السيئة فى هذا الزمان خلو الخاطب بمخطوبته بل وربما أخذها وذهب إلى المصايف وغير ذلك من الأماكن التى أشرنا إليها سابقا فى هذا الدرس .

لأن الحضارة التى نعيشها تقتضى ذلك وإلا كان متأخرا رجعيا لا يعرف عن الحضارة شيئا . والأحرى بنا أن نسميها قزارة وليست حضارة . ولاشك أن أهل الفتاة الذين يرتضون هذا الصنيع ويحمدونه لاشك أنهم مخطئون وآثمون .

وأقول لهذا الوالد إنك ديوس ، والديوس هو الذى لا يغار على عرضه .

ومن أين لك أن زواج ابنتك من هذا الشاب سيتم ، ومن أين لك أنه سيكون أمينا عليها فلو كان فيه مثقال ذرة من الدين ما سمح بهذا الصنيع أبدا .

وإذا كان ديننا الحنيف يحرم الخلوة بالمخطوبة أو بالأجنبية على جهة الإطلاق فالأولى أن يكون سفره معها أشد حرمة .

فعن سيدنا جابر رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلوّن بامرأة ليس معها ذو محرم فإن ثالثهما الشيطان**» [١] .

وعن سيدنا عقبة بن عامر أن الرسول ﷺ قال : «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أفرأيت الحمو ؟ فقال : «**الحمو الموت**» [٢]

أيها الأحباب وقد يسأل البعض منكم عن المراد بالحمو . . نقول أن المراد به أبو الزوج أو أخوه . فهؤلاء لا يجوز لهم الذهاب إلى زوجة الابن أو زوجة الأخ فى غيبته وليس هناك معها أحد وهذا ما يحدث فى بعض العائلات فى البلاد المتحضرة وفى ريف مصر ، إنها الفوضى إنه الشيطان ، إنه الخراب المدمر ، إنه البعد عن هدى الإسلام ونبى الإسلام سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

أيها الأحباب : ونمضى مع الحبيب المصطفى ﷺ لنتعلم من كلامه الأخلاق الرفيعة التى تؤدى بنا إلى دار السلام إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

(٢) رواه الإمام البخارى ومسلم فى صحيحيهما والإمام أحمد فى مسنده .

فعن سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر يوما وليلة إلا مع ذى محرم**»(1)

ومما تقدم من هذا القبس النبوى الشريف نعلم بجلاء أنه يجوز للخاطب أن يجلس مع خطيبته يتحدث إليها وتتحدث إليه وأن يسافر معها وتسافر معه لكن فى وجود أحد المحارم كأبيها أو أخيها أما وحدها فلا يجوز. وهذا محل إجماع بين أهل العلم. وكيف يقول أحد من أهل العلم بشىء حرّمه رسول الله ﷺ.

فيا أيها المؤمنون الأحبة: دعونا من الحضارة الغربية، وهيا بنا إلى سنة النبى خير البرية فإن فيها السعادة الأبدية. يقول المولى عزو جل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا** ﴾(2).

ويقول أيضا: ﴿ **وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾(3).

أيها المؤمنون، رجاءى من الله عز وجل أن ننتفع بدرس الليلة لنسعد فى دنيانا وأخرانا لأن ما سمعناه الليلة إما أن يكون حجة لنا أو علينا أمام الله عز وجل، فلو أننا عملنا به لفزنا بالنعيم المقيم وكنا فى الآخرة فى صحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

ولو أننا خالفنا ما سمعناه لكان المصير هو الخزى والندامة. نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة، لأن بعض الناس عندما يستمع إلى هذا الكلام يقول: أين نحن من هؤلاء القوم إنهم الصحابة ولكننا اليوم قد تغير حالنا وأصبح الناس يتبعون المدنية والحضارة وأقول لهؤلاء: ليس هناك أطهر ولا أنظف من حضارة الإسلام فهى الهدى والعفاف والتقى. سيروا وراء سيد الناس ودعوكم من فُسّاق الناس فليس وراءهم إلا الدمار والفساد. وفقنى الله وإياكم إلى مرضاته وجعلنا جميعا من أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وإلى الملتقى فى السبت القادم إن شاء الله. والله أعلم.

* * * * * * * * *

---

(1) رواه الإمامان البخارى ومسلم فى صحيحيهما.
(2) الأحزاب: ٧٠.
(3) النساء: ١.

الدرس السابع درس "الأحد"
فى تفسير الكتاب العزيز
تابع: سورة الفاتحة
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته ومن تبعهم بصدق وإحسان إلى يوم الدين .

ثم أما بعد :

فيا إخوانى فى الله : ويا أحبابى فى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

الليلة يتجدد الحديث معكم حول تفسير الكتاب العزيز ومع أمّ القرآن سورة الفاتحة :

فقد توقفنا بحضراتكم فى اللقاء السابق عند مكان وزمان نزول سورة الفاتحة وقد اختلف العلماء فى ذلك على ثلاثة أقوال :

القول الأول : وهو مذهب أكثر العلماء إلى أنها مكية ويؤيد ذلك ما جاء فى سورة الحجر من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [1] . والحجر مكية بالإجماع . وقد امتن الله فيها على رسوله ﷺ بالفاتحة وذلك دليل على تقدم نزولها .

ومما يدل على أنها مكية النزول أن النبى ﷺ أقام بمكة بضع عشرة سنة وليس من المعقول أن يمضى بمكة هذه المدة بغير سورة الفاتحة ويقول مولانا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : " نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش " [2] .

القول الثانى : ذهب بعض العلماء أنها نزلت بالمدينة وروى هذا عن مجاهد رضى

---

(١) الحجر : ٨٧ .

(٢) أسباب النزول للواحدى ١٧ .

الله عنه .

القول الثالث : ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الفاتحة نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة . ومرة بالمدينة حين حُولت القبلة . ولهذا سماها الله بالمثانى . ولا يقال بأن نزول الفاتحة مرتين تكرارا ، فإن سورة الفاتحة تعددت قراءاتها فمرة نزلت بـ (مالك يوم الدين) ومرة نزلت بـ (ملك يوم الدين) . وهما قراءتان عشريتان متواترتان .

ومن أجل . ذلك أيها المؤمنون فإننا نميل إلى هذا القول . وبذلك تكون الفاتحة مكية مدنية [1] .

فضل السورة الكريمة

أيها الأحباب . إذا كنا بفضل الله تبارك وتعالى قد علمنا أن السورة مكية مدنية فأرى لزاما على أن أعرض بعون الله إلى فضل السورة الكريمة فى سنة نبينا محمد ﷺ .

وإذا كانت سور القرآن فاضلة مفضالة ذات مكانة عالية إلا أن فاتحة الكتاب هى أساس القرآن والسورة الجامعة لمقاصده فكان حقها مزيد الفضل والشرف رزقنا الله وإياكم بركتها .

يا أحباب الحبيب المصطفى :

لقد تكفلت سنة نبينا المصطفى ﷺ بذكر فضل السورة الكريمة فمن ذلك ، ما روى عن سيدنا سعيد بن المعلى أنه قال : (كنت أصلى فدعانى النبى ﷺ فلم أجبه . قلت : يا رسول الله إنى كنت أصلى . قال : **«ألم يقل الله : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ؟»** ثم قال : **«ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد»** . فأخذ بيدى فلما أردنا أن نخرج قلت : يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة من القرآن قال : **«الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته»** [2] .

وعن سيدنا أُبى بن كعب مرفوعا : (ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الإنجيل مثل أم

---

(١) تدبر أسرار التنزيل . د / جوده المهدى ١٨ / ٢٠ .

(٢) البخارى كتاب التفسير ٦ / ٢٣١ ، ٢٣٢ ط الشعب .

القرآن وهى السبع المثانى) [١] .

وعن سيدنا عبدالله بن جابر أن رسول الله ﷺ قال له : **«ألا أخبرك يا عبدالله بن جابر بأخير سورة فى القرآن ؟»** قال : قلت بلى يا رسول الله قال : **«اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختمها»** [٢] .

أيها الأخ الكريم ، كانت هذه طائفة من الأحاديث الشريفة الدالة فى فحواها على فضيلة السورة المباركة ، ولاشك أن من شرف السورة الكريمة ما تكفلت به السنة المطهرة والتى حفلت بها كتب التفاسير فى كثرة أسماء السورة المباركة .

" أسماء السورة الكريمة "

أيها المؤمنون الأحباب للسورة الكريمة الكثير من الأسماء فمن ذلك :

١ - فاتحة الكتاب . وقد ورد هذا الاسم فيما رواه ابن جرير بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : **«هى أم القرآن وهى فاتحة الكتاب وهى السبع المثانى»** [٣] .

وإنما سميت فاتحة الكتاب لأنه يفتح بكتابتها فى المصاحف فهى فواتح لما يتلوها من سور القرآن فى الكتابة والقراءة والتعليم . وقيل لأنها أول سورة كتبت فى اللوح المحفوظ . وقيل لأنها أول سورة نزلت وقيل غير ذلك [٤] .

٢ - أم القرآن : وهو اسم توقيفى أيضا ورد فى الحديث السابق . وسميت بذلك لتقديمها على جميع سور القرآن تقدم الأم على ولدها . ولانطوائها على جميع أغراض القرآن ومقاصده كما سنوضحه بعد .

٣ - السبع المثانى : فأما تسميتها سبعا فلأنها سبع آيات بالاتفاق وتسميتها بالمثانى

---

(١) أخرجه الترمذى ٥ / ١٥٥ ط/ الحلبى ولفظه عنده (والذى نفسى بيده ما أنزلت فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها وإنها سبع من المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته) وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ / ٢٥٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٤ / ١٧٧ .

(٣) الإتقان للإمام السيوطى بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١ / ١٥١ .

(٤) تفسير الطبرى - تفسير القرطبى - ورواه النسائى .

لأنها تثنى قراءتها فى كل صلاة . وقيل لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة . وقيل لما فيها من الثناء على الله عز وجل .

فاللفظ مشتق من الثناء وقيل لأن الله تعالى قد استثناها لهذه الأمة .

٤ - القرآن العظيم : بدليل الحديث الوارد عن البخارى السابق ذكره فى فضائلها :

« . . . . . **هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته**» الحديث

وقد سميت بذلك لتضمينها جميع علوم القرآن ومقاصده .

٥ - الصلاة : وقد وردت بهذا الاسم فى حديث قدسى جليل : «**قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين . . .** »[١] الحديث . وذلك لاتصال العبد بربه بقراءتها والدعاء فيها بعد الحمد والثناء للذات العلية مما تفردت به حتى كانت ركنا تتوقف الصلاة عليها على ما ذهب جمهور الفقهاء . خلافا للأحناف الآتى قريبا إن شاء الله .

٦ - الكنز : لما روى عن سيدنا أنس مرفوعا : «**إن الله أعطانى فيما منّ به علىّ : إنى أعطيتك فاتحة الكتاب وهى من كنوز العرش**»[٢] .

٧ - الأساس : لأنها أول سورة من القرآن ولاحتوائها أصول مقاصد التنزيل وقد حكى الإمام القرطبى : أن رجلا شكا للشعبى وجع الخاصرة فقال له : عليك بأساس القرآن فاتحة الكتاب ثم ذكر أنه سمع الإمام ابن عباس رضى الله عنه يقول : « . . .**أساس الكتب القرآن وأساس القرآن الفاتحة**»[٣] .

٨ - الكافية : سميت بذلك لأنها تكفى عن غيرها ولا يكفى غيرها عنها فعن سيدنا عبادة أن النبى ﷺ قال : «**أم القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها منها عوض**»[٤] .

---

(١) مسلم كتاب الصلاة ٤ / ١٠١ ، زاد المسير فى علم التفسير الإمام ابن الجوزى ١ / ٧ .
(٢) البيهقى فى شعب الإيمان ، والإتقان ١ / ١١٠ .
(٣) القرطبى ١ / ١٣١ .
(٤) الدارقطنى والحاكم والسيوطى فى الجامع الصغير .

٩ - الوافية : فهى وافيه لما فى القرآن من المعانى ولا تقبل التصنيف وقد عزيت هذه التسمية إلى الإمام سفيان بن عيينة .

١٠ - الشفاء والشافية : فعن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : «**فاتحة الكتاب شفاء من السُّم**» [١] .

وعن جابر بن عبدالله : «**فاتحة الكتاب شفاء من كل داء إلا السام**» [٢] والسام هو الموت .

١٢ - الرقية : فعن أبى سعيد الخدرى قال : كنا فى مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحى سليم وإن نفرنا غيب . فهل منكم راق فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية فرقاه فبرأ فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا ، فلما رجع قلنا له : أكنت تحسن رقية؟ فقال : لا ما رقيت إلا بأم الكتاب . قلنا : لا تحدثوا شيئا حتى نأتى أو نسأل رسول الله ﷺ فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبى ﷺ فقال : «**وما يدريه أنها رقية**» . فقال : «**اقسموا واضربوا لى بسهم**» [٣] .

١٣ - الحمد . ١٤ - الشكر . ١٥ - المناجاه . ١٦ - الدعاء .

١٧ - تعليم المسألة . ١٨ - السؤال : وذلك لاشتمالها على كل ذلك .

١٩ - التفويض : لاشتمالها عليه فى قوله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ .

٢٠ - النور : إذ هى نور القلوب والعقول والأرواح نور لا يراه إلا أهل القرب من أولياء الله تعالى . جعلنا الله تعالى منهم فى الدارين [٤] .

أيها المؤمنون الأحبة : تلكم هى بعض أسماء السورة الكريمة وقد اكتفينا بهذا القدر من أسمائها فنحن لم نحص كافة أسماء السورة الكريمة وإلا فقد قال الإمام

---

(١) الإمام البيهقى .
(٢) البيهقى ، وانظر تخريجه فى كنوز الحقائق للإمام المناوى بهامش الجامع الصغير ٢ / ٢٤ ط/ الحلبى .
(٣) صحيح الإمام البخارى ٦ / ٢٣١ ط/ الشعب .
(٤) تدبر أسرار التنزيل للأستاذ الدكتور / جوده محمد أبو اليزيد المهدى ١ / ١٨ .

السيوطى : " وقد وقفت لها على نيّف وعشرين [1] اسما وذلك يدل على شرفها فإن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وما ذكرناه من هذه الأسماء فيه كفاية لعدم الإطالة على حضراتكم .

أما الآن فمع مقاصد السورة الكريمة لنعرف من خلال ذلك عظم قدرها إن شاء الله رب العالمين .

" مقاصد السورة الكريمة "

يا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ، لقد ذكرنا لكم أن من أسماء سورة الفاتحة : " أم الكتاب أو أم القرآن " ذلك لأنها السورة الجامعة المانعة والتى حوت مقاصد الكتاب العزيز .

ومن أجل ذلك قُدمت على كافة السور . نعم فلقد تضمنت هذه السورة معانى القرآن العظيم واشتملت على أصول الدين وفروعه وتناولت العقيدة والعبادة والتشريع والإيمان بالبعث وبصفات الله الحسنى وإفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء والإرشاد إلى طلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم وتجنب طريق المنحرفين عن هداية الله تعالى ولقد روى عن الإمام السيوطى فى الإتقان عن سيدنا الإمام الحسن البصرى أنه قال : " إن الله أودع علوم الكتب السابقة فى القرآن ثم أودع علوم القرآن فى الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة " [2] .

يا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ، إن حاصل جميع الكتب السماوية إلى أمور ثلاثة : الأول : إما الثناء على الله باللسان .

الثانى : الاشتغال بالخدمة والطاعة . الثالث : طلب المكاشفات والمشاهدات .

فقوله : ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ كله ثناء على الله وقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ اشتغال بالخدمة والعبودية إلا أن الابتداء وقع بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وهو إشارة إلى الجد والاجتهاد فى العبودية ثم

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطى .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطى ٤ / ١٢٠ ورواه البيهقى .

قال: ﴿ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وهو إشارة إلى اعتراف العبد بالعجز والزلة والمسكنة والرجوع إلى الله. وأما قوله: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ فهو طلب المكاشفات والمشاهدات وأنواع الهدايات [١].

أيها الأحباب: لقد جاء القرآن الكريم مبينا للتوحيد والثناء عليه سبحانه. وبيان اليوم الآخر ثم بالعبادة له سبحانه ثم بتعليم الدعاء ثم بالتاريخ وهذا كله حَوَتْهُ سورة الفاتحة وأشارت إليه بإيجاز ثم أتت بقية السور لتفصل لنا ما أجملته تلك السورة المباركة.

وأما التوحيد: فهو يظهر ويتجلى في قوله سبحانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فالحمد لا يكون إلا له وحده والثقة لا تكون إلا به، والتوكل لا يكون إلا عليه فهو المنفرد بالوحدانية ولا رب سواه ولا عين تراه ولا خطر على قلب بشر.

وأما الثناء عليه سبحانه: فهو ظاهر في قوله سبحانه: ﴿ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾.

وأما اليوم الآخر وما فيه: من ثواب وعقاب فهو جلي في قوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾، وأما العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج فقد تكفل به قوله الجليل: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

وأما الدعاء ففي قوله تعالى: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾.

ولما كان التاريخ منقسما إلى قسمين: تاريخ الأصفياء، وتاريخ الأغبياء أشار إلى الأول بقوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾ وهم النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا حشرنا الله في زمرتهم. آمين، وأشار عز وجل إلى القسم الثاني بقوله تعالى: ﴿ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ أي اليهود والنصارى وكل من كان على شاكلتهم. وكأني بالمولى عز وجل قد بين تلك المقاصد الجليلة ولك أن تتصور أخي القارئ هذا الإبداع الجليل الذي يعجز القلم عن وصفه وكأن المولى سبحانه وتعالى يريد أن يكون المراد من ذلك القول بأنه: " إليكم الموجز من سورة الفاتحة ثم الأخبار بالتفصيل من بقية سور القرآن الكريم ".

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي ١ / ٨٩.

أيها الأحباب هذا هو الحديث عن مقاصد القرآن الكريم والذى تكفلت بذكره فاتحة الكتاب ولكن ما حكم قراءة الفاتحة فى الصلاة ؟

" حكم قراءة الفاتحة فى الصلاة "

إخوانى فى الله وأحبابى فى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ رأيت لزاما على أن لا نأتى إلى سورة الفاتحة شارحين ومفسرين إلا بعد ذكر حكم قراءتها فى الصلاة . نعم فلقد اختلفت كلمة الفقهاء حول حكم قراءة الفاتحة فى الصلاة ، وذلك فيما إذا كانت مفروضة على التعيين فلا يقوم مقامها غيرها من الآى ، أو أنها دون ذلك من حيث الفرضية . وهذا ما سنعرض فيه الأقوال والمذاهب فنقول:

قال الأحناف [١] : إن ترك المصلى قراءة فاتحة الكتاب وقرأ غيرها فقد أساء وتجزيه صلاته . ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ [٢] .

وذلك عام فى صلاته ويشمل صلاة الليل وغيرها من النوافل والفرائض لعموم اللفظ ، ونزول الآية فى شأن صلاة الليل لم يمنع لزوم حكمها فى غيرها من الفرائض والنوافل . كان هذا هو رأى فقهاء المذهب الحنفى بينما يرى جمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين وتابيعهم ومنهم المالكية[٣] والشافعية [٤] والحنابلة . أن قراءة الفاتحة فى الصلاة واجبة وأنها متعينة دون غيرها فى كل ركعة فى حق كل مصل سواء كان منفردا أو إماما أو متنفلا أو مفترضًا . وهذا هو الصحيح الذى نميل إليه وذلك لما رواه سيدنا عبادة بن الصامت رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»** [٥] ولقوله ﷺ: **«من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج " ثلاثا " غير تمام» . فقيل لأبى هريرة: إنا نكون وراء الإمام: فقال: «إقرأ بها فى نفسك»** .

---

(١) أحكام القرآن لأبى بكر الجصاص الحنفى ١ / ١٨ ، ١٩ ، وانظر بدائع الصنائع ١ / ١١٥ ، وانظر الهداية للمرغيناتى ١/٥٣ .
(٢) المزمل / ٢٠ .
(٣) أحكام القرآن للإمام أبو بكر بن العربى ١/ ٢ ، ٣ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى: ١١٩١ .
(٤) مسلم (٢٩٢١) والبخارى (٢٧٦٢) وانظر جامع الأصول لابن الأثير (٢٢٣٦) .
(٥)رواه الإمام مالك فى الموطأ والإمام مسلم فى صحيحه ورواه الترمذى والنسائى .

وعلى هذا فإن من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فإن صلاته باطلة على رأى جمهور الفقهاء وهو الذى لا عدول عنه إن شاء الله رب العالمين إذ لم يثبت عنه ﷺ أنه صلى صلاة بغير الفاتحة . ولا هدى إلا هديه ولا اقتداء إلا به ﷺ . هذا بالنسبة للإمام والمنفرد " الذى يصلى وحده " أما المأموم فإنه لابد له من القراءة فى الصلاة الجهرية والسرية على السواء وهذا مذهب الإمام الشافعى ومن وافقه وعند الأحناف لا قراءة عليه مطلقا .

وأما المالكية . فاستحبوا للمأموم القراءة فى الصلاة السرية وكرهوا له القراءة فى الصلاة الجهرية . وهذا ما نميل إليه لقول الرسول ﷺ: «**إنما جعل الإمام ليؤتم به فإن كبر فكبروا وإن قرأ فانصتوا**» .[1] .

أيها الأحباب : هذا عن حكم قراءة الفاتحة فى الصلاة للإمام والمأموم والمنفرد .

أما عن التفسير التحليلي لسورة الفاتحة .

فسوف نلتقى به مثل هذا الموعد من يوم الأحد القادم إن شاء الله تعالى إن كان بالعمر بقية .

أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم . نفعنى الله وإياكم بالكتاب العزيز وبصرنا وإياكم بأمور ديننا إنه ربى نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير . وهو حسبنا ونعم الوكيل . ولا حول قوة إلا بالله العلى العظيم والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . والله أعلم .

* * * * * * * *

---

(١) رواه النسائى ، وصححه الإمام مسلم ولم يخرجه فى صحيحه .
قال السندى : هذا الحديث صححه مسلم ولا عبرة بمن ضعفه ، وكأنه يشير بذلك إلى قول أبى داود : هذه الزيادة : "وإذ قرأ فأنصتوا" ليست بمحفوظة . انظر سنن النسائى مع حاشية السندى عليه ٢ / ١٤٢ . وسنن أبى داود ١ / ١٦٥ ، وفقه الإمام سعيد بن المسيب هاشم جميل ١ / ٢٣٠ ، ٢٣١ .

الدرس الثامن درس "الإثنين" فى الحديث النبوى الشريف

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلاما على من أرسله الله رحمة وهداية للخلق أجمعين ، سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة وهداية ونورا للعالمين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا إخوانى فى الله ، يا أحبابى فى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ، سلام الله عليكم ورحمته تعالى وبركاته ، مرحبا بكم فى هذا اللقاء المثمر ، المبارك فى بيت من بيوت الله ، مع حديث سيد الأنبياء والمرسلين ، سيدنا ومولانا محمد ﷺ أجمعين ، نسعد ونستضىء بأنواره الساطعة فعن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ قال : «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**» [1] .

أيها الأحباب ، هذا الحديث من أجل أحاديث البشير النذير ﷺ ولقد أردت أن يكون درسنا الليلة فى رحاب هذا الحديث الشريف لنعلم مدى يسر الدين وسماحته وأنه بعيد عن العصبية والتشدد اللذان رأيناهما فى عصرنا هذا حتى كاد المسلم أن يكره نفسه بسبب هذا التعنت والتعصب الأعمى وليته كان تعصبا على علم وإنما كان هذا التعصب سببه الجهل الفاضح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

من أجل ذلك أردت أن أتناول هذا الحديث وأبين عظمة الإسلام من خلاله فعلى بركه الله نلتقى :

أيها الأحباب ، اعلموا حفظكم الله أن السماحة واليسر هما طابع الدين الإسلامى وميزته الكبرى التى مهدت السبيل أمام دعوته فأخذت طريقها إلى قلوب الناس وعقولهم .

وهو دين البساطة فى عقيدته والسهولة فى تكاليفه وأحكامه فالعقيدة الإسلامية

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه .

لا غموض فيها ولا التواء ، فهى واضحة وضوح الحق سهلة سهولة الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

وإن العقيدة فى الله جل جلاله قائمة على وصفه تعالى بكل جميل وتنزيهه عن كل قبيح وقد أمرنا أن نفكر فى آثار الله فنقرأ آيات القدرة الباهرة فى صفحة هذا الكون البديع لنستدل بذلك على وجود الصانع جل وعلا ونهينا أن نفكر فى ذات الله ، فذاته تعالى فوق العقول التى ألِفت التقدير والتكييف والتشبيه والتحديد بالمكان والزمان والقياس بالأبعاد والمسافات ، ولو أن مسلما لقى ربه وهو يؤمن بأن الله واحد متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص دون أن يعلم ما وراء ذلك من تفصيل فى شأن الصفات لكان إيمانه مقبولا عند الله .

والتكاليف الإسلامية التى كلفنا الله بها سهلة مرنة لا حرج فيها ولا عنت فهى منوطة بقدرة المكلف واستطاعته قال تعالى : ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [١] وقال جل شأنه : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [٢] ويقول العلى القدير : ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾ [٣] .

ولقد كان الرجل من أهل البادية يأتى النبى ﷺ فيسأله عن الإسلام كله فيقول : يا رسول الله : قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك ، فيجمع له الرسول ﷺ الإسلام فى كلمتين اثنتين : «**قل آمنت بالله ، ثم استقم**» [٤] .

ويقول له رجل يا رسول الله ، أرأيت إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئا أدخل الجنة ؟ قال : «**نعم**» [٥] .

ومولانا رسول الله صلوات ربى وسلامه عليه الذى أرسله ربه ليرفع راية العبادة وليبنى على الأرض منارة السنة والفرض .

---

(١) البقرة (٢٨٦) .
(٢) الحج (٧٨) .
(٣) الطلاق ٧ .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه مسلم .

نراه يسوق الناس إلى عبادة ربهم سوقا لطيفا رقيقا فقد جعل الرحمة أفضل وأزكى من الإفراط فى العبادة .

يحدثنا سيدنا جابر رضى الله عنه فيقول : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح إلى مكة فى رمضان حتى بلغ موضعا يقال له : كُراع الغميم .

فصام وصام الناس ولما رأى بعض الناس قد شق عليهم الصيام بسبب وعثاء السفر ، دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب .

ولما قيل له : إن بعض الناس لا يزال صائما ، قال : «**أولئك العصاة ، أولئك العصاة**» [(١)] .

ويحدثنا سيدنا جابر أيضا فيقول : كان النبى ﷺ فى سفر فرأى رجلا قد اجتمع الناس عليه ، وظُلّل عليه فقال : «**ما باله ؟**» قالوا : رجل صائم ، قال عليه الصلاة والسلام : «**ليس من البر الصيام فى السفر وعليكم برخصة الله التى رخص لكم فاقبلوها**» [(٢)] .

وعن سيدنا أنس بن مالك قال : رأى رسول الله ﷺ شيخا يهادى بين ابنيه فقال : «**ما بال هذا ؟**» قالوا : نذر أن يمشى . أى يحج ماشيا . فقال رسول الله ﷺ : «**إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى**» وأمره أن يركب [(٣)] .

وعن سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : أن أخت عقبة نذرت الحج ماشية . وذكر عقبة للنبى ﷺ أنها لا تطيق ذلك .

فقال ﷺ : «**إن الله لغنى عن مشى أختك فلتركب ولتهد بدنة**» [(٤)] .

وهكذا يجعل رسول الله ﷺ سماحة الإسلام ويسره فوق كل اعتبار ، فهؤلاء الذين صاموا فى السفر أو حجوا رجالا وهم ضعفاء يدمغُهم الرسول ﷺ بالعصيان

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أحمد والبخارى ومسلم : «ليس من البر الصيام فى السفر» بدون زيادة «عليكم برخصة الله التى رخص لكم» ففى رواية مسلم عن جابر .

(٣) رواه أبو داود .

(٤) رواه أبو داود .

لأنهم سلبوا الإسلام أفضل محاسنه وحولوا العبادة إلى تعذيب فتخلوا عن أعظم خصائص هذا الدين .

ويكشف الرسول ﷺ عن عظمة الإسلام فيصفه بأنه دين متين يحمل فى ذاته عناصر الخلود والبقاء .

ويوصى أتباعه أن يوغلوا فى هذا الدين برفق فذلك أعون على استقامة النهج وبلوغ الغاية فيقول ﷺ : «**إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى**» (١) .

والمراد بالمنبت : الذى يرهق دابته فى السير ولا يرفق بها حتى تهلك فى وسط الطريق فلا هو بلغ غايته ولا هو أبقى على دابته .

وإنك لا تكاد تجد زاجرا عن التنطع والغلو فى الدين أبلغ من هذا التشبيه .

فإن المتعمق فى الدين الذى يكلف نفسه فوق ما تطيق كالذى ركب دابة يريد سفرا طويلا ، فإن أكره راحلته على قطع الطريق دفعة واحدة بغية الوصول إلى غايته فى أقرب وقت فلا شك أن راحلته ستهلك أو سيبقى وحده يقلب كفيه ندما ، ولات حين مندم .

أما إن ركبها مع الرفق بها والترويح عنها ساعة بعد ساعة فإنه سيصل إلى نهاية الطريق فى أمن وسلامة .

فإن أسلوب كهذا الأسلوب النبوى الذى دعا به رسولنا العظيم إلى الاقتصاد فى الأمر والاعتدال فى العبادة وعدم التشدد فى أمور الدين .

إن الإسلام يحمى بذلك حقوق النفس البشرية ويمنع عنها العدوان ولو كان هذا العدوان عدوان الفضيلة والعبادة كما يتصورهما بعض الناس .

والإسلام يمقت التنطع ولا يحب المتنطعين ، وهم المتعمقون ، الذين يشددون على أنفسهم فى غير موضع التشديد ويلزمونها بتكاليف لم يأت بها الإسلام فإن النفس

---

(١) رواه البزار عن جابر .

إذا حُمِّلت ما لا طاقة لها به أصابها الملل والفتور وعجزت على مواصلة السير فى طريق العبادة .

فعن سيدنا عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثا [١] .

وعن سيدنا أنس رضى الله عنه قال - دخل النبى ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين ، فقال : «**ما هذا الحبل؟**» قالوا : هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به فقال النبى ﷺ : «**حُلُّوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد**» [٢] .

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «**إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه**» [٣] .

ولقد ذهب إلى بيت النبى ﷺ ذات يوم نفر من أصحابه يسألون عن عبادته فلما أخبروا عنها بدا عليهم كأنهم تقالوها أى عدوها قليلة فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ؟ لقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

فقال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا ولا أنام منه شيئا .

وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدا ، وقال الثالث : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فلما علم الرسول ﷺ بمقالتهم قال لهم : «**أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى**» [٤] .

وبلغه صلوات ربى وسلامه عليه ذات مرة أن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

فقال رسول الله ﷺ: «**أنت الذى تقول ذلك ؟**» قلت: بلى يا رسول الله قال: «**فلا تفعل فإن لجسدك عليه حقا ، وإن لعينيك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، فصم وأفطر ونم وقم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر**» قلت: يا رسول الله ، إنى أطيق أفضل من ذلك .

قال: «**فصم يوما وأفطر يوما فذلك صيام داود وهو أعدل الصيام**» قلت: فإنى أطيق أفضل من ذلك فقال ﷺ: «**لا أفضل من ذلك**» .

يقول عبدالله بن عمرو: لأن أكون قبلت الثلاثة أيام التى قالها رسول الله ﷺ أحب إلىَّ من أهلى ومالى . وفى رواية: أنه كان يقول بعدما كبر: [يا ليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ] (١) .

وكان رسول الله ﷺ يحب الرفق فى أمره كله فعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: [ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شىء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله] (٢) .

فلقد كان رسول الله ﷺ تميل نفسه الطيبة الطاهرة الشريفة إلى جانب التيسير والتبشير وكان يحب التفاؤل ولا يحب التشاؤم بل كان يبغضه وكان ينمى روحه فى المجتمع .

وكان ﷺ يحرص على أن تعيش النفس الإنسانية فى جو من التفاؤل فهو الربيع الذى تتفتح فيه قدراتها وتنتعش فيه العزائم فتعمل فى نشاط وجد ، والإسلام يسمو بالتفاؤل فيجعله فى قمة العبادات التى يرتفع بها المؤمن عند ربه درجات .

أيها الأحباب: هكذا رأينا المصطفى ﷺ يدعونا إلى التيسير وينهانا عن التشدد فى دين الله .

نعم فإن من شدَّد شدد الله عليه ، وما موقف بنى إسرائيل منا ببعيد . عندما

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

أمرهم نبى الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام أن يذبحوا بقرة .

فلو أنهم أذعنوا لأمر موسى حيث أنه فى الحقيقة أمر من الله عز وجل وذبحوا أى بقرة لانتهى الأمر ؛ لكنهم شددوا وسألوا عن مواصفات البقرة فعاملهم الله عز وجل بعدله وأملى عليهم شروطا فى البقرة حتى أن تلك الشروط لم يجدوها إلا فى بقرة واحدة وذلك نتيجة التشدد والمغالاة والجدال مع الله ونبيه موسى .

وإذا ما نظرنا إلى عصرنا هذا لوجدنا هذا التنطع وهذا الجدال والتشدد والمغالاة فى دين الله من شباب لا شيخ له ، فنرى هؤلاء الشباب الخادعين أو المخدوعين المُمَوَّلين المضللين أولئك الذين جرفهم تيار الفكر المنحرف المعقد البرىء من الدين الإسلامى السمح فنراهم يفتون بفتاوى تحمل فى طياتها تحريم أمور لا نص فى كتاب ولا سنة فى تحريمها ولم يقل بتحريمها واحد من الأئمة والفقهاء الذين يقتدى بهم .

وعلى سبيل المثال : تحريمهم لكلمات حرما ، وزمزم ، وصباح الخير ، ومساء الخير ، وكذلك الفتوى بشرك أو كفر من حلف بالنبى ﷺ .

ولعمرى إنه لافتراء على الدين الإسلامى السمح ، فإن كلمات حرما عقب الصلاة وزمزم عقب الوضوء هما من الدعاء الخالص .

فالمصلى عندما يقول لأخيه المسلم الذى صلى بجواره : (حرما) إنما هو يتمنى من الله عز وجل أن يصليا فى الحرمين الشريفين رزقنى الله وإياكم الصلاة فيهما . وكذلك الحال فى قول أحد المسلمين لمن فرغ من الوضوء : (زمزم) إنما يتمنى له أن يكون هذا الوضوء من ماء (زمزم) وبالتالى فهو الآخر يقول له : (جمعا إن شاء الله) .

وهذا كله من التبشير الذى حضنا عليه رسولنا الأعظم ﷺ .

وإذا قالوا لكم إن هذه الأقوال لم يرد بها أمر فى كتاب أو سنة .

قولوا لهم : كذلك لم يرد نهى عنها فى كتاب أو سنة .

والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [1] .

---

(١) الحشر (٧) .

وإن لم يكن هناك أمر ولا نهى صار الحكم راجعا إلى أصله ، والأصل فى الأشياء الإباحة ، ما لم يرد أمر أو نهى ؛ وتلك قاعدة أصولية .

وإذا حرمنا شيئا بغير نهى فقد افترينا على الله الكذب والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

ولا تحريم إلا بنص قطعى من الكتاب أو السنة ، والكتاب والسنة لا يحرمان قولا أو فعلا إلا إذا كان فيه ضرر أو هلاك للمسلم .

فهل الصلاة فى الحرمين الشريفين والوضوء من ماء زمزم فيه ضرر أو هلاك كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

إن كلمتى [حرما ، وزمزم] لا يخرجان عن كونهما دعاء الذى أمرنا به قوله الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢) .

وفى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٣) .

أيها الأحباب - وإذا كانت كلمتى (حرما ، وزمزم) من الدعاء فكذلك كلمتى (صباح الخير ، ومساء الخير) أيضا فهما دعاء ، لأن الذى يقول لك صباح الخير كأنى به وهو يتمنى أن يكون هذا الصباح أو هذا المساء صباح ومساء خير .

وعليك أن ترد عليهم بقولك : صبحنى الله وإياك بنعيمه ورضوانه . وأمسانى الله وإياك بنعيمه ورضوانه .

ثم إنهما أى (صباح الخير ومساء الخير) لا يخرجان عن كونهما من التحية المباحة وقد نص القرآن الكريم على ضرورة رد التحية بأحسن منها أو بمثلها وذلك فى قوله

---

(١) الصف (٧) .
(٢) البقرة (١٨٦) .
(٣) غافر (٦٠) .

تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[1] .

وإلى من يفقهون اللغة العربية أقول لهم : إذا تأملتم فى الآية لوجدتم أن التحية فى الآية منكرة وتنكير التحية أفاد [أى تحية بأى لفظ كان] .

لكن لا بأس بذلك بعد تحية الإسلام المعروفة وهى (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) .

هذه هى سماحة الإسلام لا تعرف التعصب ولا التشدد وإنما عرفت التيسير والتبشير وكرهت التشاؤم فهل من متأمل .

أيها الأحباب ، ولا نعلم عن أحد من الفقهاء أنه قال بكفر أو شرك من حلف بالنبى وأخشى على قائل ذلك من سوء الخاتمة .

ولا يرد علينا بحديث «**من حلف بغير فقد أشرك**» فإنه يرد على من كانوا يحلفون بالأصنام أو بقبر والده أو والدته ، وبعيد كل البعد عن أن يكون الحلف بالنبى داخلا فيه لأننا لا نعظم المصطفى تعظيما يجعله إله يعبد من دون الله ، إنما نعلم ونعتقد أنه عبدالله ورسوله ولعلنا بمكانته عند ربه تلفظ لساننا بقوله : «**وحق رسول الله**» وما ماثل ذلك .

ولقد أقسم الله تعالى بحياة نبيه فى قوله الكريم : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ فإذا كان الأعلى قد أقسم بالأدنى ، ولاشك أن المصطفى هو أعلى الخلق وأفضلهم فهل قسمنا به يكون شركا ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

أيها الأحباب ، إن الدين الإسلامى دين سماحة ويسر ، وعليكم أن لا تلتفتوا لأولئك القوم الذين ما عرفوا الدين إلا لحية طويلة وثيابا قصيرة وشعارات تردد - الإسلام هو الحل - ولعمرى إن الإسلام قد انحل على أيدى هؤلاء وبفضل دعوتهم المزيفة ولا أجد ما أقوله بعد قول المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه : «**هلك**

---

(١) النساء : ٨٦ .

المتنطعون ، هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون»[1] .

إخواني في الله وأحبابي في سيدي ومولاي رسول الله ﷺ : إن أبناء الإسلام يحاربون في فلسطين المحتلة على أيدي اليهود لعنهم الله ، والإسلام يُحارب من الشيوعية والملحدين ، ونحن بسلامتنا لا نزال واقفين عند تحريم ما لم يحرم في كتاب أو سنة .

إن الإسلام يُحارب ونحن قد شغلنا بالعصبية الجاهلة الحمقاء وندعي أننا نتأسى بالسلف الصالح .

كُفوا عن ذلك يا قوم واستيقظوا من هذا الادعاء الكاذب فإن بينكم وبين السلف مسافة بعيدة .

دعائي إلى الله عز وجل أن يرد كل مخطئ إلى صوابه وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل وأن يهدنا الصراط المستقيم بجاه سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد ﷺ وإلى أن يجمعني بكم الجامع في رحاب سنة المعصوم ﷺ .

فإلى الملتقى يوم الاثنين القادم إن شاء الله وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والله أعلم .

* * * * * * * * *

---

(١) رواه مسلم .

الدرس التاسع درس "الثلاثاء"

فى فقه العبادات

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاما على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، سلاما وصلاة عليه وعلى صحبه وآله الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

أما بعد ،

فيا أيها الأخوة المؤمنون : أحييكم بتحية الإسلام التى فى أولها السلام وفى وسطها الرحمة وفى ختامها البركة " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " .

ألتقى بكم الليلة فى رحاب فقه العبادات ، وحديثنا الليلة نبدأه بالحديث عن "فضلات الآدمى من حيث الطهارة والنجاسة" .

فنقول وبالله التوفيق :

٧ - فضلات الآدمى من بول وغائط وإن لم يتغير عن لون الطعام ولو كان الآدمى صغيرا لم يتناول الطعام .

٨ - فضلات ما لا يؤكل لحمه حمّالة دم يسيل كالحمار والبغل . وقال الأحناف[١] : فضلات ما لا يؤكل لحمه إذا كان مما يطير فى الهواء كالغراب فنجاسته مخففة ، وإلا فمغلظة ، إلا أنه يعفى عما يكثر وجوده فى الطرق ولا يمكن الاحتراز عنه كالروث دفعا للحرج . وفضلات ما يؤكل لحمه فيه خلاف :

يقول الشافعية : [٢] : فضلة مأكول اللحم نجس مطلقا " الأحناف " نجاسته نجاسة مخففة إن كان كالدجاج والبط والأوز عند أبى يوسف وفى رأى الإمام أبى حنيفة نجاسة مغلظة [٣] .

عند المالكية : فضلات مأكول اللحم كالبقر والغنم إن لم يتغذى على النجاسة

---

(١) شرح كنز الرقائق جـ١ ص ١١ .
(٢) الأم جـ ١ ص ٤ ط بولاق .
(٣) شرح الكنز جـ ١ صـ ١١ .

طاهرة ، أما إذا اعتاد على التغذى بالنجاسة يقينا أو ظنا فنجاسته وفضلته نجسة ومعنى اعتياد النجاسة أنها أصبحت عادة عنده وإن شك فى اعتياده ذلك . فإن كان من شأنه التغذى بها كالدجاج ففضلته نجسه ، وإن لم يكن فطاهرة [١] .

عند الحنابلة : فضلات مأكول اللحم طاهرة ولو أكل النجاسة ما لم تكن أكثر طعامه وإلا ففضلته نجسة ، وكذا لحمه فإن منع من أكل النجاسة ثلاثة أيام ففضلته بعد الأيام الثلاثة طاهرة [٢] .

٩ - حكم المنى :

أمة الحبيب المصطفى ﷺ . إن مسألة حكم المنى من المسائل التى اختلف فيها الفقهاء فذهبت طائفة إلى القول بنجاسته ومنهم الإمام مالك [٣] والإمام أبو حنيفة [٤] .

وذهبت طائفة إلى القول بطهارته ، والذين قالوا بنجاسته استدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ ﴾[٥] كما استدلوا على ذلك بما روى عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : كنت أغسله من ثوب النبى ﷺ ثم يخرج إلى الصلاة وأثر الغسل فيه بقع الماء [٦] .

وغسل ثوب النبى من المنى إنما هو تشريع لأمته لأن ما يخرج منه طاهر . الشافعى[٧] وأحمد [٨] القائلان بأنه طاهر استدلا بقول السيدة عائشة : [كنت أفرك المنى من ثوب رسول ﷺ ثم يذهب فيصلى فيه] [٩] وكما رأينا أن خلاف الأئمة كله على حق فكما رأينا كل فريق له دليله ولا يجب التعصب لرأى دون رأى ، الكل ملتمس ومقتبس من رسول الله ﷺ ، ولإتمام الفائدة نوضح حقيقة المنى حتى تستطيع أيها المسلم

---

(١) انظر فتح الجليل بشرح مختصر سيدى خليل / الشيخ سيدى محمد الخراشى جـ ١ ص٨٥ ط/صادر بيروت .
(٢) انظر المحلى / ابن حزم جـ ١ / صـ ١٦٩ .
(٣) انظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام ابن رشد الحفيد جـ١ / ١٩١ ط دار السلام .
(٤) اللباب جـ ١ / ٥١ .
(٥) المائدة رقم (٦) .
(٦) صحيح البخارى ١ / ٩٢ وصحيح مسلم بشرح النووى ٣ / ١٩٧ .
(٧) انظر المجموع بشرح المهذب ٢ / ٥٥٧ .
(٨) انظر العدة شرح العمدة صـ٢٦ .
(٩) رواه الجماعة إلا البخارى .

أن تميزه عن غيره من الأحداث التى تخرج منك .

المنى : هو ما يخرج عن اللذة من جماع أو نحوه ولونه من الرجل أبيض غليظ ومن المرأة أصفر رقيق فتأملوا يرحمكم الله .

١٠ - المذى .   ١١ - الودى .

المذى ماء رقيق يخرج عند الملاعبة ونحوها ، والودى ماء أبيض ثخين يخرج عقب البول غالبا ، عند الأحناف : هما نجسان فقد قام دليل صحيح على غسلهما فأفاد ذلك النجاسة [(١)] وكذلك هما نجسان عند باقى الأئمة وسوف نبين حكمهما عند نواقض الوضوء وعلى المسلم أن يغسل البدن إذا أصابه مذى أو ودى لنجاستهما وإذا أصابا الثوب يكتفى برش الماء عليه .

١٢ - القىء والقلس : المراد بالقلس هو بلوغ الطعام إلى الحلق - ملئ الحلق أودونه ثم يرجع إلى الجوف مرة ثانية دون أن يخرج من الفم وقيل هو القىء وحكمه ما يلى :

أبو حنيفة وأصحابه : نجس نجاسة مغلظة إذا ملأ الفم بحيث لا يمكن إمساكه وإن كان طعاما أو دما ، أو علقا وإن لم يكن قد استقر فى المعدة ولو كان من صبى ساعة إرضاعه بخلاف باقى فم النائم فهو طاهر ، قال رسول الله ﷺ : «**إذا قاء أحدكم فى صلاته أو قلس فلينصرف وليتوضأ**» [(٢)] .

قال المالكية [(٣)] : القىء نجس بشرط أن يتغير عن حالة الطعام ولو بحموضة فقط بخلاف القلس الذى تقذفه المعدة عند امتلاءها فإنه لا يكون نجسا إلا إذا شابه العذرة و(الغائط) الغائط الذى يخرج من دبر الآدمى ولا تضر الحموضة وحدها . قال الشافعية[(٤)] : القىء نجس وإن لم يتغير بشرط أن يتحقق خروجه من المعدة . قال

---

(١) انظر شرح الكنز ١ / ١١ .
(٢) صحيح الترمذى ١ / ١٢٦ .
(٣) انظر التاج والإكليل ١ / ٩٤ .
(٤) انظر مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ١ / ٧٩ .

الحنابلة[١] : هما نجسان بلا تفصيل .

١٤ - البلغم :

قال الأحناف [٢] : البلغم طاهر إذا خرج خالصا ولم يختلط بشيء ، فإذا خرج مختلطا بالطعام ، أو إن غلب عليه الطعام كان نجسا . وإن استوى معه أو تساويا اعتبر كل منهما على انفراده ، فإذا كان الطعام وحده يملأ الفم فحكمه حكم القيء ، وإن اختلط البزاق بالدم وغلب البزاق على الدم بأن كان الخارج أصفر فهو طاهر ، وإن غلب الدم بأن الخارج أحمر فهو نجس ، ولو لم يملأ الفم ، وما اجترته الإبل لتمضغه فهو نجس قل أو كثر .

ولو قاء مرات متفرقة وكان المجموع يملأ الفم فهو نجس .

١٥ - ما حكم البيض الفاسد ؟ وكيف يفسد ؟

المالكية : يفسد البيض إذا تغيير بعفونة أو زرقة أو صار دما أو مضغة ، وكذلك البيض الذى اختلط بياضه بصفاره ويسمى بالمروق والبيض فى الحالتين طاهر ما دام هو من حيّ ، وإن كان من ميتة فهو نجس .

الشافعية : البيض الفاسد هو ما لا يصلح أن يتخلق منه حيوان بعد تغيره وليس ما اختلط بياضه بصفاره وإن أنتن [٣] .

الحنابلة : الفاسد هو ما اختلط بياضه بصفاره مع التعفن وهو طاهر عندهم لأن النجس من البيض ما صار دما ، وكذلك ما خرج من حى ولم يتصلب قشره .

الأحناف : ينجس البيض إذا صار دما ، أما إذا تغير بالتعفن فهو طاهر كاللحم النتن [٤] .

أيها الأحباب هذه بعض الأعيان النجسة ولكن هناك أعيان أخرى تضاف إلى

---

(١) المغنى لابن قدامه ١ / ٨٤ .
(٢) انظر المحلى لابن حزم : ١ / ٨٥ .
(٣) انظر الفقه الإسلامى : ١ / ٥٧ .
(٤) المغنى لابن قدامه : ١ / ٨٤ .

ذلك منها " الميتة " التى تنفصل عن الحى نجسة .

والمسك : الذى ينفصل عن الغزال حيا أو ميتا هو وجلده طاهران .

واستثنى الحنابلة شيئين حكموا بطهارتهما . ١ - البيض إذا تصلب قشره .

٢ - الجزء المنفصل من الحى الذى لا يمكن ذكاته عند ذكاته الاضطرارية .

١٧ - لبن الحى : الذى لا يؤكل لحمه - غير الآدمى ، ويرى الأحناف طهارة الألبان كلها من حى أو ميت مأكول وغير مأكول إلا لبن الخنزير فإنه نجس فى حياته وبعد موته .

١٨ - رماد النجس : المحترق بالنار ، وقال الأحناف بطهارته والنجس إذا صار ترابا من غير حرق يطهر [١] .

والآن أيها الأحباب تعالوا بنا لنتعرف على حكم لنوع جديد وهو :

١٩ - المسكرات : ونقول وبالله التوفيق :

إن المسكر المائع سواء كان فى عصير العنب أو من نقيع الزبيب أو التمر أو غيرهما نجس لأن الله تعالى سمى الخمر رجسا قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [٢] والرجس : معناه النجس . أما كون كل مسكر مائع خمرا فلما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**كل مسكر خمر وكل مسكر حرام**» [٣] وحكم الشرع الحنيف بنجاسة المسكر المائع فوق تحريم شربه تنفيرا وتغليظا وزجرا عن الاقتراب منه .

أيها الأحباب : وإن كنا قد توقفنا مع حضراتكم مع الأعيان النجسة نرى أنه لزاما علينا كيفية إزالة النجاسة .

كيف تزول النجاسة ؟ اتفق العلماء على إزالة النجاسة من طريق الوجوب لصحة العبادة إلا إنه هناك قدر عفى عنه دفعا للحرج والمشقة قال تعالى : ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ**

---

(١) انظر الهداية جـ١ / ٢٣ .

(٢) سورة المائدة آية / ٩٠ .

(٣) صحيح مسلم جـ ١٣ / ١٧٢ .

حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[١] .

ومن ذلك تفصيل لذى المذاهب فى القدر الذى يعفى من النجاسة .

قال المالكية : يعفى عما يأتى :

١ - ما يصيب ثوب المرضع أو بدنها من بول رضيعها أو غائطه ولو لم يكن وليدها متى جاهدت فى التحفظ والتحرز عنهما حال نزولها ويندب لها إعداد ثوب للصلاة .

٢ - بلل الباسور ، وهو داء معروف إذا أصاب بدن صاحبه أو ثوبه كل يوم ولو مرة ، وأما يديه فلا يعفى من غسلهما ، وإنما عفى عن الثوب والبدن ولزم غسل اليد لأن اليد لا يشق غسلهما بخلاف الثوب والبدن[٢] .

٣ - ما يصيب ثوب الجزار أو بدنه ، ونازح المراحيض والطبيب الذى يعالج الجروح ويندب لهؤلاء إعداد ثوب للصلاة إن تيسر لهم ذلك وإلا فلا يستحب لهم إعداد ثوب خاص بالصلاة .

٤ - ما يصيب ثوب المصلى أو بدنه أو مكانه من بول أو روث خيل أو بغال أو حمير إذا كان ممن يقوم على أمرها من رعى أو علف ، أو نحو ذلك فيعفى عنه بسبب مشقة التحرز .

ولاشك : أيها الأحباب ، أن هذه رخصة طيبة وتيسيرا عظيما لكل فلاح يمارس عمله فلا يخف بعد ذلك من روث البهائم الذى يصيبه أثناء ممارسته لعمله ومن ثم فلا عذر لكم فى ذلك حتى تتركوا الصلاة .

---

(١) سورة الحج / ٧٨ .

(٢) التاج والإكليل ج١/١٤٦ ، ١٤٧ بهامش الخطاب ط دار الفكر ، وانظر مواهب الجليل محمد الخطاب ج١/١٤٣ ط دار الفكر ، وانظر الشرح الصغير لأبى البركات سيدى أحمد الدردير ج١/٧٧ ، ٧٨ ، وانظر أحكام القرآن لأبى بكرالعربى ج٣/١٣٠٥ دار الجليل بيروت .

سبحانك ما أجمل سماحة الإسلام الحنيف ويسر شريعته الغرّاء ، وجزا الله عنا إمام المدينة المنورة الإمام مالك وأصحابه وفقهاء مذهبه خير الجزاء بقدر ما يسّر لنا وصور لنا سماحة الإسلام واضحة جلية فلك الحمد يا مولانا كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك . فما هدى الأئمة للتيسير إلا ذاتك يا ذا الفضل العظيم .

أيها الأحباب: لا يزال الحديث متصلا مع السادة المالكية - رضى الله عنهم ونفعنا بهم حول النجاسات المعفو عنها .

٦ - يعفى عن أثار الذباب والناموس والنمل الصغير الذى يقع على النجاسة فيتعلق قدمه بشىء فيها ثم يقع على الثوب أو البدن لمشقة التحرز منه ولا يعفى عن أثر النمل الكبير لندرته وقلته [١] .

٧ - أثر موضع الحجامة بعد مسحه بخرقة ونحوها فيعفى عنه إلى أن يبرأ غسله .

٨ - ما يصيب الثوب أو الرجل من الطين بسبب المطر أو مائه المختلط بنجاسة ما دام موجودا فى الطرق ولو بعد انقطاع المطر فيعفى عنه بشروط ثلاثة :

أولاً : ألا تكون النجاسة المخالطة أكثر من الطين أو الماء تحقيقا أو ظنا .

ثانيا : ألا تصيبه النجاسة بدون ماء أو طين .

ثالثا : ألا تصيبه النجاسة وألا يكون له مدخل آخر يبعده عن الإصابة بشىء من ذلك الطين أو الماء كان يعدل عن طريق خالية من ذلك إلى طريق آخر فيها هذا . ومثل طين المطر المرشوش فى الطرقات وكذلك الماء المتبقى فى المستنقعات .

٩ - الماء السائل من الدمامل سواء سالت بنفسها أو بعصرها ولو غير محتاجة إلى العصر لأن كثرتها مظنة الاحتياج إلى العصر فيُعفيها الإسلام سواء سال بنفسه أم بعصر احتيج إليه ، فإن عُصر بغير حاجة فلا يعفى إلا عن قدر الدرهم .

١٠ - الآثار الناجمة عن البراغيث ولو كثرت وإن تغذت بالدم ففضلاتها نجسة ولكن يعفى عنها وأما دمها فهو كدم غيرها لا يعفى عما زاد منه على قدر الدرهم .

---

(١)انظر فتح الجليل بشرح مختصر سيدى خليل لشيخ الإسلام الإمام محمد الخراش ج١/١١٤ ط دار صادر بيروت .

١١ - الماء الأصفر المنتن الخارج من فم النائم إذا كان من المعدة إذا لازم صاحبه .

١٢ - القليل من ميتة القمل فيُعفى عن ثلاث فأقل .

١٣ - أثر النجاسة على السبيلين بعد إزالة عين النجاسة بما يزيلها من حجر ونحوه فيُعفى عنه ما لم ينتشر كثيرا فإن انتشر تعين غسله بالماء كما يتعين الماء لإزالة النجاسة عن قبل المرأة .

أيها الأحباب : وسوف أكتفى فى هذا الأمر برأى السادة المالكية . إذ أنه أكثر تيسيرا وأنسب للمسلم وحتى لا أجعلك أخا الإسلام فى حيرة من أمرك فخذ بما ذكرناه لك فى مذهب السادة المالكية .

وأهيب بك أخى الكريم ألا تتخلى عن الصلاة وقتا واحدا ، فإن الصلاة صلة بين العبد وربه وكذلك عليك أن تصلح من حال زوجتك وبناتك وإخوتك وقد تبين لنا أن الصلاة لا عذر لها حتى يتحججن بنزيف الدم أو ببول الولد أو البنت اللذين فى مرحلة الرضاعة .

أما ما يقوله البعض فى التفريق بين بول الغلام وبول الجارية اللذين يدخن أبواهما السجائر فهذه فتوى نسائية شيطانية باطلة لا أساس لها من الصحة ولم يقل بها إمام واحد من أئمة الفتوى .

ثم ما هى العلاقة المميزة لبول الطفل الذى يدخن أبوه عن بول الذى لا يدخن ؟!

إخوانى فى الله وأحبائى فى رسول الله والتفريق بين بول الطفل وبول البنت إنما هو فى المذاهب الأخرى غير المالكية وسوف نوضح ذلك فى الثلاثاء القادم بمشيئة الله .

ولم نستطع تبين كيفية إزالة النجاسة هذه لتجنب الإطالة على حضراتكم وموعدنا معها فى درس الفقه القادم إن شاء الله تعالى إن كان لنا فى العمر بقية ، نسأل الله عز وجل أن يفقهنا فى الدين وأن يجعلنى وإياكم من أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والله تعالى أعلى وأعلم ، والحمد لله رب العالمين .

* * * * * * * * *

الدرس العاشر درس "الأربعاء"
فى سيرة سيد الأنبياء سيدنا محمد ﷺ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده ، وصلاة وسلاما على من لا نبى بعده ، سيدنا ومولانا محمد سيد العرب والعجم وسيد الخلق أجمعين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم .

ثم أما بعد ،

فيا أحباب الله ورسوله ، مرحبا بكم فى درس الأربعاء مع السيرة العطرة التى تروى ظمأنا وتنقلنا من عالم الدناءة إلى عالم السمو والرفعة .

هيا بنا مع سيرة سيد الأولين والآخرين لنستمد منها الدروس والعبر التى تنفعنا فى ديننا ودنيانا وآخرتنا .

ولقد نَوَّهْنَا فى ختام الدرس الماضى إلى شىء من تبشير الكتب السماوية بحضرته ﷺ .

والليلة نواصل الحديث مع سيد الخلق أجمعين .

أيها المؤمنون : وإذا كانت التوراة والإنجيل قد تكفلتا بوصف سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، فلا شك أن فى هذا دلالة قاطعة على كمال صدقه ﷺ ، لأنه لو لم يكن مكتوبا عندهم لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود - لعنهم الله وخلصنا من كيدهم ومكرهم وخداعهم - وكذلك النصارى عن قبول قوله ؛ لأن الإصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات للمدعو ، والداعى الفطن لا يسعى فيما يوجب تنفير الناس عن قبول دعوته .

والقرآن الكريم قد بين لنا أن أهل الكتاب يعرفون النبى ﷺ وذلك فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ

الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [١] .

يقول الإمام الواحدى رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية : [الكناية فى يعرفونه تعود إلى محمد ﷺ عند أكثر المفسرين ، وكُنىّ عن محمد وقد تقدم ذكره فى الخطاب على عادة العرب فى تكوين الخطاب .

ويشهد على صحة هذا التأويل ما روى أن عبدالله بن سلام قال : لما نزلت هذه الآية وسئل عن معرفته محمدا ﷺ فقال : والله لأنا بمحمد وصحة نبوته أعرف منى بابنى لأنى لا أشك فى أمره ولا أدرى ما أحدث النساء [٢] .

أيها الأحباب وقد يسأل البعض منكم من هو عبدالله بن سلام ؟ نعم فهو الصحابى الجليل سيدنا / عبدالله بن سلام الإسرائيلى وهو من سبط سيدنا يوسف بن سيدنا يعقوب على نبينا وعليهما السلام ، أسلم وحسن إسلامه وكان حليفا للأنصار [٣] .

وقال الإمام القرطبى : فى تفسير هذه الآية أيضا : [لم يبعث الله عز وجل نبيا آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد فى محمد] ثم يقول : [وروى أن عمر قال لعبدالله بن سلام أتعرف محمدا ﷺ كما تعرف ابنك ؟ فقال : نعم وأكثر ، بعث الله أمينه فى سمائه إلى أمينه فى أرضه بنعته فعرفته وابنى لا أدرى ما كان من أمه] [٤] .

كذلك نجد فى التنزيل تأكيد لمعرفة أهل الكتاب من بنى إسرائيل بنبى الإسلام سيدنا ومولانا محمد ﷺ قبل ظهوره لتبشير كتابهم به وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٥] .

يقول الإمام الطبرى فى تفسيره : [يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ

---

(١) البقرة : ١٤٦ .

(٢) انظر تفسير البسيط للإمام الواحدى ١ / ٣٣٣ من النسخة المخطوطة بدار الكتب رقم (٥٣) تفسير .

(٣) انظر شذرات الذهب ١ / ٥٣ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢ / ١٦٣ ط دار الكتب العلمية .

(٥) البقرة : ٨٩ .

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أى : وكان هؤلاء اليهود الذين لما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم من الكتب التى أنزلها الله قبل الفرقان كفروا به ، يستفتحون بمحمد ﷺ ، ومعنى الاستفتاح : الاستنصار ، ومعنى الاستنصار : طلب النصر ، يستنصرون الله به على مشركى العرب من قبل مبعثه صلوات ربى وسلامه عليه ، أى من قبل أن يبعث] (١) .

وقال السدى رحمه الله : أنهم كانوا إذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم على موضع ذكر النبى ﷺ وقالوا : اللهم إنا نسألك بحق نبيك الذى وعدتنا أن تبعثه فى آخر الزمان أن تنصرنا اليوم على عدونا فينصرون (٢) .

أيها الأحباب ، وإذا ما نظرنا إلى الكتب السماوية فى تبشيرها بحضرة النبى ﷺ لوجدنا أن التوراة قد نطقت فى كلامها مبشرة به ﷺ ففى السفر الخامس وهو سفر الميعاد : أن موسى عليه السلام خطب بنى إسرائيل فى آخر عمره وذلك فى السنة التاسعة والثلاثين من سنى التيه ، وذكرهم بأيام الله وأياديه عليهم وإحسانه إليهم ، وقال لهم فيما قال : واعلموا أن الله سيُبعث لكم نبيا من أقاربكم مثل ما أرسلنى إليكم يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر ويحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث فمن عصاه فله الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (٣) .

ومما ذكرنا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ نعلم مدى قدر النبى وأنه أول خلق الله وخاتم رسل الله ﷺ وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين وآل البيت والصحابة والصالحين أجمعين .

والكلام على صفات النبى فى الكتب المنزلة يطول ذكره وقد حفلت كتب التفسير والسير والشمائل بذكر الكثير ولكننا نكتفى بما ذكرنا مخافة الإطالة إلا أننا سنكتفى بشرح الصفتين الباقيتين .

---

(١) انظر جامع البيان للإمام الطبرى ١ / ٤١٠ ط الحلبى .
(٢) انظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ٢ / ٢٠٢ .
(٣) انظر شمائل الرسول لأبى الفداء / إسماعيل بن كثير بتحقيق / مصطفى عبدالواحد صـ ٣٤٣ ، ٣٤٤ ط الحلبى .

فالصفة الثالثة : تعليم الحكمة : والحكمة كما قال الإمام الحسن : هى السنة ، وهو ما قال به الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه [١] .

ويقول إمامنا مالك رضى الله عنه وأرضاه : إن المراد بالحكمة هى الفقه فى الدين واتباع التفقه [٢] .

وعن سيدنا عبدالله بن وهب أنه قال : قال ابن زيد فى قوله : (والحكمة) الحكمة : الدين الذى لا يعرفونه إلا به ﷺ يعلمهم إياها .

قال : والحكمة : العقل فى الدين وقرأ : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [٣] ، وأما الصفة الرابعة : فهى التزكية " ويزكيهم " وقد فسرها الإمام الحسن رضى الله عنه بأنها : [التطهير من الشرك بالله عز وجل] فدلت الآية على أنه سيكون فى ذرية إسماعيل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام جُهال لا حكمة فيهم ولا كتاب وأن الشرك ينجسهم وأنه تعالى يبعث فيهم رسولا منهم يطهرهم ويجعلهم حكماء الأرض بعد جهلهم .

أما سيدنا الإمام / عبدالله بن عباس : فنجده يفسر التزكية [بالطاعة لله تعالى والإخلاص] [٤] .

تلكم هى صفات المصطفى الكريم صلوات ربى وسلامه عليه كما صورتها دعوة أبينا خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

والآن : تعالوا بنا لنتعرف على حالة العرب قبل الإسلام :

حالة العرب قبل البعثة المحمدية

كان العالم لدى مطلع الثلث الأخير من القرن السادس الميلادى قد بلغ سحيق الضياع حيث استبدت به أسباب الفساد من كل جانب واكتنفته الظلمة القاتمة .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن الكريم ١ / ٥٥٧ ، وانظر الدر المنثور للإمام السيوطى ١ / ١٣٩ .

(٢) انظر جامع البيان ١ / ٥٥٧ .

(٣) سورة البقرة : ٢٦٩ .

(٤) انظر التفسير الكبير ٤ / ٧٤ .

وعصفت به رياح الشرك والكفران فتداعى بناؤه العقدى والخلقى وتردى فى جاهلية ووثنية حمقاء وصار يترقب الهدم الذى يعقبه البناء إذ عمه الفساد فى كل الأرجاء كما قال عز شأنه : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١) .

يقول سيدنا قتادة رضى الله عنه فى تفسيره لهذه الآية : هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمدا ﷺ ، امتلأت ضلالة وظلما فلما بعث الله نبيه رجع راجعون من الناس (٢) .

ويقول الإمامان قتادة والسدى فى تفسير الفساد فى الآية الكريمة : الفساد الشرك وهو أعظم الفساد (٣) .

ويؤيد هذا التفسير العظيم قوله سبحانه : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ (٤) .

نعم فلقد كان الفساد والانحلال يكتنفان أرجاء المعمورة ، والعالم يتخبط فى ظلمات الكفر والظلم والباطل والضلال ، وكان ضمير الإنسانية المعذبة يستصرخ السماء لإرسال المنقذ الذى يخلصها من كل ذلك أملا أن تكون شدة الظلام إيذانا ببزوغ الفجر . فإذا نظرنا إلى الأحوال الدينية السائدة فى العالم قبل الرسالة المحمدية وجدنا ظلاما حالكا فى مختلف الأرجاء حيث التبديل والتحريف فى العقائد والكتب السماوية وأضغاث عقدية زج بها الشيطان فى قلوب وعقول أخلدت إلى الأرض وانقطعت صلتها بالسماء وكانت أضل من الأنعام وأمعن فى التحجر من الأصنام .

وإليكم أيها الأحباب حال بلاد الفرس فى المشرق :

فقد دان أهل الفرس بإله قديم للنور سموه [يزْدان] وبإله آخر مخلوق من الظلمة سموه [أهرمن] .

[فيزدان] عندهم هو الله تعالى ، و[أهرمن] هو إبليس لعنه الله .

---

(١) سورة الروم : (٤١) .
(٢) انظر جامع البيان جـ ٢١ / ٤٩ ط الحلبى .
(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ / ٤٠ .
(٤) سورة الروم : (٤٢) .

وكان أصل دينهم مبنيا على تعظيم النور والتحرز من الظلمة فأدى تعظيمهم للنور إلى عبادتهم للنار وظلوا كذلك حتى ظهر فيه [زرادشت] الذى جاء بدين جديد قال فيه بإله واحد اسمه [أرمزد] وهو خالق النور والظلمة ، وأن يزدان وأهرمن هما مبدأ موجودات العالم وقد حصلت التراكيب من امتزاجهما [١] .

هذه نبذة مختصرة عن حال أهل الفرس .

ثم ننتقل من حال أهل الفرس إلى حال أهل الهند :

فقد أجمع المؤلفون فى تاريخها على أن أحط أدوارها ديانة وخلقا واجتماعا ذلك العهد الذى يبتدئ من مستهل القرن السادس الميلادى فلم تبلغ الوثنية ما بلغته فى هذا القرن إذ بلغ عدد الآلهة ثلاثين وثلاثمائة مليونا .

فقد كان كل شىء يروق لهم يعبدوه وكان من معبوداتهم أشخاص تاريخية زعموا تمثل الله - وحاشاه - فيها ، وكان منها جبال ، ومنها معادن كالذهب والفضة زعموا تجلى الله سبحانه وتعالى فيها وكان فيها نهر الكنج الذى يزعمون أنه خرج من رأس الإله (مهاديو) ، ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل والحيوانات ولا سيما البقرة والأجرام الفلكية .

ولقد حكى الرحالة الصينى الذى قام برحلته بين عامى ٦٠٣ - ٦٤٧ بعض أحداث الاحتفال الذى أقامه الملك الذى حكم الهند من عام ٦٠٦ إلى عام ٦٤٧ فقال : أقام الملك احتفالا عظيما فى قنوج اشترك فيه عدد كبير جدا من علماء الديانات السائدة فى الهند وقد نصب الملك تمثالا ذهبيا (لبوذا) على منارة تعلو خمسين ذراعا وقد خرج بتمثال آخر (لبوذا) أصغر من التمثال الأول فى موكب حافل يجنبه الملك بمظلة وقام الملك الحليف [كامروب] يذب عنه الذباب [٢] .

وإلى جانب الوثنية المتطرفة فى الهند كان الانحطاط الخلقى على أشده حيث دخلت المواد الجنسية والمهيجات الشهوية فى صميم الديانة الهندية وبلغ التسفل مبلغا

---

(١) انظر : المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا : ١ / ٨٣ والملل والنحل للشهرستانى ٣ / ٦٠ ط صبيح .

(٢) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى ص ٤٤ - ٤٦ .

يندى الجبين لمجرد الحديث عنه ، أعاذنا الله من مثل تلك الأخلاق السيئة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ولا يسعنا إلا أن نشكر الله عز وجل الذى أكرمنا بنبى الإسلام صاحب الأخلاق السمية العلية .

ثم ننتقل بحضراتكم إلى حال أمة النصارى :

وأما أمة النصارى الذى انتشر دينهم فى بلاد الروم وأوربا الغربية وبلاد الشام ومصر والحبشة فقد فعلت مذاهبهم العقدية بدين المسيح - على نبينا وعليه السلام - مثلما فعل اليهود بدينهم من التحريف والتبديل والتغيير .

فقد صرحت [الملكائية]: " وهم أصحاب مليكا الذى ظهر ببلاد الروم واستولى عليها فأصبح غالب الروم ملكائية "[١] . صرح هؤلاء بالتثليث وقد أخبر مولانا جل ثناؤه عنهم بقوله الكريم فى كتابه العزيز : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢] .

أما اليعقوبية وهم أصحاب يعقوب البردغادى وكان راهبا بالقسطنطينية[٣] فقد قالوا : إن الكلمة انقلبت لحما ودما فصار الإله هو المسيح وقد أخبر عنهم المولى سبحانه وتعالى فى كتابه الخالد أبد الدهر بقوله : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[٤] إلى آخر الأقوال والأباطيل التى حفلت بها كتبهم تعالى الله عن زعمهم وما اعتقدوه علوا كبيرا ، ونختم بأحوال العرب .

حالة العرب فى الجاهلية

ولابد لنا قبيل معرفة حالة العرب فى الجاهلية من الوقوف على سبب تسميتهم بهذا الاسم . فلقد سُمُّوا بهذا الاسم لغلبة الفصاحة والبلاغة لديهم .

أما الجاهلية وما يطلق عليها فإن لفظ الجاهلية مأخوذ من الجهل الذى هو عدم

---

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستانى ٣ / ٣٣ .
(٢) سورة المائدة (٧٣) .
(٣) انظر : المختصر لأبى الفدا : ١ / ٩٠ .
(٤) سورة المائدة (٧٢) .

العلم أو عدم اتباع العلم ثم صار بعد ذلك اسما للحال السائدة فى الفترة التى قبل الإسلام .

والآن نأتى إلى حالة العرب ولنبدأ بالحالة العقائدية .

عقائد العرب فى الجاهلية

اعلموا إخوانى بارك الله فيكم أن العرب أصناف شتى - فمنهم المعطلة الدهرية وهم الذين جمعوا بين إنكار الإله وبين إنكار البعث والقيامة وقالوا بالطبع المحيى والدهر المغنى وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ (١) .

وقد أبطل القرآن الكريم مدعى هؤلاء فى العديد من سوره وآياته مثبتا لهم وجود الصانع جل وعلا بضرورات فكرية وفطرية كما فى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (٣) .

وهناك صنف آخر أقروا بالخالق وابتداء الخلق وأنكروا البعث وهم الذين أخبر عنهم القرآن بقوله سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ورد القرآن عليهم مستدلا بالنشأة الأولى التى أقروا بها فقال تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

وهناك صنف من العرب أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة ولكنهم أنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى فى الآخرة وحجوا إليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وحللوا وحرموا وهؤلاء الدهماء من

---

(١) سورة الجاثية : ٢٤ .
(٢) سورة الأعراف : ١٧٥ .
(٣) سورة الغاشية : ١٧ - ٢٠ .
(٤) سورة يس : ٧٨ ، ٧٩ .

العرب إلا شرذمة منهم .

وقد أخبر القرآن الكريم عن منكرى إرسال الرسول من البشر فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ [١] . إنهم يريدونه ملكا من السماء فرد عليهم بقوله سبحانه : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً ﴾[٢] . ﴿ وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [٣] . هذا حال من يعترف بالملائكة من عرب الجاهلية . وأما الذين لا يعترفون بالملائكة فقد اتخذوا الأصنام المنصوبة شفعاء ووسائل إلى الله تعالى وعبدوها تقربا إلى الله زلفى وكانت أصنامهم من الكثرة بمكان حتى أنه كان لكل قبيلة صنم خاص [٤] .

وإلى هنا نأتى إلى ختام حديثنا وبمشيئة الله تبارك وتعالى نواصل الحديث فى سيرة النبى ﷺ يوم الأربعاء القادم حيث الحديث عن حالة العرب الاجتماعية .

فإلى أن يجمعنا الحق تعالى معكم وبكم على خير ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

أسأل الله عز وجل أن يجعلنى وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه ربى نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * * * * * * * *

(١) سورة الإسراء : ٩٤ .
(٢) سورة الإسراء : ٩٥ .
(٣) سورة الأنعام : ٨ ، ٩ .
(٤) انظر الملل والنحل للشهرستانى ٥ / ١٥٥ . والمختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا : ١ / ٩٨ .

الدرس الحادى عشر درس "السبت"

فى الأحوال الشخصية وأحكام الأسرة

الحمد لله رب العالمين شرع الزواج ليحصن الفروج ويغض الأبصار عن الوقوع فيما يغضب من لا تدركه الأبصار . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى من سنته الزواج ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم مصابيح الهدى فرضى الله عنهم وأرضاهم ورضى عنهم بفضله ورضى عنا بفضله عز وجل آمين .

أما بعد ،

فيا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ . هذا هو اللقاء الثالث معكم حول أحكام الأسرة ولقد تعرفنا فى اللقاء السابق على الأسس والشروط المبتغاة فى الزوجين وحديثنا الليلة . نبتدأه بالحديث عن الخطبة التى هى مجرد وعد بالزواج إلا أن البعض اعتبرها زواجا فأباح لنفسه ما حرم الله عليه ، ومن هنا فهو يجلس مع مخطوبته وليس معهما أحد ومن هنا يتسنى لإبليس أن يخرج المسلسل الذى يريده معهما ، وجدنا أيضا ولى أمر المخطوبة قد سمح لابنته أن تخرج مع خطيبها فى رحلة ترفيهية وربما تخلل تلك الرحلة صور تذكارية وغير ذلك وقد لا يتم الزواج ، ومن هنا تكون الأمور الجسام حيث التهديد بالصور والتشنيع بالبنت لاسيما لو كان شابا عديم التربية والأخلاق من أجل ذلك كان حديثنا عن الخطبة .

وأرجو أن نصغى لما يقال لعل الله عز وجل أن ينور بصائرنا إلى طاعته .

اعلموا إخوانى بارك الله فيكم أن الخطبة هى : (طلب نكاح المرأة من وليها ومن نفسها) .

ولكن كيف تكون الخطبة ؟

خطبة المرأة إن كانت بكرا صغيرة مجبرة تكون إلى وليها المجبر هكذا خطب النبى ﷺ عائشة رضى الله عنها إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه . فعن سيدنا عروة أن النبى ﷺ خطب عائشة إلى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال أبو بكر : إنما أنا أخوك فقال له

النبى ﷺ : «**إنما أنت أخى فى دين الله تعالى وكتابه وهى لى حلال**» [١] .

وإن كانت المخطوبة ثيبا بالغة فإنها تخطب إلى نفسها . هكذا خطب النبى ﷺ .

وعن السيدة أم سلمة رضى الله عنها قالت : أرسل إلىّ رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتعة يخطبنى لـه ﷺ فقلت : إن لى بنتا وأنا غيور . فقال ﷺ : «**أما ابنتها فتدعوا الله تعالى أن يغنيها عنها وأدعوا الله عز وجل أن يذهب بالغيره**» [٢] .

ثم إن شاء الخاطب تقدم بنفسه وإن شاء أناب من يخطبها قريبا كان أو غريبا . ويقول الإمام ابن عطية فى تفسيره : والخطبة فعل الخاطب من كلام وقصد واستلطاف بفعل أو قول . اهـ [٣] .

يريد رضى الله عنه أنها طلب التزوج أو الوعد به وإظهار الرغبة فى الزواج باستلطاف .

إذًا أيها الأحباب . فإننا نفهم من فعل سيدنا ومولانا رسول الله ومن كلام أهل العلم أن الخطبة ما هى إلا وعد بالزواج وليست زواجا ، ومن أجل ذلك فإن جلوس الخاطب مع خطيبته وحدهما حرام ، وكذلك خروجه معها إذ أنه لا يزال بالنسبة لها أجنبى . أى ليس من محارمها كالأب والأخ والعم والخال لنسأل الله الهداية لكل منحرف عن طريق الحق والصواب وعلينا أيها الأحباب أن نلتزم بتعاليم الشرع الحنيف ولأن الله تعالى أمرنا بذلك والآن تعالوا بنا إلى :

(شروط المخطوبة)

قد يتساءل البعض فيقول هل هناك شروط لمن أردت خطبتها؟ للإجابة عن هذا السؤال نقول : نعم فقد وضع الفقهاء شروطا للإنسانة التى تود أن تقوم بخطبتها وإليكم تلك الشروط .

يشترط فى المخطوبة حتى تجوز خطبتها ثلاثة شروط :

---

(١) رواه البخارى . انظر فتح البارى ٩ / ١٢٣ حديث رقم (٥٠٨١) .

(٢) رواه مسلم ٢ / ٦٣١ حديث رقم (٩١٨) .

(٣) انظر المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ٢ / ٣٠٥ .

الشـرط الأول: أن يحـل الـزواج بهـا شـرعا ؛ لأن الخطـبة وسـيلة إلى الـزواج . وللوسـيلة حكـم الغايـة . فمـا أدى إلى الحـرام حـرام ، ومـا لا يـتم الواجـب إلا بـه فهـو واجـب . فكـل امـرأة يحـرم نكاحهـا تحرم خطبتها والحرمة نوعان . حرمة مؤبدة ، وحرمة مؤقتة .

والمحـرمات عـلى التأبيد . إمـا أن يحـرمهن نسـب أو صـهر أو رضاع وما يلحق بهن وعـدد المحرمات المتأبدات . خمـس وعشـرون امـرأة . وسيأتي الكلام عليهن عند حديثنا عن المحرمات من النساء إن شاء الله تعالى .

والمحـرمات عـلى التأقيـت عددهـن ثـلاث وعشـرون كالمشـركة والمتزوجة والمعتدة وأمثـالهن مـن المحـرمات عـلى التأقيـت فكـل هـؤلاء من المحرمات تحرم خطبتهن لأنه يحرم نكاحهن .

الشرط الثاني: ألا تكون مخطوبة للغير .

فتحرم الخطبة عـلى الخطبة . ومن علم عن امرأة أنها مخطوبة يحرم عليه التقدم لها حتى يدع الخاطب الأول أو يرد لقولـه ﷺ: «**المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر**»[١] .

والظاهـر أن المـرأة كذلـك فمـنع خطبة المـرأة عـلى خطـبة المـرأة لعمـوم الحديـث الشريف أي إذا خطبت المرأة رجلا تمنع غيرها من خطبته .

والمخطوبـة التـي تحـرم وخطبتها هـي: (الراكنة) التي قبلت خاطبها ووافقت عليه إن كان الأمر لها أو وافق عليه وليها .

الشـرط الثالـث: أن لا تكون معتدة[٢] . فالمعتدة تحـرم خطبـتها لأنه يحرم نكاحها حتى تخـرج مـن عدتهـا لقولـه تعـالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[٣] ولقولـه تعـالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ

---

(١) رواه مسلم ٢ / ١٠٣٤ حديث رقم "١٤١٤" .

(٢) انظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢ / ٢١٧ وجواهر الإكليل ٢ / ٢٧٦ والشرح الصغير ٢ / ٣٤٣ وما بعدها .

(٣) البقرة / ٢٢٨ .

وَعَشْرًا ﴾ [١] . وقوله تعالى : ﴿ وَأُوْلاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ [٣] أى حتى تنتهى العدة فالمعتدة تدخل فى اللاتى يحرم نكاحهن فتحرم خطبتهن فهى داخلة فى الشرط الأول وسوف نبين حكم نكاح المعتدة تفصيلا عند الكلام عن المحرمات من النساء . هذا ويجوز شرعا التعريض بالخطبة أثناء العدة والتعريض صفته أن يقول لهذه البنت أو المرأة : أتمنى من الله عز وجل أن تكونى لى زوجة أو يقول لوليها : ابنتك أو أختك نعم الزوجة الصالحة وليت كافة النساء مثلها وأرجوا من الله أن يمن على بمثلها . وهذا التعريض قد أجازه لقرآن الكريم فى قوله سبحانه : ﴿ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [٤] .

أيها الأحباب ، ويحرم شرعا أن يعدها بالزواج بعد انقضاء العدة لقوله تعالى : ﴿ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ والقول المعروف هو وصفها بالصلاح وأنه يتمنى أن لو كانت له زوجة على صلاحها وتقواها .

أما التصريح بالخطبة فهو حرام بإجماع أئمة المسلمين لا فرق فى ذلك بين عدة الوفاة أو الطلاق أو الحمل . وإذا علم أنها معتدة وخطبها فإن الخطبة تفسخ وتحرم عليه إلى الأبد لأنه من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه قال جل شأنه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٥] .

هذا وعدة الطلاق التى تحرم الخطبة هو الطلاق البائن بينونة كبرى أو كان هذا الطلاق هو المتمم للثلاث .

فاعلموا ذلك رحمكم الله : أما المعتدة من طلاق رجعى تحرم خطبتها أيضا

---

(١) البقرة / ٢٣٤ .
(٢) الطلاق / ٤ .
(٣) البقرة / ٢٣٥ .
(٤) البقرة / ٢٣٥ .
(٥) سورة البقرة/ ٢٢٩ .

إجماعا تصريحا أو تلويحا لأنها على أمل المراجعة من زوجها صاحب العدة .

الإهداء إلى المخطوبة

تعود الناس أثناء الخطبة أن يتقدموا بهدايا إلى المخطوبة ، وقد تكون الهدايا مالية ، أو أجهزة كهربائية ، أو ملابس ، أو غير ذلك ، وكل هذا شىء عظيم لا حرج فيه شرعا إلا أن الشبكة لها اتفاق مخصوص ، فبعض العائلات يشترط أن تكون شبكة ابنته بألف جنيه ذهبا ، والبعض يشترط أن تكون بثلاثة آلاف ، والبعض الآخر يشترط أن تكون بعشرة آلاف وحدث عن ذلك ولا حرج .

ثم يقام لها حفل يسمى حفل الشبكة ويدعى الناس لحضورها ومن ثم فقد اعتبرها الفقهاء جزءا من المهر فلا تدخل ضمن الهدايا لأن الهدايا تعود إلى جود الخاطب وكرمه ولا يُقيد بشىء يهادى به .

وقد علمنا أنه مُقيد بأشياء معينة فى الشبكة إن لم يلتزم بها فسخت الخطبة فكيف إذا نعتبرها هدية ونحكم بها فى الجلسات العرفية سبحانك هذا بهتان عظيم .

ولكن إذا ما فسخت الخطبة فهل ترد الهدايا أم لا . . . ؟

جمهور الفقهاء على أن الهدايا لا ترد إلى الزوج حتى ولو كان الفسخ من جهتها والأحناف يرون إرجاع كافة الهدايا إليه وقيمتها إن استهلكت .

وهناك رأى عند السادة المالكية وبعض الشافعية يقول بالتفصيل : فإذا كان الخاطب هو المتسبب فى الفسخ فلا شىء له مما أهداه ، وإن كان الفسخ من جهتها فإن للخاطب ما أهداه من هدايا .

وهذا الرأى هو أعدل الآراء وهو ما أخذ به قانون الأحوال الشخصية وإليه أميل وأفتى .

بيد أنه ينبغى التنبيه لأمر هام وهو : أن الشبكة حق الخاطب لا فرق بين أن يكون هو المتسبب أم لا لأن الشبكة قد أعطيت لها نظير إتمام الزواج وحيث أن الزواج لم يتم فهو أولى بما تقدم به من شبكة (ذهبية) .

وبهذا أفتى مولانا الإمام الشيخ / حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية

الأسبق [١] . أيها الأحباب ما الذى يستحب للخطبة ؟

١ - يستحب إسرار الخطبة وإخفاؤها عن الناس خشية كلام المفسدين ولقوله ﷺ : **«استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود»** [٢] .

وعن مولاتنا السيدة أم سلمة بلفظ : [أظهروا النكاح وأخفوا الخطبة] . [٣] .

٢ - يستحب أن يخطب يوم الجمعة بعد العصر [٤] . والمقصود أن تكون خطبته يوم الجمعة للمرأة التى أراد خطبتها ويكره فى صدر النهار لأن يوم الجمعة يوم مبارك وفيه ساعة إجابة .

٣ - ويستحب النظر إلى المخطوبة قبل التزوج وقبل الخطبة لحديث المغيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنه خطب امرأة فقال النبى ﷺ : **«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»** [٥] . والنظر مقيد بقيود منها :

أ - ينبغى أن يكون النظر إلى التى يرغب التزوج بها وإلا كان النظر حراما .

ب - وأن يكون عالما أنه سيجاب إلى خطبته بأن يعلم أنه ذو قبول عند المخطوبة وأهلها .

جـ - وأن يكون النظر إليها بعلمها إن كانت بالغة رشيدة أو بعلم وليها وإلا يكره استغفالها واستراق النظر إليها لئلا يراها على حالة لا ترضاها بخلاف ما إذا أعلمها فإنها تصلح من شأنها وتتهيأ للنظر [٦] .

د - ولكن ما هو القدر المسموح بالنظر إليه من المرأة ؟ للخاطب أن ينظر إلى وجهها وكفيها لأن النظر إلى ما سوى ذلك حرام ، فله النظر إلى الوجه والكفين أما بقية جسدها أو رائحة فمها فعليه أن يستعين فى ذلك بإحدى قريباته كالأم والأخت والعمة

---

(١) انظر فتاوى شرعية وبحوث إسلامية ٢ / ٥٦ .
(٢) رواه الطبرانى وأبو نعيم .
(٣) رواه الديلمى .
(٤) انظر حاشية فتح المنعم لسيدى / محمد حبيب الله الشنقيطى المالكى ٤ / ٢٦٦ .
(٥) رواه الترمذى ٣ / ٣٩٧ حديث رقم (١٠٨٧) .
(٦) انظر حاشية فتح المنعم ٤ / ٢٦٧ ، وحاشية الدسوقى ٢ / ٢١٥ ، وجواهر الإكليل ١ / ٢٧٥ .

والخالة .

هـ - وإذا نظر إلى الوجه والكفين فإنه يحرم مسهما لما فيه من زيادة المباشرة وللنهى عن ذلك فى الحديث الشريف : «**لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**» (١) .

و - ولا يتضرها بخلوة معها لأن التى عزم على خطبتها لا تزال أجنبية عنه كما ذكرنا .

ز - وكما يندب للزوج نظر الوجه والكفين يندب للمرأة نظرها من الرجل كذلك فعن مولاتنا السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها : [أنها كانت تدعو بنى أخيها فتجعل بينها وبين بنى أخيها ثوبا تراهم من ورائه فحيث ما هوت جارية فتى أنكحتها إياه] (٢) .

يقول الإمام النووى فى روضته : [والمرأة أيضا تنظر إلى الرجل إذا أرادت تزوجه فإنه يعجبها منه ما يعجبه منها] اهـ منه بلفظه .

أيها الأحباب ، مالذى يستحب فى الخاطب والمخطوبة . . . ؟

اعلموا بارك الله فيكم أنه يستحب فى الخاطب والمخطوبة أمور انصرف الكثير من الناس عنها لذا أردت تبيينها الليلة سائلين الله أن يعيننا على اتباعها :

١ - يستحب فى كل من الخاطب والمخطوبة أن يكون على دين وخلق .

٢ - ويستحب أن تكون بكرا لقوله ﷺ : «**عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما وأرضى باليسير**» (٣) . وسبق فى الدرس السابق الحديث عن البكر بما لا يدعو العودة إلى الحديث عنه كما سبق فى الحديث عن الدين والخلق .

٣ - أن تكون ولودا ودودا لقوله ﷺ : «**تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة**» (٤) . ولا أعتقد أننا نسينا الحديث عن ذلك فى لقاء سابق .

---

(١) رواه الطبرانى والبيهقى .
(٢) رواه عبدالرزاق فى مصنفه ٦ / ١٥٩ رقم (١٠٣٤٠) .
(٣) رواه ابن ماجة ١ / ٥٩٦ حديث رقم (١٨٥٧) .
(٤) رواه أحمد فى مسنده ١٥٨/٣ حديث رقم (٢٤٥) .

٤ - أن تكون ذات جمال ولذلك يقول الإمام النووى : [وبعد الدين ذات الجمال والعقل أولى . . . » اهـ . لقوله عليه السلام فى الحديث السابق : «**وإن نظر إليها سرته**» .

٥ - أن يختار ذات العقل ويجتنب الحمقاء لأن النكاح يراد للعشرة ولا تصلح العشرة مع الحمقاء ولا يطيب العيش معها وربما تعدى ذلك إلى ولدها . وقد قيل : [اجتنبوا الحمقاء فإن ولدها ضياع وصحبتها بلاء] اهـ [١] .

٦ - ومما يستحب فى المرأة أن تكون بالغة كما نص على ذلك إمامنا الشافعى رضى الله عنه إلا لحاجة أو مصلحة .

وكلما تقارب السن بين الزوجين كان أحب لأنه أقرب للتفاهم والوفاق فعن سيدنا عبدالله بن بريدة عن أبيه قال : خطب أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فاطمة فقال رسول الله ﷺ : «**إنها صغيرة**» **فخطبها على فزوجها منه** [٢] .

٧ - ويستحب ألا تكون من القرابة القريبة جدا كما بيّنا ذلك لحضراتكم من قبل لأن قرابته غير القريبة أولى من الأجنبية ، والقرابة القريبة جدا يخشى معها الضعف أو العجز وهذا مما أثبته الواقع والطب [٣] .

٨ - وأن تكون خفيفة المهر كما ذكر ذلك سيدنا ومولانا الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه العظيم إحياء علوم الدين .

ولذلك روى سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : [خيرهن أيسرُهُنّ صداقا] [٤] وعن مولاتنا السيدة عائشة رضى الله عنها : [من يُمْنِ المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها] [٥] .

٩ - وأن تكون حسيبة نسيبة من أهل بيت الدين والصلاح ليكون ولدها نجيبا فإنه ربما أشبه أهلها ونزع إليهم وكان يقال : إذا أردت أن تتزوج امرأة فانظر إلى أبيها وأخيها

---

(١) انظر المغنى لابن قدامة ٦/٥٦٦ .
(٢) رواه النسائى فى سننه ٦ / ٦٢ رقم (٣٢٢١) .
(٣) انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ٢ / ٤١ .
(٤) أخرجه ابن حبان .
(٥) أخرجه ابن حبان .

لما قيل: كادت المرأة أن تلد أخاها .

ولأنها ستربى بناتها وأبنائها فإن لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية .

١٠ - ويستحب ألا تكون ذات ولد من غيره إلا لمصلحة وأن لا يزيد على امرأة من غير حاجة ظاهرة . ذكرهما الإمام النووى . وأن لا يكون لها مطلق يرغب فى نكاحها ذكرها فى زاد المسلم .

١١ - وخلاصة القول ما قاله سيد الوجود سيدنا ومولانا محمد صلوات ربى وسلامه عليه : «**من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقاوة ابن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء**»(١) .

١٢ - ويستحب للمخطوبة أن تستخير ربها فيمن خطبها ، والحديث عن الاستخارة موعدنا معه يوم الاثنين القادم إن شاء الله أرجو الحرص على متابعة دروس المساء فإنها لا غنى عنها خصوصا ونحن فى عصر بَعُدَ فيه الناس عن هدى نبيهم ﷺ .

١٣ - ويستحسن للمرأة أو وليها بعد الاستخارة أن تستشير أهل الفضل والمعرفة فيمن يخطبها وعلى المستشار أن يخبرها بما يعلم من غير مبالغة أو تدليس وليحذر من كتمان ما يعرفه وإلا كان كاتما للشهادة . قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾(٢) . وليحذر كذلك من المبالغة فى وصفه أو ذمه بدون داع أو لحاجة فى نفسه فإن ذلك أمانة ولسوف يسأل عنها أمام الله عز وجل .

وعندما سئل رسول الله ﷺ من فاطمة بنت قيس رضى الله عنها عن أبى جهم ومعاوية بن أبى سفيان واللذان خطباها أجابها المصطفى ﷺ بقوله: «**أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحى أسامة بن زيد**» فكرهته ثم قال: «**أنكحى أسامة بن زيد**» فنكحته فجعل الله عز وجل فيه خيرًا واغتبطت به(٣) . فهل منكم متأس بالرسول ﷺ؟

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده ١ / ١٦٨ والحاكم وصححه وفى رواية الحاكم (والمسكن الضيق) ورواه ابن حبان بلفظ: لأربع من السعادة ، وأربع من الشقاوة] .

(٢) البقرة (٢٨٣) .

(٣) أخرجه النسائى فى سننه ٦ / ٧٥ حديث رقم [٣٢٤٥] .

١٤ - ويندب فراق المُصرِّح لها بالخطبة فى عدتها إذا تزوجها بعد انقضاء عدتها وذلك لكراهة صريحة خطبة المعتدة بل تحرم كما أسلفنا .

١٥.- ويندب عرض المخطوبة التى سبق أن ركنت لخاطب ثم خطبها ثان فإن أجابته فيندب عرضها على هذا الخاطب الأول الذى ركنت إليه وركن إليها .

١٦ - ويندب فراق الزانية التى تزوجها غير عالم بحالها ثم علم فيندب له فراقها لأنه يكره له الزواج منها ، وإذا فارقها فلا صداق لها .

والمراد بها هنا التى اشتهرت بالزنا والمجاهرة به من غير ثبوته عليها أو ثبت عليها الزنا بالبينة ولم تحد ، أما إذا أقيم عليها الحد فلا كراهة فى زواجها وحيث أنه لا حد يقام على الزانية فى هذا العصر ، فإننا إذا علمنا بصدق توبتها وندمها فإن من تاب تاب الله عليه وإذا كان الله يتوب ويتجاوز عن عبده مع قدرته التى لا وصف لها ، ألا يغفر العبد الضعيف زلة آدمية ضحك عليها الشيطان ثم تابت ورجعت؟ ولعمرى قد تكون تلك أفضل من غيرها إن شاء الله ، فَرُبَّ ذنب أورث صاحبه ذلا وانكسارا أفضل من طاعة أورثت غرورا واستكبارا .

١٧ - ويستحب ألا تكون شديدة الغيرة خارجة عن حد الاعتدال لما روى عن سيدنا أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال - يا رسول الله ألا نتزوج من نساء الأنصار . . . . ؟ قال : «**إن فيهم لغيرة شديدة**» [1] .

والغيرة يا أحبابى ليست بمحظورة شرعا ولكن كل شيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ، فلا مانع من الغيرة من الزوجات بشرط أن تكون الغيرة معتدلة والاعتدال مطلوب فى كل شيء ، فلقد كانت مولاتنا السيدة عائشة تغار على النبى ﷺ ولكنها كانت عاقلة فى غيرتها فاعلموا ذلك يرحمكم الله . فالإفراط منبوذ والتفريط محظور والتشدد ممقوت ومن شدد شدد الله عليه .

١٨ - ويندب أو يستحب عرض الولى ابنته على الرجل الصالح .

قال الإمام القرطبى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى**

(١) رواه النسائى فى سننه ٦ / ٦٩ حديث رقم (٣٢٣٣) .

ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾ [١] .

فيه عرض الولى ابنته على الرجل وهذه سنة قائمة ، عرض [صالح مدين] ابنته على [صالح بنى إسرائيل] ، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبى بكر وعثمان ، وعرضت الموهوبة نفسها على النبى ﷺ .

فمن الحسن عرض الرجل وليته ، والمرأة نفسها على الرجل الصالح اقتداء بالسلف الصالح فهم خير قدوة لمن أراد القدوة ، ودعوكم من كلام الناس فإنه يؤخر لا يُقدم .

أيها الأحباب : هناك آثار مترتبة على الخطبة والعدول عنها فما هى . . . ؟ فإلى الملتقى فى الأسبوع القادم إن كان لنا فى العمر بقية .

* * * * * * * * *

(١) سورة القصص الآية (٢٧) .

الدرس الثانى عشر درس "الأحد"

فى تفسير القرآن الكريم مع سورة الفاتحة

الحمد لله الكريم الذى عليه اعتمادى ، وإليه تفويضى واستنادى ، وأصلى وأسلم على النبى الخاتم والرسول الشفيع لنا فى يوم عصيب سيدنا ومولانا محمد الذى أرسله الله نبراسا لنا لمن أراد القدوة الطيبة والأسوة الحسنة وذلك لمن أراد الفلاح فى الدارين الدنيا والآخرة ، ورضى الله تبارك وتعالى عن آله الأطهار وصحبه الأخيار ومن تبعهم بصدق وإحسان . ثم أما بعد :

فيا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ، هذا هو موعد لقائى مع حضراتكم وهو اللقاء الثالث بالسبع المثانى والقرآن العظيم بأم القرآن بفاتحة الكتاب ، لقاؤنا الليلة بين المغرب والعشاء يدور حول التفسير التحليلى للسورة الكريمة ولا سيما بعد ما توقفنا مع أسمائها وفضلها ومكانتها من بين السور إلى غير ذلك من أمور تعلقت بالسورة الكريمة ، وبقى لنا الوقوف مع تفسيرها وبيان ما فيها من فوائد وأحكام وأسرار وعلى بركة الله لنشرع فى المقصود وهو المستعان . أيها الأحباب ، لقد علمنا الله عز وجل أن نثنى عليه قبل كل شىء بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وحقا إنه وحده المختص بالحمد والثناء ، ولا توجد عبارة أبلغ فى الحمد والثناء من هذه الآية الكريمة - فاتحة الفاتحة - بعد البسملة ، فقد بلغت حدا كبيرا من الإعجاز لأن من يكون رب العالمين ، أى رب العوالم كلها بما فيها تفصيل وتنظيم ، وإبداع وتنسيق ، وقد جعل لكل عالم من هذه العوالم نظاما يناسبه وتدبيرا خاصا يلائمه لا يتخلف منه شىء من ذلك النظام البديع كان جديرا بهذا الحمد وذلك الثناء ونحن - من جانبنا - لا نستطيع أن نقوم بواجب هذا الحمد له تعالى ، والأمر على ما قال ﷺ: «**لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»(١) .

وقد دبر عز وجل هذه العوالم كلها جميعا بحكمته الباهرة ، وأبدع نظامها بقدرته القاهرة ، وقد جاءت صيغة العالمين بصيغة الجمع ، لأن العوالم كثيرة لا يحصيها إلا الله وحده ولكل عالم نظام ولا يحيط العلم بكل عالم غيره تبارك وتعالى ، [illegible] الذ

(١) رواه البيهقى ، انظر نور الإيمان جـ ١ صـ ٢٥ .

أحاط بكل شيء علما .

ومن ذكر عالما ما عالم الحيوان مثلا أو عالم النبات وجده لا يحيط به إلا الله الذى أحاط بكل شيء علما ، وها هو ذا عالم الإنسان تعددت ألوانه وأنواعه وأخلاقه وأحواله . فمثلا القلب منه الذى هو بمثابة عقرب الساعة إذا وقفت دورته وقفت حياة الإنسان وهو مكان سعادته وشقائه ، ومناط نعيمه وآلامه وليتدبر الإنسان قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[1] وليتأمل الإنسان الكبد إذا تعطل عن وظيفته تسبب عنه الزلال وينشأ من الزلال السكر ومن السكر يختل التوازن بين الأعضاء وقد يحدث تغيرا فى الأخلاق وضيقا فى النفس ، وليتأمل المرء الرئتين فهما يكرران الدم بواسطة الهواء بحركة الشهيق والزفير ، وهما بتقدير العزيز العليم وبفقدهما فقد الحياة .

وليتدبر الإنسان الأطعمة التى يتناولها فمنها يخرج ما ينفع القلب ومنها ما ينفع الكبد والرئتين ، فالتفاح مثلا يخرج منه ما ينفع هذه الأعضاء الثلاثة والبرتقال يخرج منه ما ينفع الرئتين وغيرهما ، وهكذا . . . فسبحان الله العليم الحكيم القادر ، وليتأمل المرء فى اتجاه الأعضاء فى الخير والشر والنفع والضر كاللسان يصدق ويكذب واليد تنفع وتضر ، وهكذا . . . وهكذا العوالم كلها واضحة الدلالة لمن تأمل على قدرة الله القدير وجلاله وعظمته سبحانه وتعالى .

وفى كل شىء له آية ::: تدل على أنه الواحد

ولاشك أن من تأمل متدبرا فى العوالم كلها حمد ربها الخالق القادر المريد العالم ، الحى السميع ، البصير المتكلم[2] .

أيها الأحباب ، أرشدنا الله تعالى إلى أن نبدأ كل أعمالنا وأقوالنا بالبسملة فهى مطلوبة لذاتها محققة للاستعانة باسمه العظيم ، وعلمنا سبحانه كيف نحمده على إحسانه ونعمه فهو صاحب الثناء بحق فالحمد كله لله دون سواه لأنه مالك الملك ورب العوالم والموجودات كلها أوجدها ورباها وعنى بها وهو صاحب الرحمة الشاملة

---

(١) سورة "ق" من الآية : ٣٧ .

(٢) انظر نور الإيمان فى تفسير القرآن جـ١ صـ٢٦ .

الدائمة ، ومالك يوم الجزاء والحساب ليقيم العدل المطلق بين العباد ويحقق للمحسن ثوابه وللمسىء عقابه ، فهذه الصفات تقتضينا أن نخص الله بالعبادة وطلب المعونة والخضوع التام فلا نستعين إلا به ولا نتوكل إلا عليه ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين لأنه المستحق لكل تعظيم ، والمستقل بإيجاد النفع ودفع الضر وقد تعصف الأهوال بالنفوس ، وتزيغ بالعقول فلا عاصم من التردى فى الشهوات ومتاهات الانحراف إلا الله لذا أرشدنا الحق سبحانه إلى طلب الهداية والتوفيق منه حتى نسير على منهج الحق والعدل ونلتزم طريق الاستقامة والنجاة وهو طريق الإسلام القديم المستمر الذى أنعم الله به على النبيين والصديقين والصالحين ، وهذا شأن العابد الناسك العاقل العارف حقيقة نفسه ومصيره فى المستقبل . لاشك الكافر الجاحد الضال المنحرف الذى أعرض عن طريق الاستقامة . عنادا أو ميلا مع الأهواء أو جهلا وضلالا ، وما أكثر الضالين عن طريق الهداية ، المتنكبين منهج الاستقامة الذين استحقوا الغضب والسخط الإلهى .

فاللهم أدم علينا البقاء فى طريق الهداية ، وتقبل ثناءنا ودعاءنا واحفظنا من الغواية والضلال ، وبه تبين أن الناس فريقان : فريق الهدى ، وفريق الضلال ، والضلال هو العدول عن الطريق المستقيم ، ويضاده الهداية ، وقد منح الله تعالى للإنسان خمس هدايات يتوصل بها إلى سعادته [1] :

١ - هداية الإلهام الفطرى : وتكون للطفل منذ ولادته . فهو يحس بالحاجة إلى الطعام والشراب ، فيصرخ طالبا له إن غفل عنه والداه .

٢ - هداية الحواس : وهى متممة للهداية الأولى وهاتان الهدايتان يشترك فيهما الإنسان والحيوان ، بل هما فى البداية أكمل فى الحيوان من الإنسان إذ إلهام الحيوان يكمل بعد ولادته بقليل ، ويكتمل فى الإنسان تدريجيا .

٣ - هداية العقل : وهى أسمى من الهدايتين السابقتين ، فالإنسان خلق مدنيا بالطبع ليعيش مع غيره ، ولا يكفى الحسن الظاهر للحياة الاجتماعية فلابد له من العقل الذى يوجهه إلى مسالك الحياة ويعصمه من الخطأ والانحراف ويصحح له أغلاط الحواس ، والانزلاق فى تيارات الهوى .

---

(١) انظر التفسير المنير جـ١ صـ ٥٨ ، ٥٩ وانظر تفسير المراغى جـ١ صـ٣٥ .

٤ - هداية الدين: وهى الهداية التى لا تخطئ والمصدر الذى لا يضل فقد يخطئ العقل . وتنحرف النفس مع اللذات والشهوات حتى توردها موارد الهلاك ، فيحتاج الإنسان إلى مقوم مرشد هاد لا يتأثر بالأهواء فتسعفه هداية الدين لإرشاده إلى الطريق الأقوم إما بعد الوقوع فى الخطأ أو قبله وتظل هذه الهداية هى الحارس الأمين الذى يفىء إليها الإنسان للتزود بمفاتيح الخير والتسلح بمغلاق الشر فيأمن العثور ويضمن النجاة وتعرفه بحدود ما يجب عليه لسلطان الله الذى يخضع له فى أعماق نفسه ، ويحس بالحاجة الملحة لصاحب ذلك السلطان ، الذى خلقه وسواه ، وأنعم عليه نعما ظاهرة وباطنة لا تعد ولا تحصى فصارت هذه الهداية أشد ما يحتاج إليها الإنسان لتحقيق سعادته .

وقد أشار القرآن إلى تلك الهدايات فى آيات كثيرة منها: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[١] أى بينا له طريقى الخير والشر والسعادة والشقاء ومنها قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾[٢] أى أرشدناهم إلى طريق الخير والشر فاختار الثانى .

٥ - هداية المعونة والتوفيق للسير فى طريق الخير والنجاة: وهى أخص من هداية الدين ، وهى التى أمرنا الله بدوام طلبها فى قوله تعالى: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ أى دلنا دلالة تصحبها من لدنك معونة غيبية ، تحفظنا بها من الضلال والخطأ .

وهذه الهداية خاصة به سبحانه ، ولم يمنحها أحدا من خلقه ، بل نفاها عن النبى ﷺ فى قوله: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء ﴾[٣] وقوله سبحانه: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء ﴾[٤] وأثبتها لنفسه فى قوله سبحانه: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[٥] .

أما الهداية بمعنى الدلالة على الخير والحق فأثبتها الله للنبى ﷺ فى قوله: ﴿ وَإِنَّكَ

---

(١) سورة البلد الآية/ ١٠ .
(٢) سورة فصلت من الآية / ١٧ .
(٣) سورة القصص الآية / ٥٦ .
(٤) سورة البقرة الآية / ٢٧٢ .
(٥) سورة الأنعام من الآية / ٩٠ .

لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

والخلاصة : الهداية فى القرآن نوعان : هداية عامة : وهى الدلالة إلى مصالح العبد فى معاده وهذه تشمل الأنواع الأربعة السابقة ، وهداية خاصة : وهى الإعانة والتوفيق للسير فى طريق الخير والنجاة مع الدلالة وهى النوع الخامس .

والإضلال نوعان (٢) : أحدهما : أن يكون سببه الضلال : إما بأن يضل عنك الشيء كقولك : أضللت البعير أى ضل عنى ، وإما أن تحكم بضلاله والضلال فى هذين سبب الإضلال .

والثانى : أن يكون الإضلال سببا للضلال وهو أن يزين للإنسان الباطل ليضل .

وإضلال الله تعالى للإنسان على أحد وجهين : إما الحكم عليه بالضلال أو التمكين من البقاء فى الضلال .

والأول سببه الضلال وهو أن يضل الإنسان فيحكم الله عليه بذلك فى الدنيا ويعدل به عن طريق الجنة إلى النار فى الآخرة وذلك إضلال هو حق وعدل : لأن الحكم على الضال بضلاله والعدول به عن طريق الجنة إلى النار عدل وحق .

والثانى : سببه اختيار الإنسان : وهو أن يختار الإنسان طريق الانحراف فيمده الله فى ضلاله ويمكنه من البقاء فى طغيانه ويخلق له القدرة على الاستمرار فى كفره وفساده ، لذا نسب الله الإضلال للكافر والفاسق دون المؤمن بل نفى عن نفسه إضلال المؤمن فقال : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ﴾ (٣) .

وقال سبحانه : ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الشورى الآية / ٥٢ .
(٢) انظر مفردات القرآن للراغب الأصفهانى صـ ٣٠٧ .
(٣) سورة التوبة / ١١٥ .
(٤) سورة "محمد" الآيات/ ٤ ، ٥ ، ٦ .

وقال في الكافر الفاسق : ﴿ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (١) .

وقال جل شأنه : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢) .

وقال عز من قائل : ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣) .

وقال سبحانه : ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) .

وعلى هذا النحو تقليب الأفئدة في قوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ ﴾ (٥) . والختم على القلب في قوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (٦) . وزيادة المرض في قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً ﴾ (٧) .

فمن اختار الضلالة أبقاه الله فيها ومنع عنه نفوذ الهداية إلى قلبه عقابا له من الله تعالى .

أيها الأحباب : تلكم هي وقفات مع تفسير سورة الفاتحة وبقى لنا مع السورة الكريمة فوائد وأحكام تضمنتها السورة الكريمة نرجئ الحديث عنها يوم الأحد القادم حتى لا نطيل على حضراتكم ونكتفى بهذا القدر الليلة وبالله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * * * * * * * *

---

(١) سورة "محمد" الآية / ٨ .
(٢) سورة البقرة الآية / ٢٦ .
(٣) سورة غافر من الآية / ٧٤ .
(٤) سورة إبراهيم من الآية ٢٧ .
(٥) سورة الأنعام من الآية / ١١٠ .
(٦) سورة البقرة من الآية / ٧ .
(٧) سورة البقرة الآية / ١٠ .

الدرس الثالث عشر درس "الاثنين"
فى الحديث النبوى الشريف

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الرزاق ذو القوة المتين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ﷺ صاحب الضمير الحى والخلق العظيم ، اللهم صل وسلم وبارك عليه صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب وتطهر بها ظاهرنا وباطننا صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين .

أما بعد ،

فيا أحباب الحبيب المصطفى ، أحييكم بتحية النور والخير والرضا والسرور أحييكم بتحية الإسلام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ومغفرته ورضوانه ، ومرحبا بكم فى مساء يوم الاثنين مع حديث البشير النذير صلوات ربى وسلامه عليه ، وحديثنا الليلة حديث يتعلق بالضمائر الحية فى زمان ماتت فيه الضمائر فغسلت وكفنت وصُلى عليها أربعا ثم دفنت إلا من رحم ربى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وقد ذكرنى بهذه الضمائر الميتة هذا الحديث الذى معنا الليلة والذى يقول فيه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ : **«البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى صدرك وفى رواية ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك»** [1] .

يا أحباب الله ورسوله ، وقد أحببت تلك الليلة أن أتناول مع حضراتكم جانبا من الجوانب التى ماتت فيها الضمائر الكثيرة تلكم هو جانب الوظيفة فإننا فى هذا الزمان نجد الإهمال الواضح فى وظيفتنا وقل ما إن ذهب مواطن لقضاء مصلحته وقضاها فى وقته المناسب إنما يذهب المواطن لقضاء مصلحته فى إحدى المصالح الحكومية فيجد الموظف المختص إما غير موجود بمكتبه أو موجود ويتناول الإفطار أو يشرب الشاى أو القهوة أو يتحدث مع زميله أو زميلته أو عند ضيف أو يصفح الجرائد اليومية وربما ذهبت إليه فأرسلك لتشتريها له أو تشترى له علبة سجائر إلى غير ذلك من الفوضى التى نشاهدها فى المصالح الحكومية فضلا على تعب صاحب المصلحة عندما

---

(١) رواه الإمام أحمد بسند حسن .

يتخلص منه الموظف بقوله له : اذهب وائت إلينا غدا وربما ضاعت الأوراق والبحث عنها جارٍ حيث لا بحث كما نسمع فى برنامج " همسة عتاب " ونجد أيضا بعض الموظفين يتقاضى رشوة مالية أو عينية حتى يُيسر لمواطن مطلبه ، وبعضهم يوقع فى دفتر الحضور والانصراف أو يُوقع له ، ولا نجد الانضباط إلا عند مجىء زائر إلى المصلحة من وزير فأدنى حينئذ نجد المسارعة إلى قضاء المصالح والجميع فى مكاتبهم قمة الانضباط ، وإلى هؤلاء نقول : لا تراقبوا رؤساءكم فى العمل فإنهم خلق من عباد الله عز وجل وإنما راقبوا الله وحده فهو معكم أينما كنتم ، وتذكروا قول سيدنا عمر بن الخطاب عندما قال : [لو تعثرت دابة فى الطريق لسألنى الله لِم لم تصلح لها الطريق يا عمر] وقد يقول لى أحد الموظفين الذين أحبوا الفوضى : إن الراتب الذى أتقاضاه من الدولة لا يفى بحاجات البيت ولا يعيننى على نوائب الدهر والأيام لذا أوقع وأنصرف أقول لهذا الإنسان وأمثاله : من الذى أرغمك على قبول الوظيفة وقد عُرض عليك الراتب الشهرى إنك قبلت العمل ساعات معلومة فى اليوم نظير مبلغ معلوم ، وتأتى اليوم وتشكو قلة الدخل وعلى كل حال اعلم أنك بذلك تأكل حراما ولسوف تسأل عن هذا المال وتذكر قول سيدنا ومولانا محمد ﷺ: «**إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه**»[1] ومن أجل ذلك فإنى أُوجه إليك تلك الرسالة حتى أبرأ إلى الله من ذنبك يوم القيامة وكفى بالله شهيداً وكفى بالله وكيلا .

أيها الأحباب : أعيرونى أذان القلوب ثم وحدوا الواحد المعبود وصلوا على النبى المعصوم تفوز بالرضا والقبول .

اعلموا إخوانى بارك الله فيكم أن المسلم الذى يرجو ربه ويخاف سوء الحساب يعلم أنه مأخوذ عليه فى سمعه وبصره وسائر جوارحه ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾[2] وأن من سعة وشمول الإسلام تنظيمه للأعمال وصور الكسب بل تنظيمه لكل ناحية من نواحى الحياة قال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ**

---

(١) رواه أبو يعلى والطبرانى والبيهقى .
(٢) سورة الإسراء من الآية / ٣٦ .

دِينًا ﴾ [١] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .

فالإنسان يسأل عن ماله من أين أخذه وفيما أنفقه ، كما أن الدنيا لا تنفصل فى حس المسلم عن الآخرة ، وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يضرب بعصاه من لم يتعلم فقه البيوع ويقول له ستأكل بالربا ، فتعلم ما به صلاحك فى دنياك وأخراك .

ولقد كان سيدنا سلمان الفارسى رضى الله عنه يقول : إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت وأفضل الدنانير الذى ينفقه الإنسان على أهله وعياله ، وقد أمر سبحانه عباده فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ [٣] . وقال سبحانه : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٤] ، وقال : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ [٥] ، والنصب هو التعب الذى يلحق الإنسان من العمل بعد فراغه من العباده فلكل مقام مقال ، وكفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول ويقول ﷺ: **«على كل مسلم صدقة قال: أرأيت إن لم يجد ؟ قال يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قال: أرأيت إن لم يستطع ؟ قال: يعين ذى الحاجة الملهوف قال: أرأيت إن لم يفعل ؟ قال يمسك عن الشر فإنها صدقة»** [٦] .

أيها الأحباب ، وفى قوله ﷺ: **«يعين ذى الحاجة الملهوف»** تأملوا فى هذا القول الجميل وفى هذه العبارة النيرة المحكمة إذ ليس هناك أشد لهفة من المواطن الذى يود قضاء مصلحته وهو ليس بمسئول عن إفطارك ومشروبك وحديثك مع الخاصة والعامة وغير ذلك من الفوضى التى اندلعت فى جل المصالح الحكومية فإن هذا الصنيع محله فى

---

(١) سورة المائدة الآية / ٣ .
(٢) سورة الأنعام الآية / ١٦٢ .
(٣) سورة الملك الآية / ١٥ .
(٤) سورة الجمعة الآية / ١٠ .
(٥) سورة الشرح / ٧ .
(٦) رواه البخارى ومسلم .

البيت أو مكان خاص بك أما هذا المقر فهو لكل مواطن سخرك الله لخدمته ولست تقوم بخدمته لله إنما هذا حقه قد كفلته له الدولة وأنت تتقاضى عليه أجر وقد وافقت أن تتعاهد نظير هذا الأجر فكن رجلا حتى تلقى الله .

واعلم أخى المسلم أن أخذ الأموال قليلة كانت أم كثيرة من المواطنين تعد من التسول وقد نهانا ديننا الحنيف عن التسول والاستجداء فقد جاء فى الحديث الشريف : **«لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»** [١] .

ونجد مولانا رسول الله ﷺ يقول لنا حضا على العمل وتجنبا للتسول وطأطأة الرأس والتواكل فيقول صلوات ربى وسلامه عليه : **«اليد العليا خير من اليد السفلى»**[٢] الحديث . وقد نفّر صلوات ربى وسلامه عليه من الاستجداء فى قوله ﷺ: **«من فتح على نفسه بابا من المسألة فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر»** [٣] .

ويقول ﷺ: **«لا تزال المسألة بالعبد حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم»**[٤] ، فإن لم تكن من ذوى الفقر الشديد أو تحملت غرامة كبيرة فى موضوع خيرى كإصلاح ذات البين أو عليك دية قتل فليس لك أن تسأل الناس أموالهم وعليك بالعمل فعزة النفس محمودة .

وقد قال سبحانه مشيرا إلى عفة النفس وإلى بيان حقيقة الفقير الصادق عزيز النفس : **﴿ لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾** [٥] .

فقل لى بالله عليك أيها الموظف : بأى حق تمد يدك إلى المواطن ، وتأخذ منه جنيها أو أكثر أو أقل بأى حق أخذت منه علبة السجاير وبأى حق طلبت منه أن يشترى لك الجريدة اليومية .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) رواه البخارى .
(٥) سورة البقرة الآية / ٢٧٣ .

فلعمرى إنه لسحت تشوى به فى نار جهنم فعليك بالعفة والقناعة يبارك لك فى رزقك ويجنبك وأهل بيتك الأمراض .

وقديما قال الشاعر :

دع الحرص على الدنيا	:::	وفى العيش لا تطمع
ولا تجمع من المال	:::	فما تدرى لمن تجمع
فإن الرزق مقسوم	:::	وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذى حرص	:::	غنى كل من يقنع

وإذا كنت أيها الموظف توضع لك الأموال داخل البطاقة الشخصية أو العائلية أو داخل أوراق حتى لا يراك الناس ، فإن خالق الناس يراك وحسبك ذلك فإنه يعلم السر وأخفى . هداك الله وكفاك شر ما فى أيدى الناس وشر الأرزاق التى مصدرها السحت وأكل أموال الناس بالباطل ، استمع إلى القرآن الكريم وهو يخاطب النفس المؤمنة أرجوا الله سبحانه أن يجعلك منهم ويحشرك فى زمرتهم آمين يارب العالمين بجاه سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

أيها الموظف ، أعرنى أذان قلبك لتسمع نداء ربك لك وهو يقول فى قرآنه المجيد : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا ﴾ [١] .

فإلى كل موظف قد أعماه المال وضحكت عليه الدنيا وصار الطمع هو مثله الأعلى أقول له : إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، والعاقل من أخذ لنفسه من دنياه لآخرته ومن غناه لفقره ومن قوته لضعفه ومن شبابه لهرمه والسعيد من اتعظ بغيره وعمل لما بعد الموت .

وسلوا أسلافكم من أهل الطمع وجمع الأموال بماذا عاد عليهم ذلك؟ الإجابة إن العائد : هو الخسران والوباء ثم غضب الرحمن فى دار الجزاء نسأل الله العفو

---

(١) سورة النساء الآيتان / ٢٩ ، ٣٠ .

والعافية فى الدين والدنيا والآخرة .

أيها الموظف وإذا ما أردت البركة فى راتبك فعليك بالتبكير إلى العمل وإن أردت النشاط لذلك فأنصحك بالمداومة على صلاة الفجر قائلا : «**أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له لا إله إلا هو وإليه النشور**» وقد دعا مولانا رسول الله ﷺ لأمته فقال : «**اللهم بارك لأمتى فى بكورها**» (١) .

ولعمرى لو أنك ذهبت إلى العمل فى موعدك الرسمى وقضيت للناس حوائجهم ويسرت لهم أمورهم ومصالحهم لوجدت البركة فى راتبك الشهرى ، فقد يدعو لك بخير فتصادف ساعة الإجابة وبذلك تكون من السعداء وإذا كنتم فيما دئبتم على الفوضى وجربتموها فجربوا السير وراء البشير النذير سيدنا ومولانا محمد ﷺ . واعلم أيها الموظف أن العمل له فى الإسلام المنزلة الرفيعة ولا سيما لو كان هذا العمل متقنا وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تحض على العمل وترفع من شأنه فمن ذلك قوله ﷺ : «**ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**» (٢) ، وإلى كل عامل يعمل فى الحقل نظير أجرة يتقاضاها من الفلاح صاحب الأرض يخاطبه مولانا رسول الله ﷺ حتى يراعى ضميره ويراقب ربه قبل مراقبة صاحب الأرض فيقول صلوات ربى وسلامه عليه : «**ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**» (٣) .

لذا أهيب بكل موظف أن يتقى الله فى وظيفته ويراقب ضميره حتى ينال البركة كذا أهيب بكل مزارع أن يتقى الله ويحيى ضميره فإذا كان الفلاح عنك غائب فإن الله حاضر لا يغيب ولا ينام جل جلالك يا الله .

واعلم أن كل عمل مباح اقترنت به نية خير تحول إلى قربة وطاعة لها ثوابها عند الله عز وجل ولن تعدم الكثير من النوايا الطيبة ، مثل معونة أهلك وصلة رحمك

---

(١) رواه أصحاب السنن .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه مسلم .

وإعفاف نفسك والصدقة على الفقراء والمساكين وتفريج الكُرَب عن المحتاجين ، وتأدية مصالح المسلمين . ولتكن نيتك أيها الموظف وأيتها الموظفة ويا كل عامل فى المصالح العامة أو الخاصة خالصة لوجه الله وابتغى الأجر من الله حتى ولو كنت تتقاضى راتبا على عملك .

واعلموا أحباب الحبيب المصطفى أن شرط قبول الطاعات ، نية وصحة أو إخلاص ومتابعة ولابد من صحة العمل ، فتعلم من العلوم والمهارات ما تتقن به عملك وإلا فأنت مؤتمن ، فأد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك ولا تنس أيها الموظف بصفة عامة أنك راع فناظر المدرسة ومدير المدرسة وشيخ المعهد وعميده وعمداء الكليات وأئمة المساجد والوعاظ والمدرسين والكتبة والمهندسين والمحاسبين والقضاة ووكلاء النيابة إلى غير ذلك من موظفين بالدولة والأعمال الخاصة كلنا رعاة ومن ثم فإن المصطفى ﷺ قال لنا جميعا : **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»** [1] .

فليت المستشفيات التى تُهمل المرضى وليت المدارس والمعاهد والجامعات وغيرهم يراعون الله عز وجل فى العمل الذى أسند إليهم دون أدنى التفات إلى راتب قليل يتقاضونه من المؤسسات التابعة للدولة أو الوظائف والأعمال الخاصة لأن البركة من الله ومن أراد الغنى فالقناعة تكفيه ، وبهذه المناسبة أذكر كل مدرس بأمر عظيم ألا هو أمر الدروس الخصوصية التى تحاربها الدولة ، اعلم أيها المدرس وأيتها المدرسة أن كل مال أخذتموه عن طريق الدروس الخصوصية هو مال حرام اللهم إلا إذا كنتم تخلصون العمل داخل الفصل أثناء اليوم الدراسى ثم أتاكم طالب أو طالبة يودُّون المزيد فحينئذ يكون المال الذى تأخذونه من الطلاب والطالبات حلال لا شبهة فيه ، أما أننا ندخل الفصول الدراسية ونشرح بدون ضمير ثم إذا ما سألنا الطلاب سؤالا قلنا لهم تعالوا إلينا وخذوا درسا فهذا من السحت والحرام الذى يمقته الله عز وجل ، وأنت لا تدرى من أين يأتى الطالب أو ولى أمره بأجرة الدرس إن أولياء الأمور ليسوا بمسئولين عن زواجكم وبناء مسكنكم أو شراء سيارة وغير ذلك من الطموح الذى يروق ببالكم فاتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون .

---

(١) رواه البخارى .

وإلى مديرى المدارس ونظارها وشيوخ المعاهد والوكلاء أقول لهم : تابعوا المدرسين والمدرسات والطلاب والطالبات حتى يتسنى لكم القضاء على تلك الفوضى المتفشية ولاسيما فى المدارس التابعة لوزارة التربية والتعليم أما المعاهد الأزهرية فقلما وجدنا طالبا أو طالبة يأخذون درسا خصوصيا وإن كان ذلك فإنما يكون فى العلوم التى تتعلق بالعلوم والرياضة أين مراقبة الضمير ؟

ولا يفوتنى أحبابى أن ألفت الأنظار إلى الأطباء الذين لا يتقون الله فى المرضى ولا يتعاملون مع المريض بأمانة إلا إذا ذهب إليهم فى العيادة الخاصة فإن كان ذلك كذلك ، فالمريض على عينه ورأسه وإلا فالويل له من الإهمال الكائن من الأساتذة والأطباء والممرضات والمشرفات ونحن نعلم أن وزارة الصحة تعمل جاهدة على تيسير الراحة ولا سيما للمريض الفقير فى المستشفيات إلى هؤلاء جميعا أقول لهم اتقوا الله جنبكم الله الأمراض ولا تنسوا أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرفها إلا المرضى ، عودة إلى كل موظف وعامل .

اعلموا جميعا أننا مطالبون بأن نؤدى لكل ذى حق حقه ، وإن لربك عليك حقا ولأهلك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولإخوانك عليك حقا ولا تعارض بين إتقان العمل وتأدية حقه وبين تأدية الصلاة فى وقتها وفى جماعة إن كنت رجلاً لو زدت وقتا فى ساعات العمل فى مقابل الصلاة فلا بأس وعملك فرصة عظيمة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فاجمع بين المصالح واعلم الدعوة بالسلوك أبلغ من الدعوة بالكلام .

يا إخوانى فى الله من هذا المكان أناشد كل موظف وكل عامل أن يتقوا الله فى ما قد كُلفوا به من عمل ، فعلى إمام المسجد أن يتقى الله فى الموظفين ويراعى الله فى المصلين بمعنى أنه يؤكد على الموظفين بضررة التواجد والالتزام بالعمل وعليه أن يرعى الله فى المصلين فينتظم فى عمله ويؤدى ما عليه من دروس وعدد تلك الدروس خمسة فى الأسبوع ، وعليه أن يتفقد أحوال الناس لتكون الخطب معالجة للأمراض والأوباء بذلك يكون قدوة حسنة لكل الناس أسوة بحبيبه المصطفى ﷺ ، كذلك الحال للوعاظ بالأزهر الشريف والمدرسين به وبالتربية والتعليم ، كذلك أنصح العاملين والموظفين بالمستشفيات والوحدات المحلية والمحاكم وكافة الإدارات والمؤسسات الحكومية وغيرها ،

وإلى العاملين بالحقل عليهم جميعا أن يتقوا الله فى السر والعلانية وعليهم أن يتجنبوا الرشاوى العينية والنقدية حتى ولو كانت علبة سجاير أو جريدة الأخبار فالكل رشوة أما المواطن الذى لا يحصل على حقه إلا بالرشوة فإنه لا إثم عليه والإثم على الآخذ لأن الراشى مكره على دفع الرشوة ولو وجد طريقا يقضى به مصلحته دون دفع رشوة لفعل ولما دفع رشوة من هنا لا حرج عليه .

وإلى من يقبلون الرشوة وإلى من يسعون إلى دفعها للحصول على حقوق ليست لهم أسوق إليهم هذا الحديث الشريف الذى يقول فيه المعصوم ﷺ: «**لعن الله الراشى والمرتشى والرائش**»[1] .

فيا أيها المؤمنون ، راقبوا الله فى القول والعمل وهيا إلى العمل بجد ونشاط فاليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل والأمر إما جنة وإما نار وأنت سواء كنت رئيسا أو غفيرا ستقف بين يدى الله وسيطويك الموت ويلفك القبر وتوضع فوق تراب غير مُوسَّد ولا ممهد ، فالمبادرة إنما هى الأنفاس ولا تفرقوا بين عبادة وعبادة .

واعلموا أن الأيام والليالى قد سارت بقوم نوح وعاد وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا فأسلمتهم إلى ربهم وقدمت بهم على أعمالهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ، فلا تغرنك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور .

أيها الموظف ، وأخيرا أهمس إليك فى أُذنيك بتلك الهمسة ، فاستمع وأنصت لما أقول لتفوز برضى الغفور ، راع الله فى عملك ولا تعط الحق إلا لصاحب الحق وليستوى عندك من له واسطة وغيره بل كرم من لا واسطة له فإن معه الله وإياك أن ترفع صوتك على المواطنين أو تغلق باب مكتبك فى وجوههم فإنهم أصحاب حق عندك وإياك والإفطار والشاى والسجاير والجرائد وترك العمل أثناء وظيفتك فإن ذلك حرام ولسوف تسأل عن ذلك أسأل الله عز وجل أن يهدينا وإياك إلى طاعته وأن يهدنى وإياك إلى ما فيه رضاه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * * * * * * * *

---

(١) رواه أحمد .

الدرس الرابع عشر درس " الثلاثاء"

فى فقه العبادات (الطهارة)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا ومولانا محمد ﷺ وبعد:

فيا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ وعدناكم فى يوم الثلاثاء الماضى أن نبين موقف الشريعة الغرَّاء من بول الطفل وها نحن نفى بوعدنا لكم فنقول وبالله التوفيق.

فقد أجمع المسلمون على أن بول كل الصبى يأكل الطعام ولا يرضع نجس كبول أبيه، واختلفوا فى بول الصبى والصبية إذا كانا يرضعان لا يأكلان الطعام، فقال الإمامان مالك، وأبو حنيفة وأصحابهما[١]: بول الصبى والصبية كبول الرَّجل، وقال الإمام الأوزاعى: لا بأس ببول الصبى ما دام يشرب اللبن ولا يأكل الطعام وهو قول الإمام عبدالله بن وهب صاحب مالك وهو أحد شيوخ الإمام البخارى، وقال الإمام الشافعى[٢]: بول الصبى الذى لم يأكل الطعام ليس بنجس حتى يأكل الطعام ولا يتبين لى فرق ما بين الصبية وبينه ولو غسل كان أحب إلى.

وقال الإمام الطبرى والشافعى[٣] يُغسل غسلا وبول الصبى يتبع ماء. وهو قول الإمام الحسن البصرى.

يقول الإمام ابن شهاب الزهرى من شيوخ الإمام مالك: [مضت السنة بأن يرش بول من لم يأكل الطعام، ومضت السنة بغسل بول من أكل الطعام من الصبيان ولم يفرق بين الغلام والجارية فى هذه الرواية وهذا ما نميل إليه ونفتيكم به، وعلى ذلك فإن الثوب ينضح من بول الغلام والجارية لأنهما إذا أكلا الطعام أى بعد فطامهما يغسل الثوب من بولهما لذا كان ينبغى أن يكون الحكم قبل الفطام وهو النضح لا الغسل دون تفرقة بين الولد والبنت. والآن أيها الأحباب وبعد ما عرفنا حكم بول الغلام والجارية

---

(١) انظر الاستذكار لشيخ الإسلام الإمام ابن عبدالبر ج١ صـ٣٥٦، ط دار الكتب العلمية.

(٢) انظر مغنى المحتاج جـ١ صـ ٨٤.

(٣) انظر الاستذكار ج١ ص ٣٥٧ ط دار الكتب العلمية، وانظر المغنى والمجموع المغنى ج١ ص ٧٣٦، والمجموع للنووى ج٢ ص ٥٦١ وانظر فقه الإمام الأوزاعى ج١ ص ٩٨ ط إحياء التراث الإسلامى.

وعرفنا قبل ذلك فى الدرس الماضى النجاسات المعفو عنها تعالوا بنا لنعرف كيف تزول النجاسة وحكم إزالتها .

كيف تزول النجاسة؟

النجاسة تارة تتعلق بالبدن أو بالثوب أو بالمكان الذى يصلى فيه ، وتارة تكون مرئية وتارة تكون غير مرئية فالمرئية كالغائط والدم والصديد ونحوه وغير المرئية كالبول إذا جف والمذى والودى وما إلى ذلك .

فالمرئية تغسل بالماء حتى يزول أثرها فإن تعذر فقد طهرت ، أما غير المرئية فتطهر بالغسل والعصر ثلاث مرات إن كانت فى الثوب الذى يتأتى دلكه وعصره أما إذا تعلقت بالمكان فإن كان ترابا أو رملا فيصب عليها الماء ويغمر المكان بالماء الطاهر وبجفافه يصير طاهرا [١] .

" كيفية تطهير البلاط والحصير والسجاد ونحوه "؟

يغسل البلاط بصب الماء عليه ثلاث مرات ويمسح بالخيش الطاهر ونحوه ويصب الماء على الحصير حالة رفعه عن الأرض ثلاث مرات حتى يزول الأثر أو يطمئن المطهر وكذلك السجاد السميك يصب عليه بالماء [٢] ويجفف بخرقة طاهرة ثلاثا أما طهارة النجاسة المرئية فبزوال أثرها .

حكم إزالة النجاسة؟

اعلموا إخوانى حفظكم الله أن السادة الفقهاء قد اختلفوا فى حكم إزالة النجاسة فذهب السادة الحنفية [٣] والسادة الشافعية [٤] والسادة الحنابلة [٥] وسيدنا عبدالله بن وهب [٦] المالكى إلى أنها واجبة . وذهب السادة المالكية [٧] . إلى القول بوجوبها بشرط

---

(١) الفقه الميسر على المذاهب الأربعة صـ ٥٢ .
(٢) المرجع السابق صـ٥٣ .
(٣) انظر تحفة الفقهاء للسمرقندى جـ١ صـ٩٤ .
(٤) انظر نهاية المحتاج جـ١ صـ٢٣١ .
(٥) انظر منار السبيل جـ١ صـ٧٥ .
(٦) فتح العلى المالك جـ١ صـ١١١ .
(٧) انظر مواهب الجليل جـ١ صـ١٣٢ .

الذكر والقدرة . فإن لم يتذكر النجاسة أو عجز عن إزالتها فلم تكن بواجبة عليه .

وقيل فى المذهب بأن حكم إزالتها مؤكدة مع الذكر والقدرة أيضا . والقولان مشهوران فى هذا المذهب .

والمراد بالنجاسة المطالب المسلم بإزالتها إنما هى النجاسة الحسية ؛ فالنجاسة الحسية هى ذات النجاسة التى تعلق بالبدن أو الثوب أو المكان وهى نجاسة الخبث التى تُحس وتدرك بإحدى الحواس الخمس كأن ترى بالعين أو تلمس باليد أو تشم بالأنف ونحو ذلك ، ويقال للبدن أو الثوب أو المكان حينئذ نجس لعلوق النجاسة به ، أما النجاسة المعنوية أو الحكمية فهى نجاسة الحديث ، يقول العارف بالله الإمام الشيخ سيدى محمد الخرشى شيخ الجامع الأزهر الشريف الأسبق : نقول مُسَلَّمٌ أنه لا يقال له نجس باعتبار الحدث لكن يقال له نجس باعتبار قيام النجاسة ببدنه أى متنجس " [١] ودليل ذلك ما روى عن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه " أنه لقيه النبى ﷺ فى طريق من طرق المدينة وهو جنُبُ فانسل أى : ذهب فى خفية فذهب فاغتسل فتفقده النبى ﷺ فلما جاءه قال : «**أين كنت يا أبا هريرة**» قال يا رسول لقيتنى وأنا جُنُب فكرهت أن أجالسك حتى أغتسل ، فقال رسول ﷺ : «**سبحان الله إن المؤمن لا ينجس**» وفى رواية أخرى : «**إن المسلم لا ينجس**» [٢] .

أيها الأحباب أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ، وإن ما نختاره لكم هو ما ذهب إليه سادتنا المالكية وهو أن إزالة النجاسة إنما تجب على المسلم إن كان قادرا على إزالتها ومتذكراً لها وإلا فإن المولى سبحانه وتعالى لم يكلف العبد أمرا لا يطيقه ولا يقدر عليه وهذا هو عطف الجليل ورفقه ورحمة بعباده فهو القائل سبحانه فى محكم التنزيل وهو أصدق القائلين : ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [٣] وإذا كان المسلم متذكراً أن عليه نجاسة وكان قادرا على إزالتها كان عليه شرعا أن يزيل تلك النجاسة وإلا لم تصح صلاته لقوله تعالى : ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾ [٤] . وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**

---

(١) انظر فتح الجليل مع حاشية سيدى على العدوى جـ١ صـ ٦١ .

(٢) رواه مسلم جـ١ صـ٦٧٢ ط الشعب .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٨٦ .

(٤) سورة المدثر الآية / ٤ .

وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١) . ولقولـه ﷺ : **«لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»** .

واعلم أيها المؤمن أنه لا يمكن للعبد أن يصلى إلا بطهارة لأن الصلاة فيها يناجى العبد مولاه ، فأحرى بتلك المناجاة أن تكون على طهارة وهذه الطهارة هى أيضا نظافة وديننا الإسلام يأبى على المؤمن المسلم إلا أن يكون نظيفا ومن ثم فإن النظافة من الإيمان لذا كان على المسلم الصادق فى إسلامه وعلى العبد المتذوق لحلاوة الإيمان أن يتفانى فى حب المولى عز وجل لـه فمنذ قليل استمعنا إلى قول الله تعالى : **﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾** .

" بأى شىء تحصل الطهارة "

أحبائى جماعة المؤمنين وإذا كنا قد بينا لكم ضرورة إزالة النجاسة لأن الصلاة لا تصح بدون طهارة وجب علينا أن نبين تلك الليلة ما تكون به الطهارة .

اعلموا بارك الله فيكم أن الطهارة إنما تكون بالماء أو التراب الطاهر وحديثنا الليلة عن الماء الذى يُتطهر به .

وقد قسم الفقهاء الماء إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الماء الطاهر المطهر . القسم الثانى : الماء الطاهر غير المطهر

القسم الثالث : الماء المتنجس .

ولنا وقفة مع كل قسم :

القسم الأول : وهو الماء الطاهر فى نفسه المطهر لغيره ويقال له عند الفقهاء بالماء الطهور أو الماء المطلق ، وقد أطلق الفقهاء عليه هذا لأنه المعهود فى لسان الشرع ومن ذلك قوله تعالى : **﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾** (٢) فطهورا فى الآية الكريمة المراد منه الماء الطاهر فى نفسه المطهر لغيره ؛ لأن كون الماء طاهرا يستفاد من لفظ الماء (٣) لأنه

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٢٢٢ .

(٢) سورة الفرقان آية / ٤٨ .

(٣) انظر المجموع للإمام النووى ج١ صـ١٣٠ .

ذكر فى معرض الامتنان ، ولا يكون هذا إلا بما ينتفع به فيكون الماء طاهرا فى نفسه . ويكون قوله تعالى: ﴿ طَهُورًا ﴾ مؤسسا لمعنى جديد زائد عن أصل الماء هو صفة التطهير بالماء .

ومثل هذا الماء: الماء النازل من السنبور (الحنفية) وماء البحار ولو ملحة وماء الآبار وسيأتى الحديث عنه ، وعلامة هذا الماء ثلاثة: أن لا يتغير لونه ، وأن لا يتغير طعمه ، وأن لا يتغير ريحه فإن فقد الماء شرطا واحدا من هذه الشروط الثلاثة فإنه ليس بطهور ، والماء الطهور يستعمل فى عبادات من غسل ووضوء وفى عادات من طبخ وعجن وشرب مائه وتغسل به الملابس والأوانى .

حكم الماء المسخَّن :

ومما يلاحظ على النساء أنهن يفتين الأزواج بتحريم تسخين الماء وذلك فى فصل الشتاء لذا أردنا أن نبين تلك المسألة علما أن وسائل تسخين الماء أصبحت الآن ميسرة وذلك بواسطة سخان الغاز والكهرباء وعلى كل حال فإن الماء المُسخن بالنار تعرض لبيان حكمه علماؤنا رضى الله عنهم .

فقد اتفق الفقهاء [١] على أنه إذا سخن الماء بطاهر غير الشمس وكانت السخونة غير شديدة فلا كراهة فى استعماله .

أما الماء المسخن بطاهر غير الشمس وكانت درجة حرارته عالية فيكره [٢] استعماله فى رفع حكم الحدث لا لكونه مسخنا ، وعلة الكراهة حاصلة لعدم إتقان الوضوء أو الغسل أو أن علة الكراهة خوف الضرر فيكره استعماله فى البدن مطلقا وهذه العلة الأخيرة هى اختيار بعض علماء السادة الشافعية [٣] وسواء كانت علة الكراهة عدم إسباغ الوضوء أو عدم الضرر للبدن فإننا لا نقول بتسخين الماء تسخيناً شديداً ولا نحب للمسلم أن يغتسل أو يتوضأ من الماء شديد البرودة فإن الفقهاء قد كرهوه للعلتين السابق

---

(١) انظر الدر المختار جـ١ صـ١٢٦ ، وانظر كبير سيدى أحمد الدردير جـ١ صـ٤٥ والمجموع شرح المهذب جـ١ صـ ١٣٨ والمغنى جـ١ صـ١٥ .

(٢) انظر الشرح الكبير للدردير جـ١ صـ١٤٥ .

(٣)انظر حاشية الباجورى جـ ١ صـ ٣٠ .

ذكرهما فى الماء شديد السخونة اللهم إلا إذا كان المسلم يحس براحة فى استعمال الماء شديد البرودة ويتأتى له إسباغ الوضوء من هذا الماء البارد ومن ثم فقد قال القائل: (وللناس فيما يعشقون مذاهب) .

أما الماء المسخن بالشمس فقد ذهب جمهور الفقهاء ومنهم الحنفية [١] والحنابلة [٢] والظاهرية وكذا بعض المالكية [٣] وبعض الشافعية [٤] إلى عدم كراهة استعمال الماء المشمس فى وضوء وغسل ، بينما ذهب البعض إلى كراهية استعمال هذا الماء فى الوضوء والغسل ومنهم الإمامية [٥] . وهو أصح الأوجه عند الشافعية واعتمده كثير من المالكية وذلك لما روى عن مولاتنا السيدة عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال لها وقد سخنت ماء بالشمس: «**يا حميراء لا تفعلى هذا فإنه يورث البرص**» [٦] . وثبت عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يكره الاغتسال بالماء المشمس ، وقال: [إنه يورث البرص] [٧] أيها الأحباب مما ذكرناه لحضراتكم يتبين ما يلى:

أولا: يكره استعمال الماء شديد البرودة فى الوضوء أو الغسل مخافة الضرر للبدن فقد يصاب الجسد بالماء البارد وكذلك تجنبا لعدم إسباغ الوضوء فإن الماء إذا كان شديد البرودة فلا يمكن لصاحبه أن يسبغ الوضوء أو الغسل اللهم إلا إذا كان مستعمل الماء شديد البرودة ينشط جسده باستعماله فإن له ذلك .

ثانيا: يكره استعمال الماء شديد السخونة للعلة المتقدمة فى الماء شديد البرودة ولاشك أن الاعتدال هو المطلوب والأفضل فى كل شىء ، والمطلوب منك أخى المسلم إزالة البرودة الشديدة فقط أو التسخين المقبول الذى لا تتضرر الأعضاء باستعماله ، ومن ثم فإن قول النساء لأزواجهن إن الماء البارد أثوب أو لتسخين الماء حرام لا أساس له من الصحة ولعلهن قلن ذلك بدافع الكسل حتى لا تقوم من النوم لتسخين الماء

---

(١) انظر حاشية ابن عابدين جـ١ صـ ١٢٦ .
(٢) انظر المغنى جـ١ صـ ١٤ .
(٣) انظر حاشية الدسوقى جـ ١ صـ٤٥ .
(٤) انظر المجموع جـ ١ صـ ١٣٢ .
(٥) انظر شرائع الإسلام جـ١ صـ ٢٥ .
(٦) رواه البيهقى وانظر نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية جـ ١ صـ ١٠٢ .
(٧) رواه الإمام الشافعى فى مسنده .

لزوجها حتى يتوضأ ألا فليتقين الله وليمسكن لسانهن عن كلمة حرام وحلال بدون علم .

ثالثا : إن الماء المسخن بالشمس يكره استعماله على ما ذهب إليه بعض أهل العلم وهذا الرأى وإن كان على غير مذهب الجمهور إلا أننا نميل إليه للآثار الواردة فى ذلك ومنها ما ذكرناه والكراهة مقيدة بإذا ما كانت هذه المياه المُشمسة فى الأقطار الحارة كالسعودية والعراق والكويت وغيرهم من دول الخليج العربى الذى تشتد فيه الحرارة . وإلا فلا كراهة فى استعمال الماء المشمس فى مثل بلاد جمهورية مصر العربية ومنها إدفينا أو رشيد وبقية بلاد محافظة البحيرة .

" ماء البحر "

سبق أن ذكرنا أن من الماء الطهور ماء البحار ولو مالحة فقد أجمع الفقهاء سلفا وخلفا على أنه لا يكره [١] وحكى عن سيدنا عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وعبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم أنهما كرها الوضوء به وبه قال سيدنا سعيد بن المسيب والحق ما عليه جماهير الفقهاء وذلك لما روى عن سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال : سأل رجل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا عطشنا أفنتوضأ بما ء البحر ؟ فقال رسول الله ﷺ : «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**» [٢] وعلى ذلك فإن ماء البحر طهور وعليه فيجوز استعماله فى الغسل والوضوء بلا كراهة .

ماء زمزم

أيها المؤمنون ومما لاشك فيه أن أفضل المياه ماء زمزم وإن كان يعلوه فى الشرف والفضل الماء الذى نبع من بين أصابع المصطفى ﷺ ولذا قال أحد العارفين بالله :

وأفضل المياه ماء قد نبع ::: من بين أصابع النبى المتبع

---

(١) انظر المغنى جـ١ صـ ١٥ .

(٢) رواه الترمذى .

يليه مـــاء زمـــزم فالكوثـــر ::: فنيل مصر ثم باقـــى الأنهـــر [١]

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن ماء زمزم هو من الماء التى يتطهر بها بل هى أفضل المياه كما أسلفنا ، واستعمال ماء زمزم فى الغسل والوضوء هو قول جمهور الفقهاء ومنهم أبو حنيفة [٢] والإمام مالك [٣] والشافعى [٤] وللإمام أحمد فى رواية [٥] وبه قال سيدنا سعيد بن المسيب من كبار التابعين فيا أيها الحاج ويا أيها المعتمر ويا من تعمل فى المملكة العربية السعودية هنيئا لكم جميعا بالوضوء من ماء زمزم واعلم أنه ماء مبارك فأكثر بالشراب منه واشرب وتضلع من مائها المبارك وتطهر لكى تنادى ربك جل جلاله إلا أنك لا يحق لك أن تستعمل ماء زمزم فى الاستنجاء فإنه يورث مرض البواسير والعياذ بالله تعالى .

كما جاء فى كتاب الأنوار الساطعة على المذاهب الأربعة فاعرف ذلك يرحمك الله تعالى .

أيها الأحباب ، وبعد حديثنا عن أفضل المياه التى يتطهر بها ألا وهو ماء زمزم ننتقل بفضل الله تبارك وتعالى إلى الحديث عن القسم الثانى وهو الماء الطاهر .

والماء الطاهر أيها الأحباب هو طاهر فى نفسه غير مطهر ، ومن ثم فلا يتطهر به فلا نستعمله فى غسل ولا وضوء .

ومثال هذا الماء الطاهر : الماء المخلوط بالصابون والكولونيا وماء الورد وما ماثل ذلك ولك أن تقول إن الماء الطاهر هو كل ماء خلط بشىء طاهر وإذا عرفت أن الماء الطاهر لا يستعمل فى غسل أو وضوء فهذا مقيد بإذا ما تغير الماء بهذا الطاهر الذى خلط به فإن لم يتغير الماء بهذا الطاهر المضاف إليه فهو طهور إن شاء الله تعالى .

وبهذا قال المالكية وأحمد فى أصح الروايتين وهو المعتمد عند الشافعية والحنفية

---

(١) انظر الأنوار الساطعة صـ ٤٧٦ .
(٢) انظر الدر المختار ج١ ص١٢٦ .
(٣) انظر حاشية الصفتى صـ ٣٨ .
(٤) انظر المجموع جـ ١ صـ ١٣٧ .
(٥) انظر المغنى جـ١ صـ ١٦ .

المذاهب فى حكم استعمال الماء الذى رفع به حدث .

وقد اختلف فقهاؤنا رضى الله عنهم فى حكم استعمال هذا الماء فقال بعضهم هو ماء طاهر وليس بطهور ، وهذا هو مذهب الحنابلة على الظاهر عندهم والحنفية والشافعية وهو قول فى مذهب المالكية وذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن هذا الماء المستعمل فى وضوء أو غسل هو ماء طهور أى يجوز استعماله فى وضوء آخر أو غسل آخر وبه قال المالكية على المشهور من مذهبهم وهو قول للإمام الشافعى ورواية للإمام أحمد ، وهذا ما نختاره وعليه فإذا اغتسلت أو توضأت وبقى من غسلك أو وضوئك ماء جاز لغيرك أن يغتسل منه أو يتوضأ إن شاء الله تعالى .

وقد ثبت أنه ﷺ مسح رأسه بما فضل فى يديه فقد استعمل ﷺ ما فضل فى يديه من الماء - وهو مستعمل - فى مسح رأسه فدل ذلك على طهورية الماء المستعمل[1] .

الماء المتنجس

وإذا كنا قد تكلمنا عن الماء الطهور والطاهر فيجدر بنا أن نستكمل الحديث فى أحكام المياه عن الماء المتنجس .

فقد اتفق الفقهاء على أنه إذا اختلطت بالماء نجاسة وغيرت أحد أوصافه فإن الماء فى هذه الحال ينجس[2] .

هذا إذا ما اختلطت به نجاسة وغيرت أحد أوصافه اللون أو الطعم أو الرائحة أما إذا خالطت الماء نجاسة ولم يتغير الماء فإن فقهاءنا قد اختلفوا فى ذلك وهذا هو موعد حديثنا يوم الثلاثاء القادم إن كان لنا فى العمر بقية أسأل ربى جلت قدرته أن يفقهنى وإياكم فى ديننا وأن يجعلنى وإياكم من الذين يقولون فيعملون ويعملون فيخلصون ويُخلصون فيقبلون أولئك الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه إنه ربى نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * * * * * * *

---

(١) رواه البيهقى .

(٢) انظر المجموع للإمام النووى صـ ١٦٠ والمغنى جـ١ صـ ٢٠ ، وبداية المجتهد جـ١ ص ٣٢ .

الدرس الخامس عشر درس "الأربعاء"
فى سيرة سيد الأنبياء والمرسلين

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على السراج المنير سيدنا ومولانا محمد الذى بعثه الله واصطفاه رحمة للعالمين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته ومن دعا الناس بدعوتهم وسار على منهجهم وهديهم القويم بإحسان إلى يوم الدين .

ثم أما بعد ،

أيها الأحباب : سلام الله عليكم ورحمته تعالى وبركاته ، ومرحبا بكم فى رحاب بيت من بيوت الله حيث يتجدد اللقاء مع سيد الخلق أجمعين سيدنا ومولانا محمد حيث السيرة العطرة النيرة ولا يزال الحديث موصولا عن حالة العرب قبل الإسلام : نعم .

فلقد كان الناس فى الجزيرة العربية قسمين : السادة والعبيد ، الأولون لهم كل شىء ، امتلكوا البساتين والنخيل والجمال والماشية وامتلكوا العبيد أيضا ، إن شاءوا قتلوهم وإن شاءوا أبقوا عليهم . الأولون قلة والآخرون هم سواد الشعب الذين عاشوا كالقطيع لا رأى لهم ولا صوت لهم فى أى شىء ، وجوههم إلى الأرض يفلحونها وخلف الإبل والأغنام يرعونها يباعون مع الأرض لأنهم جزء من حيواناتها فقدوا آدميتهم وحريتهم وكانوا دائما تحت أقدام السادة لتلبية مطالبهم فورا ، وإلا كان الضرب بالسوط فوق ظهورهم يلهب جلودهم دون نجدة أو استغاثة أو ضمير كريم يشفع ويرفع عنهم ذلك الظلم الصارخ ، حتى ماتت قلوبهم وتبلدت عقولهم ونشأ أولادهم وبناتهم فى العبودية وفتحوا عيونهم على حياة ذليلة تعسة لم يستطعيوا تغييرها أو تبديلها وعاشوا فى ظلام الجهل والانحطاط ولا حول لهم ولا قوة وكانت منتهى آمالهم الحصول على رضاء السيد وكسرة الخبز وأما نساؤهم فكن نهبا لأطماع السادة دون تذمر أو احتجاج لأنهم جميعا رهن مشيئتهم .

اعتمد السادة فى ثرواتهم على الربا الفاحش والغش فى التجارة والتطفيف فى الكيل والميزان ، والويل للمدين إذا عجز عن سداد دينه فإنه يصبح عبدا لصاحب الدين

يعمل عنده بنفسه أو يرسل زوجته أو أخته أو ابنته لتعمل فى بيت السيد الذى له الحق فى إرسالها إلى بيوت الدعارة التى ترفرف عليها رايات مميزة حتى توقى ضعف الدين من انحرافها وقد يقضى الرجل كل حياته عند الدائن دون أن يستطيع سداد الدين وكذلك زوجته أو أخته وابنته مما جعل الناس يقدمون على وأد بناتهم أحياء بمجرد ولادتهن خوف الوقوع فى تلك النهاية الأليمة فى بيوت الدعارة لحساب السادة أو اعتداء هؤلاء عليهن نظرا لثرائهم الواسع وسلطانهم القوى .

لم يعرف السادة والمرابون وكبار التجار أصحاب الثراء الواسع العريض للشرف معنى ولا للكرامة طعما ، بل عاشوا حياتهم فى فجور وفسق ومجون وخمر ونساء . صنعوا الخمر فى بلادهم وجلبوا بعضها من الدول المجاورة أثناء التجارة وكانت حياتهم رمزا للفساد امتلأ نهارهم بالخمر وحفلت لياليهم بالنساء الفاجرات الفاسقات دون تفكير فى جزاء أو إحساس بضمير حى يبعدهم عن طريق الشرور والآثام . ولم يرتفع بينهم صوت واحد يدعوهم إلى الخير لأنفسهم والرحمة والشفقة على العبيد وإشعارهم بكيانهم وآدميتهم ولو أضيئت شمعة واحدة فى ذلك الظلام الدامس لأنارت السبيل للخلاص من حياة الرذيلة . كانت حياتهم فى أشد الحاجة فعلا لضوء جديد يشرق عليهم ليهديهم إلى طريق الحق والصواب والقضاء على مجون السادة ومباذلهم وانتشالهم من الربا والخمر والفحشاء ، وتحرير العبيد والأرقاء من المهانة ووأد البنات أحياء .

فى ذلك الجو الصاخب والحياة العابثة ظهر بعض المصلحين وحاولوا جهدهم تغيير الحالة ففشلوا وتفرقوا فى البلاد وماتوا دون أن يتركوا أثرا يذكر ولكنهم لفتوا أنظار بعض الناس ، وأوعزوا إليهم بالتفكير فى ضرورة الخروج من تلك الحياة الحيوانية إلى حياة أفضل وأكرم للإنسان وامتنع بعض الناس عن الخمر وكرهوا الخضوع لسلطانها وابتعدوا عن المجون والفحشاء وهجروا بيوت الدعارة وكانوا نواة طيبة وأرضا ممهدة لاستقبال البذور القوية الصالحة يغذيها إيمان وعقيدة تختلف عن عبادة الأوثان والأصنام التى استغلها أثرياء مكة للسيطرة على الحجاج وأخذ أموالهم فالحج عندهم كان للحصول على المغانم والكسب الحرام فإذا فقدوا ذلك المصدر ضاعت هيبتهم وزالت

شوكتهم [١] .

أيها الأحباب رأيتم كيف كانت حالة الناس بصفة عامة والعرب بصفة خاصة ، وذلك قبل ظهور فجر الهداية .

عرفتم ما شربه ضعاف العرب من ذل وهوان ، ولكن جاء الإسلام فأنار الطريق فأشرقت شمسه وعرف الناس الحق من الباطل والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة .

" أهل الفترة وموقف الإسلام منهم "

أيها المؤمنون : وإذا كنا قد تناولنا فى دروس السيرة النبوية حالة الناس والعرب قبل الإسلام (أعنى فى الجاهلية) أرى لزاما علىَّ أن أبين لحضراتكم موقف الدين الحنيف من أولئك الذين ماتوا وهم على خير وذلك فى فترة ما بين سيدنا عيسى ورسالة النبى الخاتم ومولانا محمد ﷺ ولاشك أن الإسلام قد اشترط للتكاليف الشرعية بلوغ دعوة النبى ﷺ ، ومن ثم كانت الحكمة من بعث الرسل كما تحدث القرآن الكريم حيث يقول جل شأنه : ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [٢] . وقال جل شأنه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [٣] . من هنا أردنا أن نبين حكم أهل الفترة وموقف الدين منهم وحتى نبين موقف الدين من أهل الفترة يجدر بنا أن نبين أقسامهم حتى يعلم الحكم الشرعى عليهم صلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا .

القسم الأول من أقسام أهل الفترة:

وهو من هداه الله تعالى إلى إلى إدراك التوحيد بنور بصيرته دون أن يدخل فى شريعة نبى مثل قس بن ساعدة وزيد بن عمرو ، وزهير وعامر بن الظرب وغيرهم ولاشك أن هذا القسم ناج عند الله تعالى لترحم النبى ﷺ على زيد بن عمرو ، وقوله فيما ورد فى شرح المواهب : «**رأيته فى الجنة يسحب ذيولا**» ووالده ﷺ من هذا القسم .

---

(١) انظر الرسول العظيم وآل بيته الكريم للأستاذ / محمد محى الدين صـ ٨٢ ، ٨٣ ط دار الحرم للتراث .

(٢) سورة النساء آية / ١٦٥ .

(٣) سورة الإسراء آية / ١٥ .

هذا هو القسم الأول من أقسام أهل الفترة وقد علمناه جليا والحمد لله وحسبهم أن المصطفى ﷺ قد ترحم عليهم [١] .

أما القسم الثانى من أقسام أهل الفترة:

وهو من دخل فى شريعة حق قائمة الرسم فتعبد بها ملتزما بحدودها الالهية وبما تقتضيه من إيمان بالرسول الخاتم ﷺ لمن عرف به وبالمتابعة له لمن أدرك بعثته ﷺ .

ومن هذا القسم: " تُبَّع " الحميرى الذى أسلم وآمن بالنبى ﷺ قبل ولادته بتسعمائة سنة لما أخبرته اليهود بخبره حسبما عرفوه من كتبهم وكان من قبل على ملة سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه السلام [٢] .

كما يتدرج فى هذا القسم ورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث [٣] . كما قال العلامة القسطلانى فى المواهب اللدنية وعليه تشمل الفترة كل زمن بين رسولين وحكم هؤلاء حكم أهل الدين الذى اعتنقوه ما لم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين .

أما القسم الثالث من أقسام أهل الفترة:

وهو من لم يشرك ولم يوجد ولا دخل فى شريعة نبى ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقى عمره على حين غفلة من هذا كله .

وهؤلاء هم أحق الأقسام بتسمية أهل الفترة على الحقيقة وحكمهم: أنهم غير معذبين بالاتفاق لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [٤] والاتفاق على عدم تعذيبهم نص عليه الثقات ونقله شارح المواهب اللدنية سيدنا ومولانا شيخ الإسلام والمسلمين الإمام الشيخ / محمد بن عبدالباقى بن يوسف الزرقانى رضى الله عنه وعن الأئمة والعلماء العاملين وقد قال رضى الله عنه فى شرحه للمواهب اللدنية تعليقا على بيان هذا القسم: ومنه والداه ﷺ فإنهما لم تبلغهما دعوة لتأخر زمانهما

---

(١) انظر هدى النيرين فى سيرة سيد الكونين للعارف بالله الأستاذ الدكتور جودة محمد أبو اليزيد المهدى جـ١ صـ ١١٢ .

(٢) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٤ / ١٠٧ عند تفسير قوله: ﴿ أهم خير أم قوم تبع ﴾ سورة الدخان ٣٧ .

(٣) انظر المواهب اللدنية جـ١ صـ ٣٥ .

(٤) سورة الإسراء الآية / ١٥ .

وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين وكونهما فى زمن جاهلية عم الجهل فيها شرقا وغربا وفقد فيها من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها إلا نفرا يسيرا من أحبار أهل الكتاب مفرقين فى أقطار أهل الأرض كالشام وغيرها وما عهد لهما تقلب فى الأسفار سوى المدينة وأعطيا عمرا طويلا يسع الفحص عن المطلوب مع زيادة أن أمه ﷺ مخدرة مصونة محجبة فى البيت عن الاجتماع بالرجال لا تجد من يخبرها [١] .

هذا ومن الجدير بالذكر أمة الحبيب المصطفى ﷺ أن سيدنا ومولانا الإمام جلال الدين السيوطى قد صنف ست مصنفات فى نجاتهما رضى الله عنهما وجزا الإمام السيوطى خيرا ورضى الله عنه كفاه بره بوالدى الحبيب المصطفى الأعظم ﷺ فقد عدهما من الحنفاء [٢] الأول حيث أنه لم يثبت عنهما شرك بل كانا على الحنفية دين جدهما إبراهيم - على نبينا وعليه السلام ، وقد ذهب إلى هذا المسلك طائفة من صفوة الأئمة كالفخر الرازى رضى الله عنه [٣] ، هذا وقد دلت الأدلة القيمة على نجاة مولاتنا وسيدتنا آمنة وكذا سيدنا ومولانا عبدالله رضى الله عنهما وسوف نذكر هذه الليلة طرفا أو جانبا من تلك الأدلة العظيمة على نجاة والدى المصطفى ﷺ ولا سيما بعدما سمع البعض منكم أحد الموظفين بوظيفة إمام وخطيب ومدرس وهو يقول من فوق المنبر بأحد مساجد إدفينا بأن والديه ﷺ لا نجاة لهما وأنهما فى النار ، ووافقه البعض واقتنع بكلامه وأقول ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ، ومن ثم قلت موظف بوظيفة إمام لأنها لو كانت رسالة لا وظيفة ما سولت له نفسه الأمارة أن يتشدق ويتفيهق بهذا النتن الذى خرج من فمه أسأل الله له الهداية ومن ثم فإنى أسوق تلك الأدلة النيرة والتى ترد عليه وعلى أمثاله من الذئاب البشرية والتى كشرت عن أنيابها فى وجه والديه ﷺ فإليكم الأدلة والله المستعان :

أولاً : قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [٤] .

---

(١) انظر شرح المواهب اللدنية لسيدنا ومولانا الإمام العارف بالله سيدى محمد الزرقانى المالكى جـ١ صـ١٨٤ .
(٢) انظر رسالة : مسالك الحنفا فى والدى المصطفى للإمام جلال الدين السيوطى الشافعى وهى ضمن الحاوى للفتاوى ج٢ صـ ٣٩٢ وانظر شرح المواهب للإمام الزرقانى جـ١ صـ ١٨٣ .
(٣) انظر الحاوى للإمام السيوطى جـ٢ صـ٣٦٦ .
(٤) الأنبياء الآية / ١٠٧ .

ومما لاشك فيه أن العالمين ما سوى الله عز وجل وإذا كان مولانا رسول الله ﷺ قد أرسله الله عز وجل رحمة للعالمين أفلا يكون رحيما ورحمة لوالديه ﷺ وما أجمل ما قاله سيدنا ومولانا العارف بالله سيدى صالح الجعفرى حيث قال رضى الله عنه : [وكيف لا تكون السيدة آمنه وقد حملت فى بطنها الأمن كله] فتأمل أيها الموظف .

ثانيا : قال جل ثناؤه : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ** ﴾ (١) .

وأقول إن الحق الذى لا مرية فيه أن سلسلة الحبيب المصطفى من أهل النجاة بل إنهم قد طهرهم من دنس الشرك وعبادة الأوثان وثم إن ذلك استجابة لدعوة دعا بها الخليل إبراهيم . تلكم الدعوة التى طلب فيها من ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام ومن ثم فقد ذكر الإمام محمد بن جرير الطبرى فى جامع البيان عن سيدنا مجاهد رضى الله عنه أنه قال : [استجاب الله لإبراهيم دعوته فى ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته] اهـ (٢) .

إذاً أيها الأحباب ، فالمصطفى صلوات ربى وسلامه عليه من أول والده عبدالله وأمه آمنة إلى سيدنا إبراهيم كلهم أهل نجاة وأهل إيمان بفضل الله تعالى لأن كلمة : ﴿ **وَبَنِيَّ** ﴾ تشمل جميع الأبناء والأحفاد الذين هم من نسله مهما نزلوا ولقد قال ﷺ : «**أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى أخى عيسى . . . الحديث**» (٣) .

ثم إن نجاة أبويه ﷺ من أمرين :

أولهما : إنتقال سيدنا رسول الله فى أصلاب آبائه وأرحام أمهاته ومعاذ الله أن يجعل نور حبيبه يسرى فى صلب كافر أو رحم كافرة .

ثانيهما : إننا نحكم بعدم النجاة على من وجهت إليه الدعوة من نبى أو رسول ثم كفر بتلك الدعوة وسيدنا عبدالمطلب وسيدنا عبدالله وسيدتنا آمنه من الذين لم توجه إليهم دعوة رسول بل جاء فى كلامهم ما يفيد الإيمان بالله عز وجل فها هو عبدالمطلب

---

(١) سورة إبراهيم / ٣٥ .
(٢)انظر تفسير الإمام الطبرى المسمى بجامع البيان جـ٢ صـ١٥١ط دار الريان .
(٣)رواه الإمام أحمد فى المسند .

يقول لأبرهة لعنه الله: إن البيت لـه رب يحميه وهذا هو القرآن الكريم ضد مزاعم من قالوا بعدم نجاة أهل الفطرة وهذا هو الدليل الثالث يقول جل ثناؤه: ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ (١).

وإذا كنا قد ذكرنا لكم بأنه من لدن خليل الرحمن إبراهيم وحتى سيدنا عبدالله ومولاتنا السيدة آمنة والمصطفى لم يمر إلا بأصلاب وأرحام الشرفاء والشريفات نقول ليس ذلك فحسب وإنما من لدن آدم وحواء وليس هذا من عندنا إنما هى حقيقة أثبتها القرآن الكريم فى الدليل الرابع من الأدلة التى أردنا ذكرها الليلة:

رابعا: قال تعالى: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ** ﴾ (٢).

وفى رحاب تلك الآية النيرة يروى لنا سيدنا ومولانا الإمام القرطبى إمام المفسرين فى تفسيره القيم عن حبر الأمة سيدنا ومولانا الإمام عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال: [عند قوله تعالى: ﴿ **وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ** ﴾ أى تقلبك فى أصلاب آبائك آدم ونوح وإبراهيم حتى جعلك نبيا] اهـ (٣).

خامسا: ما روى عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ أنه قال: «**لما خلق الله آدم أهبطنى فى صلبه إلى الأرض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة ، وقذف بى فى النار فى صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلنى فى الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجنى من أبوى ، لم يلتقيا على سفاح قط**» (٤).

ومغزى تلك العناية أن الشيطان لم يتمكن من أصل من أصوله ﷺ فهذه عناية إلهية فقد خرج ﷺ إلى الدنيا نقيا ليس بالملوث ، وقد اشتهر والد سيدنا رسول الله ﷺ وهو سيدنا عبدالله بالعفة والطهر ، ومما روى فى هذا الصدد أنه مر ذات يوم على فاطمة بنته مر الخثعمية ، فقالت له: هل لك أن تغشانى وتأخذ مائة من الإبل ؟ فرد

---

(١) سورة الإسراء الآية ٥ .

(٢) سورة الشعراء الآية / ٢١٩ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبى جـ١٣ صـ١٣٣ ط دار الفكر بيروت .

(٤) رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة جـ١ صـ٦٦ وقال السيوطى رواه ابن عمر وذكره المعدنى فى تفسيره .

عليها بقوله :

أمـــا الحــــرام فالممـــات دونـــه ::: والحـــــل لا حــــل فأســـــتبينه

فكيـــف بالأمر الــــذى تبغينـــه ::: يحمى الكريـــم عرضـــه ودينـــه

قال ذلك ولم يلتفت إليها ثم تزوج من السيدة آمنه نزولا على مشورة والده ولقد ولد رسول الله ﷺ من خير القبائل ، ومن خير البيوت ، كل هذا يسمو بمعناه ﷺ فوق كل المعانى ، فتمام طهره ، وكمال أصله ، وسمو بيته يجعله رفيع المقام .

أيها الأحباب معنا الكثير من الأدلة النيرة القوية لكننا نكتفى الليلة بما ذكرناه من أدلة على أمل ووعد أن نلتقى معكم فى رحاب السيرة المحمدية العطرة فى مثل هذا الوقت من الأربعاء القادم لنستكمل الأدلة ونعيش مع السيرة العطرة فإلى الملتقى إن كان لنا فى العمر بقية إن شاء الله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

****

الدرس السادس عشر درس "السبت"
فى الأحوال الشخصية وأحكام الأسرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده وصلاة وسلاما على من لانبى بعده سيدنا ومولانا محمد اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أولوا البر والإحسان والفضل والتقى ومن تبعهم وسلك مسلكهم القويم بإحسان إلى يوم الدين ثم أما بعد :

فيا إخوان الصفا وأحباب الحبيب المصطفى أحييكم بتحية الإسلام . تحية الخير والبركة والإجلال ألا وهى السلام ، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته ومرحبا بكم فى مساء يوم السبت ومع دروس أحكام الأسرة المسلمة والتى بدأناها منذ أسابيع مضت وهذا هو اللقاء الرابع من هذه السلسة النيرة سائلا المولى عز وجل أن ينفعنى وإياكم بها .

يا أحباب الحبيب المصطفى لقد عشنا مع حضراتكم فى مساء يوم السبت الماضى مع مستحبات الخطبة وما يتعلق بذلك وأرجو من الله عز وجل أن تكونوا قد وعيتم تلك الأمور المستحبة فإن السعيد من وعى وامتثل واقتدى بنبيه ﷺ وبالسلف الصالح الذين هم خيار من خيار جعلنا الله كذلك وبمشيئة الله تبارك وتعالى نبدأ الحديث الليلة بالآثار المترتبة على الخِطبة والعدول عنها ، والآن أسموعنى الصلاة على حبيب الله ومصطفاه سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

الآثار المترتبة على الخطبة والعدول عنها

من المعلوم أن الخطبة أشبه ما تكون وعدا بالنكاح وإن شئت قل : هى وعد بالزواج وليست زواجا ، لأن عقد النكاح لم يعقد بعد ، لذا فإنه لا ينبنى على الخطبة أى أثر من آثار النكاح وبيان ذلك فيما يلى :

أولاً : لا تجوز الخلوة بالمخطوبة ولا معاشرتها ولا مباشرتها ودعوكم من تلك المدنية الفاسدة المنحلة والتى نادت بالإباحية المطلقة والحرية المجردة عن القيود ، ففى هذاالزمان الفاسد الذى انتشرت فيه الفتن وعمت المصائب دار الفساد والتسيب والانحلال ، فهذا الشاب الذى تقدم لخطبة ابنتك أو أختك نراه يذهب من حين إلى آخر

وذلك إلى بيت خطيبته ويترك له ولخطيبته البيت لكى يمرحا سويا ويسعدا سعادة شيطانية فقد يقبلها وما أدراك ما القبلة وما تجره من فساد . نعم فقد جلس معى شاب يشكو إلىَّ المطالب الكثيرة التى طلبت منه وذلك من أم خطيبته فقلت له : وأين أبوها فقال لى : هو موجود إلا أنه لا كلمة له . فطلبت منه أن يفسخ تلك الخطبة فلا خير فى زواج كانت أحكامه من امرأة ، فقال : يا سيدى لقد جلست معها وليس معنا أحد وقمت بتقبيلها بل تعانقنا ولقد أزلت البكارة فقمت بزجره وعاهدنى بإتمام الزواج وقمت باستدعاء أهل البيت وطلبت منهم الرفق بهذا الشاب الذى تقدم لخطبة ابنتهم وقَبِلْ وأذعنوا إلى مطالبى جزاهم الله خيرا هذه القصة أردت ذكرها لأنها واحدة من ملايين القصص التى تحدث فى هذا العصر والدافع لحدوثها تسيب الأهل وتفريطهم فى أحكام الله . فمما لاشك فيه : أن الخطبة ليست زواجا كما أسلفنا . فكيف سمحنا للخاطب ومخطوبته بالخلوة ناهيك عن خروجهما سويا إلى الحدائق والمتنزهات . وما إلى ذلك من الفوضى التى جلت واندلعت فى مجتمعنا المعاصر .

ولاشك أن تلك الفوضى سببها الأسرة المتسيبة والبعيدة عن هدى الكتاب والسنة وإن شئت قل الجاهلة بأمور دينها .

وإذا كنا قد عرضنا لجانب من الفساد والذى كان سببه الخلوة بالمخطوبة فهيا بنا لنعرف حكم الخلوة بالمخطوبة وذلك من خلال سنة النبى البشير النذير صلوات الله وسلامه عليه :

فعن سيدنا ومولانا الإمام عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذى مَحرم ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم**» [1] فالمتأمل فى هذا الحديث الشريف يجد أنه قد منع الخلوة والسفر وهو كذلك فلا يجوز للخاطب أن يسافر مع مخطوبته لأنه أجنبى عنها .

وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**لا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما**» [2] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الإمام أحمد .

وقد رأيتم من خلال القصة سالفة الذكر ماذا صنع الشيطان مع هذا الخاطب وخطيبته فاتقوا الله ولا تتركوا خطيب ابنتكم يجلس معها وحده وإنما معهما الأب أو الأخ أو الأم اللهم إلا أن يكون معقودا عليهما وذلك بواسطة المأذون الشرعى فحينئذ يجوز لهما أن يجلسا سويا لأن عقد الزواج جعلهما زوجين إلا أنى أنصحهما أن يتقيا الله فى أنفسهما فلربما انفسخ الزواج .

ثانيا : وحيث خلت من العقد فلا يلزمه مهر ، ولا نفقة ولا يقع له طلاق ولو طلقها لأنه لا يصادف عقدا حتى يهدمه .

ثالثا : ولكل من الخاطب والمخطوبة العدول عن الخطبة متى شاءا ، خصوصا إذا تعلقت بذلك مصلحة شرعية أو سبب معتبر أو ضرورة أو حاجة .

والأصل إن رد المرأة أوليها بعد الركون الخاطب أى خاطب كان لا يحرم ولكن أدب الوعد فى الإسلام يلزم الوفاء بالموعود ما أمكنه ذلك . ويطلب منه إتمامه لقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ (٢) وقوله ﷺ : **«اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم»** (٣) .

فليت الذين يقومون بفسخ خطبة ابنتهم وذلك لظهور من هو أكفأ ماليا أو من لديهم مصلحة عنده ليتهم يتقون الله ، وليعلموا أن الخطبة ما دامت وعد بالزواج فإن من صفات المنافقين خلف الوعد فعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»** (٤) .

فاتقوا الله يا قوم ونزهوا أحكام الله عن صفات المنافقين .

رابعا : إذا عدل أحد الخاطبين عن الخطبة فسخت الخطبة ولا يترتب على ذلك أى

---

(١) سورة الإسراء الآية / ٣٤ .
(٢) سورة النحل / ٩٥ .
(٣) رواه أحمد .
(٤) رواه البخارى .

أثر إلا إذا كان الخاطب قدم المهر قبل العقد فله أن يسترده بعينه إن كان موجودا أو مثله إن كان مثليا أو قيمته إن كان قيميا . لأن المهر إنما يجب بالعقد أو به مع الدخول ولم يقع شيء من ذلك فلا وجه لأخذها المهر لأنها لا تستحقه بوجه سواء كان العدول من جهته أو من جهتها .

خامسا : إذا كان قدم هدايا أثناء الخطبة ثم وقع العدول [1] عن الخطبة فإن كان الامتناع من جهة الخاطب فلا يرجع بشيء مما أهدى ولو كان موجودا عند عدوله قولا واحدا وإن كان الامتناع من جهة المخطوبة استرد الخاطب الهدايا إن كانت أعيانها قائمة أو قيمتها عند القبض إن كانت هالكة أو مستهلكة وذلك لأن الذى أهدى لأجله لم يتم وهو الزواج وهذا إذا لم يكن هناك عُرف أو شرط وإلا فالشرط ألزم والعرف محكم .

وما أهدته إلى خاطبها يأخذ مثل الأحكام المتقدمة فى حكم ما أهداه الخاطب وما ذكرناه لكم إنما هو على رأى فى المذهب المالكى وبه أخذ قانون الأحوال الشخصية وإن كان المذهب أن الخطبة متى فسخت فليس للخاطب شيء مما أهداه وبه قال الإمامان الشافعى وأحمد وقال الإمام أبو حنيفة : له ما أهدى حتى لو كان هو المتسبب فى فسخ الخطبة والرأى القائل بالتفصيل والذى أخذ به قانون الأحوال الشخصية هو الأولى بالقبول لأنه معتدل ووسط لكن إذا ما خطب أحد الشباب فتاة وعاش معها ثلاث أو أربع سنوات خاطبا ثم فسخ الخطبة فإن لها بجانب الهدايا تعويض الضرر الذى لحق بها إذا كان من الممكن أن تخطب وتتزوج وتنجب الأولاد تلك المدة التى خطبت فيها لهذا الخاطب ويقدر هذا العوض بواسطة أهل الفضل والصلاح من الناس على أن تراعى الرحمة وذلك بالنظر إلى حالة الخاطب المالية : هذا إذا كان السبب من جهته . لكن لو كانت المماطلة والتأخير من قبل أهلها أو من قبلها فليس لها هذا التعويض سالف الذكر لأنها هى التى أضرت بنفسها وعليها أن ترسل إليه كل هداياه .

أيها المؤمنون : وبهذه المناسبة أحب أن ألفت الأنظار إلى أمر هام يحكم فيه أهل الضلال من اللجان المكونة للحكم فى الجلسات العرفية أعنى الجلسات الشيطانية

---

(١) انظر حاشية الدسوقى جـ٢ صـ٢١٩ ، والشرح الصغير جـ٢ صـ٣٤٨ ومنح الجليل لسيدى محمد عليش جـ٣ صـ٢٦٤ ، ومواهب الجليل لسيدى محمد الحطاب جـ٥ صـ٤٠ ، والبهجة شرح التحفة جـ١ صـ ٢٨٢ .

المحكوم فيها بغير ما أنزل الله وإنما بمذهب الهوى والضلال . هذا الأمر الذى أحب أن ألفت النظر إليه هو الشبكة إذا فسخت الخطبة فإن الشبكة ترد إلى الخاطب لا فرق فى ذلك بين كون الفسخ منه أو منها ذلك لأنها ليست هدايا كما يفهم الجهلة من أعضاء الجلسات العرفية المأجورين المطعومين لأن الهدايا خاضعة لكرم الإنسان وجودته ومقدرته .

أما الشبكة فإن لها اتفاق واشتراطات ولها حفل خاص ومن ثم فهى جزء من المهر وليست هدية كما بين ذلك إمام المفتين فضيلة الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق حيث قال فضيلته : [جرى عرف الكثير فى مصر على أن يقدم الخاطب لمخطوبته بعد الخطبة وقبل إجراء عقد الزواج قطعة حُلى باسم (الشبكة) أو يدفع إليها مقدارا من المال لتشترى به الشبكة التى تختارها .

وقد أصبح هذا من الأمور التى تشترط لإتمام الزواج كالمهر بحيث لا يتم الزواج فى الأوساط التى تعارفت ذلك إلا بتقديم الشبكة عينا أو بدلا ، ودفع المهر معاً ، بل تعارفوا نقصان المهر بقدر قيمة الشبكة عند تقديمها وزيادته بقدرها إذا لم تقدم إذ أنها ستشترى منه بمعرفة الزوجة فإذا فسخت الخطبة ولم يتم إجراء العقد لأى سبب وجب على المخطوبة رد الشبكة إن كانت قائمة ورد بدلها إن كانت هالكة أو مستهلكة وذلك لأن المعروف عرفا والثابت واقعا أن الخاطب إنما يدفعها على سبيل المعاوضة وعلى شريطة إتمام العقد وهذا العرف مما يعتبر شرعا ويدار عليه الحكم فوجب أن يكون حكمها حكم المهر إذا عدلت المخطوبة عن الزواج وكانت قد أخذته فإنه يجب رده كاملا إلى الخاطب إن كان قائما ورد بدله إن كان هالكا أو مستهلكا .

على أنه فى بعض الجهات التى لم يجر العرف فيها بذلك ، إذا قال الزوج إنه دفع الشبكة على أنه يتم العقد أو على أنها من المهر ، وجب عند فسخ الخطبة أن تردها المخطوبة إن كانت قائمة ، وبدلها إن كانت هالكة أو مستهلكة ، لأن الزوج هو الدافع لها وهو أعلم بجهة دفعه فالقول له بيمينه ومن دفع شيئا على أنه واجب عليه فظهر أنه ليس بواجب فله استرداده . والله أعلم [١] .

---

(١) انظر فتاوى شرعية وبحوث إسلامية لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف جـ٢ صـ٥٦ ، ٥٧ .

أيها الأحباب ، وبهذه الفتوى صار الأمر واضحا جليا وأهيب بلجان الجلسات العرفية أن يستعينوا بالله ثم بالعلماء قبل أن يقولوا ويحكموا .

- مستحبات النكاح -

أيها الأحباب : وإذا كنا قد تحدثنا عن الخطبة وما يتعلق بها من أحكام باعتبارها من مقدمات الزواج فيجدر بنا أن نبين الأمور المستحبة لعلنا نتبعها إن شاء الله . فصلوا على نور الأنوار سيدنا ومولانا محمد ﷺ تكونوا من المفلحين .

اعلموا إخوانى بارك الله فيكم أن الزواج له فضائل ومستحبات فمن ذلك ما يلى :

أولاً : يستحب أن يكون العقد فى شوال (١) : وأن يكون الدخول فيه لما روى عن سيدتنا عائشة رضى الله عنها قالت : [تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال ، ودخل بى فى شوال ، فأى نسائه كان أحظى عنده منى ؟! قال : وكانت عائشة تستحب أن تدخل فى شوال] (٢) .

واعلموا عباد الله أن جميع شهور العام الزواج فيها جائز وصحيح إنما اختيار السنة فى شوال هو على سبيل الاستحباب ليس إلا ، وأحب هنا أن ألفت الأنظار إلى أمر هام يعتقده العامة من الناس وهو أن العقد أو الزواج فى شهر الله المحرم (حرام) هذا خطأ ، وافتراء على الله ورسوله ، وعلى الأئمة الأعلام الهداة . فإن المحرم شهر الله كبقية شهور العام ، أرجو أن ننتبه لذلك لأن كلمة (حرام) تحتاج إلى دليل من كتاب أو سنة وحيث لا دليل على ذلك وجب علينا أن نتقى الله ولا نفترى على الله الكذب نعم فإن الفتوى بدون علم افتراء على الله عز وجل نسأل الله الهداية والتوفيق .

ثانيا : وأن يكون يوم الجمعة :

لما ورد فى فضل هذا اليوم المبارك أن ذكرنا فى الخطبة أنها تستحب كذلك يوم الجمعة وأن تكون مساءً .

---

(١) انظر روضة الطالبين - للإمام النووى ٧ : ١٩ ، وزاد المسلم ٤ : ٢٦٦ ومواهب الجليل ٥ : ٢٦ .
(٢) رواه مسلم والترمذى والنسائى .

قال ابن قدامة [١]: يستحب عقد النكاح يوم الجمعة لأن جماعة من السلف استحبوا ذلك منهم سمرة بن حبيب وراشد بن سعيد وحبيب بن عتبة ، ولأنه يوم شريف ويوم عيد فيه خلق آدم عليه السلام ، والمساية (أى عند المساء) أولى لأن أبا حفص روى بإسناده عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول ﷺ: «**مسوا بالأملاك فإنه أعظم بركة**» ولأنه أقرب إلى مقصوده وأقل لانتظاره . اهـ .

ثالثا: ويندب لولى المرأة وللزوج أن يوكلا رجلا من أهل الفضل [٢] والصلاح ، ويوضا إليه العقد رجاء البركة ، وللاقتداء بالسلف الصالح: فعن سيدنا عقبة بن عامر ، أن النبى ﷺ قال لرجل: «**أترضى أن أزوجك فلانة ؟ قال: نعم ، وقال للمرأة: أترضين أن أزوجك فلانا ؟ قالت: نعم ، فزوج أحدهما صاحبه . . .**» الحديث [٣] وفيه جواز تولى رجل واحد طرفى النكاح وما أعظم وأغلى ، وأشرف وأعلى ، من تولى طرفيه فى هذا العقد ﷺ .

قال أهل العلم: ولا يستحب تفويض النكاح لغير أهل الفضل ، فإن فعله فخلاف الأولى .

رابعا: ويستحب إعلان النكاح:

- والأحاديث الشريفة التى حثت على إعلان العقد ، وأمرت به قرنت الإعلان باللهو ، والغناء ، والدف ، والصوت ومن هذه الأحاديث ما روى عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: قال رسول ﷺ: «**أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف**» [٤] .

خامسا: وتستحب الخطبة عند العقد:

وهما خطبتان ، الأولى من ولى المرأة أو وكيله ، والثانية من الزوج أو وكيله ،

---

(١) المغنى - لابن قدامة المقدسى الحنبلى ٦/ ٥٣٨ .

(٢) انظر: جواهر الإكليل: ج١/ ٢٧٦ والدسوقى جـ٢ / ٢٢٠ والشرح الصغير جـ٢ / ٣٣٩ والخطاب جـ٥ / صـ٤١

(٣) رواه أبو داود فى سننه رقم (٢١٧) جـ٢ صـ٥٩٠ .

(٤) رواه الترمذى فى كتاب النكاح/ باب ما جاء فى إعلان النكاح .

وفى هذا كلام للعلماء نُرجئ الحديث عنه إلى يوم السبت القادم بحول الله وقوته .

أيها المؤمنون علينا أن ننظر فيما سمعناه فى هذا الدرس لنعمل به ونطبقه عمليا فإننا بذلك نصبح من الفائزين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، يا قوم حكموا كتاب الله فيما بينكم وضعوا نصب أعينكم قول الله عز وجل : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [1] . وفقنى الله وإياكم إلى ما يحب ويرضى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * * * * * * * *

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب النكاح (باب ما جاء فى إعلان النكاح) .

الدرس السابع عشر درس "الأحد"

فى تفسير القرآن الكريم فى رحاب سورة الفاتحة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وصلاة وسلاما على من بعثه الله لنا رحمة للعالمين وسراجا منيرا وداعيا إلى الله بإذنه بالحكمة والموعظة الحسنة سيدنا ومولانا محمد ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بصدق وإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا إخوان الصفا وأحباب الحبيب المصطفى :

سلام الله عليكم ورحمته تعالى وبركاته ، ومرحبا بكم فى رحاب الهدى والنور ومع تفسير كلام ربنا العزيز الغفور وفى رحاب سورة الفاتحة .

ونحن الليلة على موعد مع حضراتكم لنلتقى حول الفوائد والأحكام واللطائف والنفحات والتى تضمنتها فاتحة الكتاب العزيز ، أيها المؤمنون :

إن فاتحة الكتاب شاءت إرادة الله عز وجل أن تتقدم كافة سور القرآن الكريم ، وما ذلك إلا لأنها الأم . أم الكتاب : حقا فهى الجامعة المانعة الكافية التى حوت لمقاصد القرآن ، نعم ، فهى البذرة أو النواة التى تفرع منها القرآن فهى الموجز ، أما تفصيل الأنباء فإنها ترد فى بقية سور القرآن الكريم ومن ثم فإن فاتحة الكتاب قد حفلت بفوائد وأحكام ونفحات كثيرة نسأل الله عز وجل أن يعود علينا من بركاتها ونفحاتها بجاه سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد ﷺ فعلى بركة الله نشرع فى المقصود وهو المستعان :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إنها بحق بداية جميلة ولقد أخذت الحمد لله موقع الصدارة فى بعض سور القرآن الكريم فى أول خمس سور قرآنية بعدد حروف كلمة (الحمد) وهى (الفاتحة) الأنعام ، الكهف ، فاطر ، سبأ ولذلك نقولها ونحن فى بداية الخطبة الأولى فى صلاة الجمعة .

فما السر فى أننا نقولها أول ما نقول ونحن على المنبر دون أن يسبقها حرف أو كلمة ؟ نقول وبالله التوفيق .

لأن الله سبحانه وتعالى عند نفخ الروح فى آدم عليه السلام ووصلت الروح إلى رأسه فعطس فقال: الحمد لله وبذلك كانت الحمد لله هى أول كلمة تعطر بها الوجود على لسان سيدنا آدم عليه السلام فى بداية الحياة الدنيا ، ولذلك فإننا عندما نفتتح الكلام فى الخطبة الأولى والثانية من كل جمعة نقول: الحمد لله ، لأن الخطبة الأولى تمثل بداية الدنيا وبداية الخطبة تمثل بداية الدنيا وبداية الدنيا هى (الحمد لله) مصداقا لهذا الحديث الشريف الذى رواه سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله . فحمد الله بإذن الله فقال له ربه: يرحمك ربك يا آدم إذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ فهم جلوس فسلم عليهم فقال: السلام عليكم ، فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم»** [١] وكذلك فإننا نقول: الحمد لله فى أول الخطبة الثانية فما السر فى ذلك ؟ نقول وبالله التوفيق: لأن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [٢] .

لنفهم من ذلك أن الحمد لله ستكون أول كلمة تقال فى الآخرة كذلك يوم يدعو الله سبحانه وتعالى عباده للبعث فأول قول لهم حين بعثهم هو قولهم: (الحمد لله) ولذلك يستحب أن نقولها فى بداية الخطبة الثانية والتى تمثل الآخرة ، وكذلك يستحب أن نقول الحمد لله حين استيقاظنا من النوم لأن النوم هو موتة صغرى ذلك لنتذكر دائما بعثنا لله ونفكر فيه ونقول كما قال النبى الكريم عندما كان يستيقظ من نومه كما رواه سيدنا حذيفة قال:

(كان النبى إذا أوى إلى فراشه قال: باسمك اللهم أموت وأحيا ، وإذا قام قال: الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا) [٣] .

وبهذه المناسبة أحب أن أبدأ بالحمد لله ذلك لأهتدى بهديها وأستنير بنورها وأستظل بظلها وأدخل الجنة بذكرها وأسبح باسمها وأقول: الحمد لله كما تقول الملائكة عند ربها .

---

(١) رواه أبو حاتم وابن حبان فى صحيحه .
(٢) سورة الإسراء الآية / ٥٢ .
(٣) رواه البخارى فى كتاب الدعوات - باب ما يقول إذا نام .

ولذلك فإنى أنصح كل خطيب يقف على المنبر يوم الجمعة بالذات أن يقول الحمد لله دون أن يسبقها حرف ولا كلمة ؛ لأن الحمد يجب أن تكون هى الأولى دائما ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أراد لها ذلك كما نرى فى بداية السور القرآنية : الفاتحة ، والأنعام والكهف ، وفاطر ، سبأ) وفى أول الدنيا وأول الآخرة ولقد اعتاد بعض الخطباء الذين يعتلون المنابر أن يقول فى أول الخطبة (إن الحمد لله) ويصر على صحة ذلك ولكنى أنصحه نصيحة لله ورسوله بأن يقول : الحمد لله بدون (إن) لأن قوله : (إن الحمد لله) فيه زيادة فى الكلام ولكنه نقص فى المعرفة .

قال العلماء : إن الحمد لله لا يصح منا أن نؤكدها بحرف إن ولا بغير (إن) لأن قوله (إن الحمد لله) فيه زيادة فى الكلام ولكنه نقص فى المعرفة . وكذلك لأن الله تعالى لم يأمرنا بحمده فى سورة الفاتحة بقوله : (احمدوا الله) لأنه سبحانه وتعالى يعلم أننا لا نقدر على حمده وشكره ولذلك حمد نفسه بنفسه وحمد ذاته بذاته ، وقال : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ وقد أمر نبيه سيدنا ومولانا محمداً فى القرآن الكريم بأن يقول : (الحمد لله بدون تأكيده بحرف إن) فى سورة الإسراء بقوله الله تعالى :

﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا** ﴾ [1] .

والمولى سبحانه وتعالى عندما افتتح القرآن الكريم لم يقل فى أول الفاتحة : **(إن الحمد لله رب العالمين)** بل قال سبحانه : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ .

لذا فإنى أنصح كل خطيب بأن يلتزم هدْى مولاه قائد خطاه وكذلك أنصح كل محاضر ومدرس أن يبدأ درسه ومحاضرته بعد الاستعاذة والبسملة (بالحمد لله) حتى يكون على هدى سليم متبع والله يهدينا وإياكم سواء السبيل .

أيها المؤمنون : وإذا كنا قد بينا لحضراتكم بأن (الحمد لله رب العالمين) يستحب لنا أن نقولها عند الاستيقاظ من النوم فإننا يجدر بنا أن نبين بقية الأمور التى يُسن لنا فيها الحمد فمن ذلك : (المسلم إذا عطس يقول : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ﴾ أسوة بأبيه سيدنا آدم كما

---

(١) سورة الإسراء الآية / ١١١ .

سبق بيانه لحضراتكم) .

وأن الحمد لله يقولها الشخص إذا أوى إلى فراشه ويقولها الشخص إذا رأى رؤيا يحبها ، ويقولها الشخص إذا انتهى من طعامه وشرابه ويقولها الشخص إذا لبس جديدا[١] .

الحمد لله رب العالمين: وكأنى بالمولى عز وجل وهو يعلمنا الحمد فكأنه عز وجل يريد أن يقول: (سبق الحمد منى لنفسى قبل أن يحمدنى أحد من العالمين وحمدى نفسى لنفسى فى الأزل لم يكن بعلة ، وحمدى بالخلق مشوب بالعلل ونميل لما علم سبحانه عجز عباده عن حمده حمد نفسه بنفسه لنفسه فى الأزل ، فاستفراغ طوق عباده وهو محل العجز عن حمده ألا ترى سيد المرسلين ﷺ كيف أظهر العجز بقوله: (لا أُحصى ثناء عليك) فقالوا:

إذا نحـــن أثنينـــا عليـــك بصالـــح ::: فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى [٢]

أيها الأحباب ولكن هل هناك فرق بين الحمد والشكر ؟ نقول وبالله التوفيق:

(إن بين الحمد والشكر فرق واضح يظهر بالنقيض ، لأن نقيض الشكر الكفر ونقيض الحمد الذم) .

وإنما لم يقل سبحانه: (الشكر لله) لأنا بينا أن الشكر عبارة عن تعظيمه بسبب إنعام صدر منه ، ووصل إليك ، وهذا مشعر بأن العبد إذا ذكر تعظيمه بسبب ما وصل إليك من النعمة: فحينئذ يكون المطلوب الأصلى له وصول النعمة إليك . وهذه درجة حقيرة فأما إذا قال: (الحمد لله) فهذا يدل على أن العبد حمده لأجل كونه مستحقا للحمد لا لخصوص أنه تعالى أوصل النعمة إليه ، فيكون الإخلاص أكمل ، واستغراق القلب فى مشاهدة نور الحق أتم وانقطاعه عما سوى الحق أقوى وأثبت [٣] .

ويرى الإمام أبو السعود رضى الله عنه أن (الحمد) من بين شعب الشكر ، أُدخل

---

(١) انظر التسهيل لتأويل التنزيل لأبى عبدالله مصطفى بن العدوى ج١ صـ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) انظر تفسير القرطبى جـ ١ صـ ١٣٥ وانظر تدبر أسرار التنزيل للإمام الشيخ الأستاذ الدكتور / جوده المهدى جـ١ صـ ٦٣ .

(٣) انظر مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازى جـ٤ صـ٣ .

فى إشاعة النعمة والاعتداد لشأنها وأول على مكانها لما فى عمل القلب من الخفاء وفى أعمال الجوارح من الاحتمال ، ومن ثم الحمد رأس الشكر [(١)] .

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يطلق الرب على السيد ومنه قوله تعالى : ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [(٢)] أى : سيدك فالسيد رب لأنه مالك كما الرب يطلق على المصلح والمدبر والجابر والقائم - كما ذكره القرطبى - فيقال : أديم مربوب أى مصلح ومما جاء بمعنى القائم بالأمور الرئيس فيها لبيد :

وأهلكن يومـــا رب كندة وابنــه ::: ورب معــد بيــن خبت وعرعــر

ومنه سمى الربانيون ، لقيامهم بالكتب واستحفاظهم إياها كذلك يطلق الرب على المعبود ومنه قول الشاعر فى صنم :

أرب يبول الثعلبـــان برأســه ::: لقد هان من بالت عليــه الثعالــب

ولكن رب الأرباب على كل جهة هو الله سبحانه وتعالى . وقد اختلف العلماء فى قوله تعالى : ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ ففريق من العلماء يرى أنه مشتق من العلامة وذلك أن كل مخلوق دلالة وعلامة على وجود خالقه وصانعه ؛ لأن جميع المخلوقات من جواهر وأعراض ممكنة مفتقرة فى وجودها إلى مؤثر واجب الوجود لذاته فوجودها دال على وجوده سبحانه ومن ثم : فالعالم اسم عام لجميع المخلوقات .

وهذا قول الأئمة : الحسن ومجاهد وقتادة وجمع من السلف والخلف فى تفسير العالم . فنجد سيدنا قتادة يقول العالمون - جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى [(٣)] .

وعن سيدنا أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : [إن لله أربعين ألف عالم الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد] .

وقال سيدنا مقاتل : [العالمون ثمانون ألف عالم . أربعون ألف عالم فى البر

---

(١) انظر تفسير أبى السعود جـ ١ صـ ٩ .
(٢) سورة يوسف من الآية / ٤٢ .
(٣) انظر تفسير القرطبى جـ ١ صـ ١٣٨ .

وأربعون ألف عالم فى البحر] .

كما روى الربيع بن أنس عن أبى العالية أنه قال : [الجن عالم والإنس وسوى ذلك للأرض أربع زوايا فى كل زاوية ألف وخمسائة عالم خلقهم لعبادته .

وذهب فريق آخر إلى أن العالم مشتق من العلم . وعليه فالعالمون هم من يعقل فقط وقد تعددت تفاسير العالم أيضا لدى أقطاب هذا المذهب من السلف والخلف فقد ورد فى تفسير العالمين فى رواية سعيد بن جبير عن الإمام ابن عباس - رضى الله عنهما- أنه فسر العالمين بالإنس والجن ، واختاره من اللغويين أبو الهيثم والأزهرى ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [1] وإنما بعث سيدنا محمد ﷺ نذيرا للإنس والجن . دون غيرهم من الحيوانات مثلا .

وقد وجه هؤلاء جواب سيدنا موسى لفرعون رب السماوات والأرض وما بينهما بأنه لم يشتغل بتفسير العالمين وإنما أراد تعريفه على وجه أظهر من الأول ليبهت خصمه .

وقيل العالم أربعة أمم : الإنس والجن والملائكة والشياطين . ولا يقال للبهائم : عالم لأن هذا الجمع إنما هو جمع من يعقل خاصة [2] .

أيها الأحباب ، هذا قليل من كثير مما ورد من علماء الشريعة فى معنى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ولأهل الحقيقة والتجليات والإشارات والنفحات فيوضات نختتم بها حديثنا :

يقول : الإمام أبو طالب المكى رحمه الله تعالى فى قوت القلوب : والفرق بين الحمد والشكر ، أن الحمد مفرد لا ينبغى إلا لله وهو الاعتراف بأن النعمة من الله عز وجل وحسن المعاملة بها لوجه الله لا شريك له فيها ولذلك قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أى الحمد كله لا يكون ولا ينبغى أن يكون إلا لله ؛ لأنه رب العالمين . ويقول العارف بالله سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه : علم الله عجز خلقه عن

---

(١) سورة الفرقان من الآية / ١ .

(٢) انظر تفسير البسيط للواحدى جـ١ صـ٢٢ وتفسير القرطبى جـ١ صـ١٣٨ .

حمده فحمد نفسه بنفسه فى أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده فقال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أى قولوا: الحمد لله رب العالمين أى الحمد الذى حمد به نفسه بنفسه هو له لا ينبغى أن يكون لغيره فعلى هذا يكون الألف واللام عهديين اهـ[1] .

ولقد كان سيدى العارف بالله إبراهيم بن أدهم من الحمادين الذين يكثرون من حمد الله والثناء عليه فى البأساء والضراء . والذين عرفوا بالرضى والتسليم لله فى الشدة والرخاء وقد سئل حذيفة المرعشى وكان من أخص أتباعه ومريديه ما أعجب ما رأيت من شيخك إبراهيم بن أدهم ، فقال حذيفة: والله إن مناقبه لكثير وأفضلها حمد الله على كل حال فما أبصرته فى ليل ولا نهار ولا فى عسر ولا يسر إلا وهذه الكلمة ملازمة له: الحمد لله ، ولقد مرت علينا ونحن سائرون فى طريق مكة إلى حج بيت الله مرت علينا أيام لم نجد طعاما ثم دخلنا مدينة الكوفة ليلا فآوينا إلى مسجد خراب فيها وكان قد نال منا الجوع واشتد بنا حد أننى خشيت على نفسى فنظر إلى إبراهيم بن أدهم وقد أدرك ما أقاسى وأحس بما أكابده وأعانيه نظر إلى وقال لى: يا حذيفة أرى بك جوعا شديدا . فلم أتردد أن قلت له: نعم يا سيدى هو ما رأيت ، فسكت قليلا ثم قال: على بدواة وقرطاس ، فجئته بها فأخذ رقعة وكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إلهى أنت المقصود بكل حال والمشار إليه بكل معنى والمرجع إذا نابت النوائب واشتدت الخطوب ثم كتب هذه الأبيات:

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ::: أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها ::: فكن الضمين لنصفها يا بارى
حمدى لغيرك لهب نار خضتها ::: فأجر عبيدك من لهب النار[2]

ثم دفع هذه الرقعة وقال لى اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله عز وجل وارفع هذه الرقعة إلى أول من يلقاك فخرجت إلى الطريق كما قال الشيخ وأول من لقيت رجل

---

(١)انظر ضياء النيرين الجامع بين علوم الطائفتين جـ١ صـ٥٠ ، ٥١ .
(٢)انظر النهج القويم فى تفسير آى الذكر الحكيم جـ١ ص٩٤ .

يركب بغلة وهو يتيه كبرا وخيلاء فناولته الرقعة على كره منى ولولا أن طاعة المريد لشيخه أمر محتوم ما دفعتها إليه ؛ لأنه فى نظرى بعيد عن الإحسان ولكنه أخذ الرقعة فلما قرأها ووقف على ما فيها بكى ونظر إلى وقال لى: يا أخى ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت لـه يا سيدى هو فى المسجد الجامع على بعد ميل منك الآن ، فدفع إلى صرة فيها كثير من الدنانير فأخذتها وعدت من حيث أتيت وأنا لا أفهم شىء فلقينى رجل فى الطريق فسألته عن راكب البغلة فقال لى: هو نصرانى من نصرانى هذه البلدة وأثريائها فداخلنى من قوله هم شديد وندمت على سؤالى عليه ، وأخيرا جئت إلى شيخى إبراهيم بن أدهم وحدثته بالقصة فقال لى: لا تمس هذه الصرة فإن كان الله قد أراد به خيرا وهداه إلى الإسلام جاءنا الساعة - وصدقت كرامة الشيخ حيث لم يمض إلا قليل من الوقت حتى دخل علينا الرجل صاحب الصرة فلما كان بين يدي الشيخ أكب على رأسه وجعل يقبلها ويبكى ويقول: يا سيدى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فرحب الشيخ به وأكرم مجيئه وأقبل عليه بوجهه يعلمه الفقه ومبادئ الدين ، وما زالا يتحادثان وأنا أسمع حتى طلع الفجر فصلينا الصبح جماعة وبعد ذلك جلسنا مع الشيخ لنردد ورده الملازم له ونقول:

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، فسبحان من هو المحمود بذاته وسبحان من هو المحمود لنعم سبقت إلينا منه . وسبحان من هو المحمود لنقم ترجى ومخاوف لا يقدر على دفعها إلا هو .

أيها المؤمنون: إن خير ما تفتتح به الأعمال وخير ما تستنتج به المقاصد التوجه إلى الله العلى الكبير ثناء عليه بما هو أهله واستمدادا للمعونة من قوته واستلهاما للرشد من هدايته وتلك هى الخطوط البارزة فى سورة الفاتحة .

عند هذه النظرة العابرة يقف أكثر الذين يتلون هذه السورة أو الذين يستمعون إليها ولعل كثيرا منهم لا يدركون من تسميتها إلا أنها تحتل المكان الأول فى صدر المصحف ولكن هلم بنا نلق على هذه السورة نظرة جديدة فى موادها ومقاصدها مقارنة بمواد القرآن ومقاصده فستجد لها بذلك شأنا أهم وأعظم .

ذلك أن الشئون التى تناولها القرآن الكريم على تنوعها وكثرتها نستطيع أن

نجملها فى أربعة مقاصد هى فى الحقيقة كل مطلب الدين والفلسفة والأخلاق .

مقصدان نظريان هما معرفة الحق ومعرفة الخير - ومقصدان عمليان تثمرهما هاتان المعرفتان إذا قدر لهما أن تثمرا فثمرة معرفة الحق واعتناقه وثمرة معرفة الخير هى فعل الخير والتزامه .

المقصد النظرى الأساسى للقرآن الحكيم : هو تعريفنا بالحقيقة - العليا صعودا بها إلى مصابيح الحقائق الأخرى . فهو يعرفنا بالله وصفاته عن طريق توجيه أنظارنا إلى آياته فى ملكوت السماوات والأرض وفى خلق الإنسان والحيوان والنبات وفى سير الشمس والقمر والنجوم وفى تكوين السحاب وفى تسخير الطير وفى تصريف الرياح وفى ظاهرتى الحياة والموت ، وفى سائر الظواهر النفسية والكونية الخارجة عن إرادتنا وعن إرادة الكائنات كلها والتى لا يستطيع العقل السليم أن يفسر وجودها ولا بقاءها ولا تناسقها ولا تماسكها ووحدة نظمها إلا بوجود قوة عاقلة قديرة مدبرة حكيمة تقبض على زمام الأمر كله وتوجه العالم على هذا النحو الموحد المتين المختلف المؤتلف دون ملايين الملايين من الأوضاع الممكنة التى كانت لابد أن تتناوب الكون فى كل لحظة لو ترك أمره لمحض المصادفة والاتفاق أو لو ترك أمره لقوة عمياء صماء طائشة لا عقل لها ، أو لقوة محزمة مدمرة باطشة لا رحمة لها ، أو لقوة عابثة لاهية لا هدف لها .

والقرآن حين يرينا صنع الله فى ملكوته لا يقف بنا عند اللوحة العالمية فى صورتها الحاضرة ولكنه يوجه نظرنا إلى طرفى الزمان الكونى فيطل بنا على صورة العالم فى ماضيه وفى مستقبله وفى بدايته وفى نهايته ، كما يوجه نظرنا إلى طرفى الزمان الإنسانى فيرينا صورة من صنع الله فى الأفراد والأمم فى ماضيها وفى مستقبلها القريب والبعيد وفى إسعادها وإشقائها وفى إبقائها وإفنائها وفى مثوبتها وعقوبتها . هذه النظرة الشاملة إلى صنع الله فى الأنفس والآفاق هذه المعرفة بالله فى مظهرى عدله وفضله فى صفتى جلاله وجماله إذا وقعت موقعها من النفس تقاضتها حتما أن تتخذ لها موقفا عمليا تجاه هذه الحقيقة المقدسة العليا ، وما ذلك إلا موقف التوقير والخشوع أمام هذا العدل والجلال ، وموقف الولاء والحب أمام هذا الفضل والجمال ، فمن عرف الله خشعت له نفسه واطمأن له قلبه وذلك هو روح العبادة وجورها ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فهى الخشوع التام عن طوع واختيار وعن رضا ومحبة [١] . وقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى فى كتابه أن الكفار كانوا يعبدون غير الله وقد عرفنا حقيقة العبادة . فليس تعظيمهم لأوليائهم مطلق تعظيم ، ولا محبتهم لهم مطلق محبة ولكنهم سووا بين الله وبين خلقه إما فى الربوبية أو فى اعتقادهم استحقاقهم التعظيم والمحبة الخاصة بالواجب سبحانه (وهى مرتبة الألوهية) أو أتباعهم فى نقض شرع الله ويقولون : **﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** [٢] . وأخبرنا الحق أنهم قالوا : **﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾** [٣] . وما قالوا ما نحبهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى [٤] أو ما نطلب الدعاء منهم أو ما نعظمهم فإن تعظيم أحباب الله لله وطلب الدعاء منهم ومحبتهم من غير غلو هى مما أمرنا الشارع به ، وهى مما يقرب إلى الله عز وجل وفى الحديث القدسى : (وجبت محبتى للمتحابين فى) وقال تعالى : **﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾** [٥] .

وقد تتحد الصورة وتختلف الحقيقة بحسب العقيدة كمن يقبل الحجر الأسود ومن يقبل الصنم فالأول مؤمن والثانى كافر وطلب الدعاء من المؤمن الحى من اعتقاد ربوبية أو أولوهية جائز إجماعا .

وقد قال ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : **«يا أخى لا تنسنا من صالح دعائك»** [٦] .

وكذلك أمر مولانا رسول الله ﷺ أصحابه أن يطلبوا الدعاء من أويس القرنى رضى الله عنه .

وأهل اللغة والفقهاء والمفسرون متفقون على أن العبادة معناها : أقصى التعظيم مع أعلى مراتب المحبة ، وذكر الشيخ الإمام محمد عبده فى معناها أنها لا تتحقق إلا فى

---

(١) راجع فى رياض القرآن جـ١ صـ ٥١ .
(٢) سورة الشعراء ٩٧ ، ٩٨ .
(٣) سورة الزمر آية (٣) .
(٤) رواه الإمام مالك وابن حبان .
(٥) سورة الفتح من الآية ٩ .
(٦) رواه - أحمد وأبو داود والترمذى والبيهقى - انظر سبل الهدى والرشاد جـ١٢ صـ٢١١ .

نوع من الخضوع بالغ حد النهاية ناشئ عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف منشأها واعتقاده بسلطة له لا يدرك كنهها وإذا حمل كلامه رحمه الله على أن من عرف ممن عبد غير الله فيما مضى كانت تلك حاله وعقيدته كان ذلك صحيحا وأما إذا فرضنا إنسانا اعتقد فى مخلوق أنه يستحق المرتبة الخاصة بالذات العلية فى التعظيم والمحبة وهى أعلى مرتبة ، وإن لم يعتقد فيه قوة غيبية لا يعلم كنهها فإنه يحكم عليه أنه اتخذه إلها وهو كافر خارج عن الإسلام وليست العبادة خاصة بمن توفى فإن من الأحياء من عبد . كحال آل فرعون كما قال تعالى عنهم : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾[1] واليابانيون يعبدون الامبراطور وفى الهند من الأحياء من يعبد كذلك ومن أحب رجلاً من الصالحين وتعود أن يطلب الدعاء منه على الوجه المشروع ، ولم يعتقد فيه وجها ما من الربوبية والألوهية فيرى أثر الاستجابة من الله عز وجل له ، ثم توفى ذلك الصالح فطلب الدعاء منه معتقداً أن الروح لا تبلى وإنما يبلى الجسد إلا ما شاء الله ، وأن الله سبحانه قادر على أن يكرمه بعد وفاته بقبول دعائه كما كان يكرمه فى حياته وعلى اعتبار أن دعاء ذلك الصالح لربه وظيفة عبودية لا ربوبية فلم يقل له أخلق لى أو أرزقنى والغرض أن عقيدته فيه بعد وفاته هى . هى عقيدته فيه حال حياته لم تتغير ولم تتبدل وإنما طلب الدعاء منه على الوجه الذى كان يطلب به فى حياته . فلا يعد ذلك الطلب من العبادة لا لغة ولا شرعاً حيث لم يزد على الصورة التى كان يطلب منه الدعاء بها إلا الموت والموت والحياة لا دخل لهما فى ماهية العبادة وليس أحدهما بشرط فى العبادة ولا لشطر منها[2] .

هذا ما أردنا أن نبينه فى ختامنا لتفسير سورة الفاتحة والله ولى التوفيق وفقنى الله وإياكم إلى مرضاته وصلى اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * * * * * * * *

---

(١) سورة المؤمنون آية ٤٧ .

(٢) انظر تفسير سورة الفاتحة وجزء عم للحافظ التيجانى صـ ٢٠ ، ٢١ .

الدرس الثامن عشر درس "الاثنين"

فى الحديث النبوى الشريف

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده وصلاة وسلاما على من لا نبى بعده سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بصدق وإخلاص وإحسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أما بعد ،

فيا أيها المؤمنون مرحبا بكم فى مساء يوم الاثنين حيث نعيش تلك الليلة حول وصية جامعة مانعة من وصايا الحبيب المصطفى لحب قلبه وقرة عينه ، من دعا له الحبيب المصطفى بالفقه فى الدين وتعليم تأويل الكتاب العزيز ألا وهو سيدنا ومولانا الإمام عبدالله بن عباس رضى الله عنهما .

يقول سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : كنت خلف النبى ﷺ يوما فقال : **«يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف »**(1) ، وفى رواية : **«احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا »**(2) .

أيها المؤمنون ، وقبيل أن ندخل فى هذا الحديث وتلك الوصية التى هى من جوامع كلمه ﷺ شارحين ، أود أن أقف أنا وحضراتكم وقفة يسيرة مع هذا الإمام الجليل سيدنا عبدالله بن عباس راوى الحديث .

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

(٢) رواه الإمام أحمد حديث رقم (٢٦٦٩) ، (٢٨٠٤) والحديث فى رياض الصالحين ص ٤٢ باب المراقبة ودليل الفالحين ج١ ص ٢٨٤ .

نعم فهو الإمام الجليل حبر الأمة سيدنا عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب فهو ابن عم النبى ﷺ وكنيته أبو العباس .

ولد رضى الله عنه قبل الهجرة بثلاث سنوات بشعب بنى هاشم وقت أن كانوا محصورين فيه قبل خروجهم منه بيسير وانتقل مولانا رسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، ويؤيد ذلك ما ذكر قوله فى حجة الوداع : [وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام] .

وكان رضى الله عنه من أكبر الصحابة علما وفقها رغم كونه من صغار الصحابة سنا ، ولعل علمه وفقهه كانا ببركة دعاء النبى ﷺ إذ صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «**اللهم فقهه فى الدين وعلمه الحكمة والتأويل اللهم علمه تأويل القرآن ، اللهم بارك فيه ، وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين اللهم زده علما وفقها**»[1] وفضائله رضى الله عنه كثيرة ومناقبه شهيرة وقد روى له ألف حديث وستمائة وستون حديثا . وقد انتقل إلى جوار ربه عز وجل سنة ٦٨ هجرية ودفن بالطائف وكان عمره آنذاك إحدى وسبعين سنة .

أما الآن فهيا بنا لنعيش فى رحاب هذا الحديث الشريف وتلك الوصية النبوية الغالية : صلوا على الحبيب المصطفى تفلحوا .

يخبرنا الصحابى الجليل حبر الأمة وعالمها ، ابن عباس رضى الله عنه أنه كان يركب خلف مولانا رسول الله ﷺ على دابته يوما فحباه وخصه بجملة من الوصايا الجامعة لطرق الخير فى كلمات يسيرة ومعان أكثر من أن تحصى .

ولنعلم جميعا أن هذه الوصية الجامعة لخصال الخير ليست لسيدنا ابن عباس فحسب إنما خيرها لنا جميعا لذا أرجو أن ننتفع جميعا بها . نعم أيها المؤمنون الأحبة انظروا إلى الحبيب المصطفى والنبى المجتبى وهو يقول لابن عمه : «**احفظ الله يحفظك**» أى : احفظ الله بملازمة تقواه واجتناب ما لا يرضاه . بحيث لا يراك حيث نهاك ، ولا يفتقدك حيث أمرك . يحفظك من بين يديك ومن خلفك ، ويحفظك فى نفسك وأهلك

---

(١) انظر كتاب أنوار من هدى النبوة لفضيلة الدكتور سليمان درويش أحمد عامر جـ ١ صـ ١٧٦ .

ومالك وولدك ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٤).

"احفظ الله تجده تجاهك" أي: احفظ الله بما مر بيانه تجده معك بالحفظ والإحاطة والتأييد والإعانة حيثما كنت فتأنس به وتغنى عن خلقه ، «**إذا سألت فاسأل الله**» أي إذا أردت أن تسأل شيئا فاسأل الله دون غيره أن يعطيك إياه من فضله فإنه الغنى على التحقيق والمولى لكل خير وتوفيق ، وخزائن الجود بيده وأمرها إليه لا معطى ولا مانع سواه ولا فائدة فى سؤال الخلق ، إذ لا يملكون نفعا ولا ضرا لأنفسهم فضلا عن غيرهم وما أحسن قول الإمام الجليل سيدنا ومولانا الإمام أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه وعنا به فى الدارين آمين: [أليست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أرجوه لنفسى](٥) .

وقال الإمام طاووس: [إياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك](٦) .

وقال سيدنا عمر بن قيس: قرأت آيات فى كتاب الله فاستغنيت بالله عن الناس .

قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ﴾ (٧) . فلم أسأل غيره كشف ضرى .

---

(١) سورة محمد الآية / ٧ .

(٢) سورة البقرة من الآية / ١٥٢ .

(٣) سورة البقرة الآية / ٤١ .

(٤) سورة النحل الآية / ٩٧ .

(٥) انظر دليل الفالحين ج١ صـ٢٨٩ .

(٦) انظر الفتوحات الوهبية للإمام الشبرخيتى ص ١٨٣ .

(٧) سورة الأنعام/ ١٧ .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [(١)] فلم أرد الخير والفضل إلا منه. وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا ﴾ [(٢)] فلم أطلب الرزق من غيره فأغنانى الله عن الناس بهذه الآيات.

وقال سيدنا الفضيل بن عياض: [أحب الناس إلى الناس، من استغنى عن الناس، وأبغض الناس إلى الناس، من احتاج إلى الناس وسألهم وأحب الناس إلى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره، وأبغض الناس إلى الله من استغنى عنه وسأل غيره [(٣)].

وفى بعض الكتب الإلهية: وعزتى وجلالى لأقطعن أمل من يؤمل غيرى ولألبسنه ثوب المذلة عند الناس، ولأحجبنه عن قربى ولأبعدنه عن وصلى ولأجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيرى فى الشدائد والشدائد بيدى وأنا الحى القيوم ويطرق بالفكر أبواب غيرى وبيدى مفاتيح الأبواب وهى مغلقة وبابى مفتوح لمن دعانى [(٤)] أيها الأحباب، وبعض أهل التنطع والجهالة يأخذ من هذا الحديث على أن المراد من قوله ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله**» حرمة التوسل بالأنبياء فيجعلون التوسل شركا كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، فإن المتوسل بالأنبياء والصالحين إنما يسأل الله ويستعن به وحده جلَّ جلاله وتوسله مشروع وهو يفعله عن دليل قرآنى وسنة نبوية أما القرآن فقوله سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [(٥)].

وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [(٦)].

وأما من السنة فقد ثبت أنه ﷺ قد أخبر بأن سيدنا آدم لما اقترف الخطيئة توسل إلى

---

(١) سورة يونس/ ١٠٧.
(٢) سورة هود آية/ ٦.
(٣) انظر شرح سيدى إبراهيم الشبرخيتى على الأربعين النووية صـ ١٨٣.
(٤) انظر دليل الفالحين جـ١ صـ ٢٩١.
(٥) سورة النساء الآية / ٦٤.
(٦) سورة المائدة من الآية / ٣٥.

الله بحقه ﷺ [١] .

وهذا الحديث قد قال الألباني بوضعه محتجا بحكم الحافظ الذهبي عليه فالحاكم في المستدرك حكم بالصحة قال الذهبي : بل موضوع وكعادة الوهابية والألبانية اتباع كل ما يؤدي إلى تنقيص الجناب المحمدي المرموق والحق الذي لا مرية فيه أن كلا من الحاكم والذهبي تجنيّا على الحديث ، فليس بصحيح كما قال الحاكم وليس بموضوع كما حكم الذهبي إنما الحديث حسن وهذا هو الحق كما استفدنا من كلام شيخنا المحدث سيدي عبدالله الصديق في كتابه الرد المحكم المتين وأنصح الدعاة أن يقتنوه ويقرؤوه لكي يقفوا على ضلال الوهابية وافتراءاتهم على النبي والصحابة والعلماء وسيقفوا أيضا على زيغهم عن الحق واتباع الباطل أجارنا الله وإياكم من مثل طريقتهم وأفكارهم الشيطانية والكتاب ميسور ومطبوع في مكتبة القاهرة شارع الصنادقية بجوار مولانا الإمام الحسين وبجوار الأزهر الشريف نعود فنقول إن هذا الحديث ليس فيه دليل على حرمة التوسل بالأنبياء والصالحين وأرجوا أن نلتقي مع حضراتكم حول هذا الموضوع في لقاء قريب جدا .

أيها المؤمنون : ونمضي مع الصادق المصدوق حيث يقول لابن عمه : "وإذا استعنت فاستعن بالله" أي إذا طلبت الإعانة على أي أمر من أمور الدارين فاستعن بالله ، لأنه القادر على كل شيء وغيره عاجز عن كل شيء والاستعانة إنما تكون بقادر على الإعانة وأما من هو كَلٌّ على مولاه لا قدرة له على إنفاذ ما يهواه لنفسه فضلا عن غيره فكيف يؤمل للاستعانة به أو يتمسك بسببه بل من أعانه الله تعالى فهو المعان ومن خذله فهو المخذول ، ومن ثم كانت لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة - لتضمنها براءة النفس من حولها وقوتها إلى حوله وقوته جل جلاله ، وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبدالعزيز : [لا تستعن بغيره تعالى يكلك الله إليه] [٢] .

وينتقل ﷺ في وصيته الغالية فيقول لابن عمه : «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن**

---

(١) حديث توسل آدم بالنبي ﷺ رواه الحاكم في مستدركه وصححه والبيهقي في دلائل النبوة وكذا الطبراني وابن عساكر عن سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

(٢) انظر كتاب أنوار من هدى النبوة جـ١ صـ ١٨٣ .

يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك» أى أن أزمة الموجودات بيده تعالى منعا وإطلاقا فإذا أراد أحد أن ينفعك بشىء لم يكتبه الله لك صرفه الله عن ذلك وإذا أراد أن يضرك بشىء لم يكتبه الله عليك دفعه الله عن ذلك بأى عارض من عوارض القدرة الباهرة كمرض أو شغل أو نسيان أو صرف قلب أو من تأثيره فيك بأى عارض أيضا وهذه الجملة من الحديث الشريف يؤيدها ويؤكدها قوله تعالى: ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ** ﴾ [١] .

ولاينافى هذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿ **فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ** ﴾[٢] ، ﴿ **إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى** ﴾[٣] لأن الإنسان مأمور بالفرار من أسباب العطب إلى أسباب السلامة بدليل قوله تعالى: ﴿ **خُذُواْ حِذْرَكُمْ** ﴾[٤] .

وقوله: ﴿ **وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ [٥] .

وقول سيدنا عمر: [إنما نفر من قدر الله إلى قدر الله] .

ولهذا قيل فى المعنى:

على المرء أن يسعى لما فيه نفعــــه ::: وليس عليه أن يساعــده الدهــر [٦]

وقيل أيضا:

وعلــى أن أسعـــى وليـــس ::: علــــى إدراك النجــــاح

إذن فسيدنا موسى وأخيه سيدنا هارون عليهما السلام إنما أرادوا الأخذ بالأسباب ليس إلا ، أما النفع والضر إنما هما بيد النافع الضار سبحانه وتعالى ونحن عندما نمرض إنما نذهب إلى الطبيب لا اعتقادا منا بأن الطبيب هو الشافى إنما الشافى فى الحقيقة هو

---

(١) سورة يونس الآية / ١٠٧ .
(٢) سورة القصص آية ٣٣ .
(٣) سورة طه/ ٤٥ .
(٤) سورة النساء من الآية ٧١ .
(٥) سورة البقرة من الآية / ١٩٥ .
(٦) انظر الفتوحات الوهبية لسيدى الإمام الشبرخيتى صـ ١٨٥ .

الله وما الطبيب إلا سبب قد يجعله الله سببا فى الشفاء ، ولله در القائل :

إن الطبيب لــــه فى الطب معرفة ::: مـــا دام فى أجـــل الإنســـان تأخير

فإذا العليل انقضت أيــــام مدتـــه ::: حار الطبيـــب وخانتـــه العقاقيـــر

ثم يقول مولانا رسول الله ﷺ : «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**» أى تركت الكتابة بالأقلام لفراغ الأمر وانبرامه ، وجفت الصحف التى فيها تقادير الكائنات كاللوح المحفوظ ، أى جف المكتوب فيها ، والعبارة الكريمة كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها ، والفراغ منها منَ أمد بعيد .

وفى رواية الإمام أحمد يقول مولانا رسول الله ﷺ : «**تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة**» هذا حق فإن عليك أخى المؤمن أن تتحبب إلى مولاك قائد خطاك وأن تتودد إلى الله فى الرخاء بسعة الرزق وصحة البدن وفراغ البال من المشاكل والهموم يعرفك فى الشدة بتفريج الكروب ويجعل لك من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا كما حدث للثلاثة أصحاب الغار عندما انحدرت عليهم الصخرة وهم فى الغار فذكر كل واحد منهم العمل الخيرى الذى عمله وكان خالصا لوجه سبحانه لذا فرج الله عنهم الكرب بعد أن وجهوا فطرتهم إلى خالقهم وباريهم ومصورهم وناشيهم ، وهذه القصة ذكرها لنا مولانا رسول ﷺ فى حديث صحيح [1] لنا فيه درس خاص إن شاء الله تعالى عند حديثنا عن التوسل بأقسامه لذا اكتفينا الليلة بمعناه وما يستفاد منه ثم يقول ﷺ : «**واعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك**» أى أن الله تعالى فرع من تقدير ما يصيبك ويخطئك من خير أو شر وإذن فما إصابته لك محتومة لا يمكن أن يخطئك ، وما إخطاؤه إياك محتوم لا يمكن أن يصيبك فلم يبق سوى التوكل على الله والسكون تحت جرى المقادير ثم يقول صلوات ربى وسلامه عليه .

«**واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا**» فى هذه العبارة تنبيه على أن الإنسان فى هذه الدنيا معرض للبلايا والخطوب كما قال تعالى : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ**

---

(١) حديث الثلاثة أصحاب الغار رواه البخارى ومسلم .

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [(١)] فينبغى للمؤمن أن يصبر ويحتسب ويرضى بالقضاء والقدر لأن من سنة الله تعالى فى خلقه أن يكون النصر فى كل شىء مع الصبر بجميع أنواعه وأن النصر حليف الصابرين وأن يكون الفرج والخروج من الغم مع نفس الغم الذى يأخذ بالنفس فلا دوام له وأن مع العسر يسرا قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [(٢)] ولذا قال ﷺ: «**لن يغلب عسر يسرين**» ، لأن النكرة إذا كررت كانت الثانية غير الأولى والمعرفة إذا أعيدت كانت الثانية عين الأولى غالبا فيهما .

أيها المؤمنون: إن ما نستفيده الليلة من هذا الحديث الشريف .

١ - جواز الإرداف على الدابة إن أطاقت ذلك وقد ثبت أنه عليه السلام أردف خلفه كثيرا من الناس رجالا ونساءً حتى أحصاهم بعض العادين فبلغ بهم فوق الأربعين شخصا .

٢ - فضيلة ابن عباس رضى الله عنه إذ أردفه الرسول ﷺ وخصه بهذه الوصايا على صغر سنه كما مر .

٣ - أن الجزاء فى الإسلام من جنس العمل وهذا واضح فى قوله ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**» وقد تكاثرت النصوص فى القرآن الكريم والسنة المطهرة: أن من عمل عملا خيرا كان أو شرا جوزى عليه جزاء مطابقا لجنس العمل فمن أوكأ أوكأ الله عليه . ومن شدد شدد الله عليه ومن يسر يسر الله عليه ومن سهل سهل الله عليه ومن فرج فرج الله عليه ومن رحم رحمه الله ، ومن أنفق أنفق الله عليه . وهكذا قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [(٣)] وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ . . . ﴾ [(٤)] وقال ﷺ: «**من أقال مُعسرا أقال الله عثرته**» [(٥)] . وقال ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**» [(٦)] .

---

(١) سورة البقرة آية / ١٥٥ .
(٢) سورة الشرح الآيتان: ٥ ، ٦ .
(٣) سورة البقرة الآية / ١٥٢ .
(٤) سورة محمد الآية / ٧ .
(٥) رواه أبو داود وابن ماجة واللفظ له .
(٦) رواه البخارى ومسلم .

٤ - وجوب التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه وحده فى كل الأمور إذ بيده وحده مقاليد كل شىء ، وغيره عاجز عن أى شىء والحديث الشريف كله مبنى على ذلك .

أعنى أن مدار هذه الوصية الشريفة على هذا الأصل إذا ما قبله وما بعده مفرع عليه وراجع إليه وقد قال تعالى : ﴿ مَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (١) .

٥ - وجوب الرضا بالقضاء . والصبر على البلاء والأمل الدائم فى رحمة الله عز وجل فسيجعل الله بعد عسر يسرا وعند كل ضيق فرجا ومخرجا .

أيها الأحباب : هكذا أفادتنا وصية النبى ﷺ التى جمعت فأوعت وجددت لنا معالم الطريق كما بينت لنا أسباب السعادة والنجاح والنجاة وفتح أبواب الأمل فى وجوه اليائسين وطمأنت قلوب الحيارى الخائفين من الظالمين والحاقدين فهل من متدبر؟ وهل من ممعن فى دقائق معانى هذا الحديث وهذه الوصية؟ إن النبى ﷺ عندما وصى بها سيدنا عبدالله بن عباس إنما هدف من ورائها كل أفراد أمته ولا سيما المحبين لحضرته ﷺ كما أسلفنا ولكنى فى الختام أؤكد إلى أمر عظيم وهو أن قول النبى : "إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله" ، بعيد كل البعد عن المفهوم الذى فهمه ذوى اللحى الكثة وأصحاب الدعوة إلى النقاب من تحريم التوسل بالأنبياء والمرسلين وبآل البيت والصالحين لأنهم فى الحقيقة لم يسألوا إلا الله ولم يستعينوا إلا بالله لذا الواجب علينا أن لا نحمل الحديث ما ليس فيه ولا نلوى النص لمفهومنا السقيم وإلا فالويل ثم الويل لمن افترى على الكذب - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب وأدعوا الله عز وجل أن يجعلنا من أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب وإلى لقاء قادم غدا إن شاء الله أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، والله أعلم .

* * * * * * * * *

---

(١) سورة الطلاق الآية / ٣ .

الدرس التاسع عشر درس "الثلاثاء"

فى فقه العبادات

تابع أحكام الطهارة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وصلاة وسلاما على سيدنا ومولانا رسول الله ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا إخوانى فى الله ويا أحبابى فى سيدى ومولانا رسول الله ﷺ :

الليلة يتجدد اللقاء بحضراتكم حول فقه العبادات وفى أحكام الطهارة حتى تكون عبادتنا صحيحة ، وفى الأسبوع الماضى تكلمنا عن أحكام المياه ومن خلال الدرس الماضى عرفنا الماء الطهور والماء الطاهر والليلة بمشيئة الله تعالى نتحدث عن حكم الماء الذى أصابته نجاسة ولم تغيره . فنقول وبالله التوفيق .

عرفنا فى الدرس الماضى أن الفقهاء قد اتفقوا على أنه إذا اختلطت بالماء نجاسة وغيرت أحد أوصافه فإن الماء فى هذه الحال ينجس أما إذا لم تغير أحد أوصاف الماء الثلاثة اللون والطعم والريح فقد اختلفت كلمة الفقهاء فى هذا الماء .

فمنهم من رأى أن الماء يبقى على طهوريته فيكون طاهرا مطهراً سواء كان الماء قليلا أو كثيرا جاريا أو غير جارٍ . وقد قال بهذا الرأى سيدنا حذيفة وأبو هريرة وابن عباس وابن المسيب والحسن البصرى وعكرمة وعطاء وابن أبى ليلى ويحيى بن القطان وعبدالرحمن بن مهدى والأوزاعى وسفيان الثورى وإلى هذا ذهب داود بن على وابن حزم [١] وبعض الزيدية [٢] والإمامية [٣] فى رأى ومالك [٤] وأحمد [٥] فى رواية عن كل

---

(١) انظر المحلى جـ١ صـ ١٧٥ وما بعدها .
(٢) انظر السيل الجرار جـ١ صـ ٥٤ وما بعدها .
(٣) انظر شرائع الإسلام جـ ١ صـ ٢٣ وما بعدها .
(٤) انظر بداية المجتهد للإمام ابن رشد الحفيد جـ١ صـ ٢٤ .
(٥) انظر المغنى جـ ١ صـ ٢٠٠ .

منهما واختاره بعض الشافعية [١] كالغزالى والرويانى .

ومن الفقهاء من فرق بين قليل الماء وكثيره فرأى أن الكثير لا تفسده مخالطة النجاسة إلا إذا غيرت أحد أوصافه . أما القليل فينجس بمخالطة النجاسة وإن لم يتغير أحد أوصافه وقد روى هذا عن ابن عمر وسعيد بن جبير ومجاهد وإسحاق بن راهويه وإلى هذا ذهب الشافعى وكذا أحمد على المشهور من مذهبه وبعض الزيدية ومالك فى رواية .

ومن الفقهاء من رأى أن الماء إن كان جاريا واختلطت به نجاسة بقى على طهوريته ما لم يتغير أحد أوصافه وإن كان غير جار فإن كان كثيرا بقى على الطهورية ما لم يتغير أحد الأوصاف وإن كان قليلا تنجس بمخالطة النجاسة وإن لم يتغير أحد الأوصاف . وإلى هذا ذهب الحنفية [٢] على الأصل من مذهبهم وكذا الإمامية فى الأصح [٣] .

وعلى كل مؤمن أن يختار ما يناسبه من أقوال فإن الكل لـه أدلته والجميع من رسول الله ملتمس .

ومما تقدم نعلم بجلاء أن الماء ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ - طهور . ٢ - طاهر . ٣ - متنجس .

وسنبين تلك الأقسام فى عجالة حتى يستفيد من فاته الدرس الماضى :

القسم الأول الماء الطهور: وهو الماء الطاهر فى نفسه المطهر لغيره . ويسميه الفقهاء بالماء المطلق لأنه يطلق عليه اسم ماء بلا إضافة إليه وهذا الماء يستعمل فى الوضوء والغسل وإزالة النجاسة وأمثلته : ماء البحر ولو مالحا وماء العيون والآبار كبئر زمزم وماء المطر والثلج والبرد والمجموع من ندا قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا ﴾ [٤] . ولقوله تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ [٥] .

---

(١) انظر المجموع جـ ١ صـ ١٦٣ .
(٢) انظر بدائع الصنائع جـ ١ صـ ١٣٨ .
(٣) انظر شرائع الإسلام جـ١ صـ ٢٠ والمختصر النافع فى فقه الإمامية صـ ٢٦ .
(٤) الفرقان / ٤٨ .
(٥) الأنفال / ١١ .

ولقوله ﷺ عن ماء البحر: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»[١].

القسم الثانى: طاهر غير مطهر يصح استعماله للطبخ والعجن والشرب ولا يصح رفع الحدث به ولا إزالته للنجاسة. إلا أن أبا حنيفة وأصحابه قالوا: تصح إزالة النجاسة به. وهذا القسم من المياه هو ما خالطه طاهر ونفى اسم الماء عنه أو غير أوصافه أو أخرجه عن رقته وسيلانه كالماء إذا غلى فيه شىء كالشاى مثلا والمشوب باللبن ومثله الماء المخلوط بالصابون والورد وماء الزهر.

ومثله الماء المستعمل وهو ما استعمل لرفع حدث ودليل ذلك ما روى عن رجل صحب النبى ﷺ قال: «**نهى رسول الله ﷺ أن تغتسل المرأة بفضل الرجل أو الرجل بفضل المرأة ولغترفا جميعا**»[٢].

فهذا إذا كان الماء قليلا وتغير أحد أوصافه أما إذا كان الماء كثيرا فإنه يستعمل وقال المالكية: الماء المستعمل طاهر مطهر سواء كان قليلا أو كثيرا وذلك عملا بما روى عن الربيع بنت معوذ فى وصف وضوء رسول الله ﷺ قالت: «**ومسح رأسه بما بقى من وضوء كان فى يديه**»[٣].

القسم الثالث الماء المتنجس: وهو ما حلت فيه نجاسة وكان قليلا وكذا إذا كان كثيرا وغيرت النجاسة أحد أوصافه الثلاثة: الطعم أو اللون أو الرائحة. وقال المالكية: إن الماء لا يتنجس سواء كان كثيرا أو قليلا إلا بالتغير عملا بالحديث القائل: «**إن الماء لا ينجسه شىء إلا ما غلب على ريحه أو طعمه أو لونه**»[٤].

والماء الباقى من شرب حيوان أو إنسان طهور باستثناء الكلب والخنزير فإن سؤرهما متنجس.

وقالت المالكية بكراهة سؤر الكلب وقالت الأحناف باستعمال سؤر الحيوان مأكول اللحم دون غيره.

---

(١) أبو داود، والترمذى، والنسائى وابن ماجة وصححه ابن خزيمة.
(٢) البيهقى والنسائى بسند صحيح.
(٣) أحمد وأبو داود.
(٤) رواه ابن ماجة.

هذا . والماء المتنجس لا يستعمل فى عبادات ولا حاجات ولا عادات ولا بأس أن يستعمل فى سقى زرع أو حيوان . ويكره الوضوء والغسل من الماء شديد البرودة وشديد السخونة والماء المشمس فى أقطار حارة .

تلكم أحكام المياه التى يجوز منها الوضوء مع ملاحظة أن القسم الثانى وهو الماء الطاهر يشرب منه وتغسل به الملابس ولا يتطهر منه .

والآن هيا بنا لنعرف أداب قضاء الحاجة والاستجمار والاستنجاء والله الموفق .

أيها الأحباب : لقد وضع السادة الفقهاء لقاضى الحاجة آداب يستحب له فعلها ليتحلى ويتخلق ويتأدب بأخلاق وآداب سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ومن ذلك :

١ - التعوذ والتسمية قبل الدخول وقول : "اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث" والمراد بالخبث : ذكور الجن والخبائث إناثهم . ودليل ذلك ما روى عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ أنه قال : «**إن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث**» [(١)]) [(٢)] .

٢ - أن يقول بعد الخروج : «**الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى**» فإن نسى التسمية والدعاء السابق ذكره قبل الدخول فلا يذكرهما أثناء قضاء الحاجة .

٣ - يندب السكوت ما دام فى الخلاء إلا لأمر كطلب الماء وذلك لقوله ﷺ : «**لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عن عورتيهما يتحدثان فإن الله يمقت على ذلك**»[(٣)] .

٤ - يستحب التستر عن أعين الناس لما روى عن النبى ﷺ أنه كان إذا ذهب إلى الخلاء أبعد [(٤)] وذلك حتى لا يرى جسمه أما ستر العورة فإنه واجب .

٥ - يستحب اتقاء مهب الريح لئلا يعود عليه البول فيتنجس .

---

(١) رواه البخارى وأبو داود واللفظ له .

(٢) انظر الذخيرة للإمام القرافى جـ١ صـ١٩٥ ط دار الغرب بيروت .

(٣) رواه أبو داود عن سيدنا أبى هريرة ، انظر بداية المجتهد للإمام ابن رشد الحفيد جـ ١ صـ٨٧ .

(٤) رواه أبو داود .

وكما يستحب اتقاء موارد الماء والطرقات التى يمر بها الناس كما يستحب اتقاء الأماكن التى يستظل فيها الناس فى الصيف ومثلها أماكن الشمس أيام الشتاء وكذلك المكان المقمر لقوله ﷺ: «**اتقوا اللاعنين**» قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: «**الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم**» [١] .

٦ - يستحب استحبابا مؤكدا عدم ذكر الله تعالى عند قضاء الحاجة ، وكذلك الدخول بشىء مكتوب فيه ذكر الله كالنقود والخاتم ولو كان المكتوب اسم سيدنا رسول الله ﷺ إذا كان منقوشا بما يعينه مثل (عليه السلام) .

وذلك لما روى عن أنس قال: «**كان النبى ﷺ إذا دخل الخلاء وضع خاتمه**» [٢]

لكن إذا ما كان الإنسان مسافرا وكان يصطحب مصحفا فلو تركه ودخل من غيره ربما سرق فحينئذ رخص له سادتنا المالكية بالدخول بالمصحف وذلك لهذا العذر اللهم إلا إذا كان يأتمن وضعه فى مكان أمين بمعنى أنه يأمن عدم سرقته فيحرم عليه إذا أن يدخل به كذلك لا حرج على من كان فى جيبه مصحفا صغيرا أو حرزا فحينئذ لا حرج عليه لأن الجيب أو حافظة النقود حائل بين المكان النجس والمصحف [٣] والله أعلم .

٧ - يحرم قراءة القرآن عند قضاء الحاجة كما يحرم الدخول بمصحف أو بعضه .

٨ - يستحب تقديم الرجل اليسرى عند الدخول وتقدم اليمنى عند الخروج بخلاف المسجد فإنه تقدم اليمنى دخولا واليسرى خروجا لشرف المسجد وقدسيته ، وفى لبس النعل تقدم اليمنى وفى خلعه تقدم اليسرى أما للمنزل فتقدم اليمنى فى دخوله والخروج منه .

٩ - يحرم استقبال القبلة أو استدبارها عند قضاء الحاجة فى الفضاء ويجوز إذا كان بينه وبين القبلة ساترا كدورات المياه الموجودة فى البيوت والملحقة بالمساجد فلا يضر إذا كانت مستدبرة أو مستقبلة القبلة لأن الحائط ساتر بين الإنسان وبين القبلة والله أعلم ، وذلك لما روى عن سيدنا أبى أيوب الأنصارى أنه قال وهو بمصر: والله ما

---

(١) رواه أبو داود عن سيدنا أبى هريرة ، انظر بداية المجتهد للإمام ابن رشد الحفيد جـ١ صـ ٨٧ .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) انظر الفقه المالكى وأدلته للشيخ / الحبيب بن طاهر جـ ١ صـ ٦٢ ط ابن حزم .

أدرى كيف أصنع بهذه الكرابيس أى المراحيض . وقد قال رسول الله ﷺ : **«إذا ذهب أحدكم الغائط أو البول فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها»** (١) والحديث محمول على ما إذا كان قضاء الحاجة فى الفضاء فلا يدخل فى هذا الحديث من قضى حاجته فى بيت من البيوت الملحقة بالمساجد وهى المسماة بالميضئة أو دورات المياه كما سبق بيانه منذ قليل قال سيدنا سحنون بن سعيد نقلا عن الإمام مالك أنه قال : [إنما الحديث الذى جاء لا تستقبل القبلة لغائط ولا لبول إنما يعنى بذلك فيافى الأرض ولم يعن بذلك القرى والمدائن] (٢) .

١٠ - على قاضى الحاجة أن يستبرئ ويستنجئ من بوله وغائطه والاستبراء هو إخراج البول من مجراه من الذكر . وذلك لما روى عن سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : مر النبى بقبرين فقال : **«إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول (أى يستبرئ) وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز فى كل قبر واحدة»** قالوا يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال : "لعله يُخفف عنهما ما لم ييبسا" (٣) ولقوله ﷺ : **«تنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه»** (٤) .

أما الاستنجاء فهو إزالة النجاسة عن محلها :

والاستنجاء لا يشترط أن يكون قبيل الوضوء ولا يجب ولا يسن ولا يستحب بل هو عبادة مفردة بل تجوز تفرقته عن الوضوء فى الزمان والمكان ولا يعد من سنن الوضوء ولا فى فرائضه ولا فى مستحباته كما بينا وإنما المقصود منه إنقاء المحل خاصة .

لحديث مولاتنا السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : بال رسول الله ﷺ فقام عمر خلفه بكوز ماء فقال : **«ما هذا يا عمر»** ؟ فقال : هذا ماء تتوضأ به قال : **«ما أمرت كلما بلت أن أتوضأ ، ولو فعلت لكانت سنة»** (٥) .

---

(١) رواه الإمام مالك فى موطئه .

(٢) انظر المدونة الكبرى جـ ١ صـ٧ .

(٣) رواه البخارى

(٤) رواه الدارقطنى .

(٥) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة بإسناد حسن -انظر مسالك الدلالة للإمام الحافظ الحجة سيدى أحمد الصديق صـ ١٣ .

سبحان الله !! ما أجمل سماحة الإسلام وما أجمل رفق نبى الإسلام ورسول الرحمة والسلام سيدنا ومولانا محمد يأبى المشقة والتعسير على أمته فجزاه الله عنا خيرا ولا يسعنا إلا أن تقول جزا الله عنا سيدنا ومولانا محمد ﷺ ما هو أهله .

أيها الأحباب ، وسيدنا ومولانا رسول ﷺ لم ينقل عنه أحد من صحابته ولا تابعيهم أنه كلما توضأ استنجى ، أو أمر بذلك ولكن يستحب تقديم الاستنجاء على الوضوء ، فإذا أخره فليحذر من مس ذكره ، ومن خروج حدث كى لا ينتقض وضوءه وقولنا : استحبابه لا يتعارض مع ما سبق بيانه فى أول حديثنا عن الاستنجاء حيث قلنا : لا يستحب إنما أردنا الاستنجاء ليس ضمن فرائض وسنن ومستحبات الوضوء وإلا فإن المؤمن كلما انتقض الوضوء جدده هذا هو الأفضل له ليتشبه بسيدنا بلال بن رباح رضى الله عنه بشرط أن لا يكون حفاظه على الوضوء على حساب صحته وقد يكون مريضا فإنه فى هذه الحالة يعطى ثواب المداومة على الوضوء والله عز وجل قد دفع عنا الحرج فى قوله الكريم : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [(١)] والمسلم إذا أراد الاستنجاء بعد الوضوء من غير مس ذكره وذلك برش الماء على ذكره دون أن تمس اليد للذكر أما إذا تبول أو تبرز فلابد للاستنجاء قبل الوضوء ولا تكتفى بالاستنجاء ولا يتوضأ لأنه محدث ولابد للمحدث أن يتوضأ وقد يفهم البعض من الناس أنه إذا خرج منه ريح لابد له من الاستنجاء قلت لهؤلاء : أن الاستنجاء من الريح مكروه شرعا بل إنه منابذ للسنة لأنه يورث الوسواس وعلى من خرج منه ريح أن يتوضأ وليس عليه الاستنجاء لا وجوبا ولا سنة ولا استحبابا بل إنه إذا فعل ذلك يكون مرتكبا لمخالفة سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

وأرجو منكم أيها الأحبة الكرام أن تنبهوا إخوانكم لذلك وجزاكم الله خيرا .

أيها الأحباب : والآن هيا بنا لنعلم كيفية الاستنجاء حتى تتعبد وتتطهر بفقه صحيح أقول وبالله التوفيق .

١ - الاستنجاء يصح بلا نية ، ولذلك غسل الثوب من النجاسة لأن إزالة النجاسة من التروك فلا تفتقر إلى نية - كترك الزنى وشرب الخمر غير أنه لا يثاب على

---

(١) سورة الحج من الآية / ٧٨ .

ترك المعصية إلا إذا نوى الترك لله تعالى .

٢ - يجب الاستبراء قبل الاستنجاء وهو استفراغ ما فى المخرجين من الأذى وليس له حد ، وإنما يرجع إلى عوائد الناس .

٣ - ثم يبدأ بغسل يده اليسرى قبل أن يلاقى بها الأذى .

٤ - ثم يغسل القُبل (مخرج البول) قبل مخرج الغائط لئلا تتنجس يده فإن كان الغسل من البول أجزأه موضع الخروج خاصة ، أو ما تلوث منه وإن كان من مذى فعليه أن يغسل الذكر كله .

٥ - ثم يغسل الدبر ، ويوالى صب الماء ويسترخى قليلا ويعرك المحل بيده وقت الصب حتى ينقى من الأذى وتكفى غلبة الظن ولا يستنجى بيمينه فإن ذلك مكروه شرعا وذلك لشرف اليد اليمنى فإن بها المصافحة وطعامه وشرابه أما اليسرى فكان ﷺ يستعملها فى إزالة الأذى ومن ذلك الاستنجاء لكن من لم يقدر على الاستنجاء بيده اليسرى لقطعها أو لمرض فيها استناب من يجوز له مباشرة ذلك المحل كالزوجة لزوجها والزوج لزوجته وإلا توضأ وترك ذلك من غير غسل ، وذلك لأن إزالة النجاسة هى واجبة أو سنة بشرط أن يكون متذكراً لها أو قادرا على إزالتها ، وهذا الذى ذكرناه إنما هو عاجز عن إزالة نجاسته بيده اليسرى ولم يجد من يستنيبه لذلك .

وإذا كنا قد فرغنا من بيان صفة الاستنجاء فإننا نأتى إلى بيان : الاستجمار فنقول وبالله التوفيق :

١ - الاستجمار : هو انقاء المخرجين بغير الماء مما يجوز الاستجمار به .

٢ - يجوز الاستجمار مع وجود الماء وعدم وجوده .

٣ - لا يجوز الاستجمار من المنى ولا من المذى ولا إن تعدّت النجاسة المخرجين أو ما قرب منهما ولا فى الحيض والنفاس والاستحاضة بل يتعين الماء فى كل ذلك إلا إذا أمذى بغير لذة معتادة فيكفى فيه (الحجر ما لم يكن سلسا) يلازم كل يوم ولو مرة فإنه عفو وكذلك سلس البول والمنى ودم الاستحاضة إذا كان ملازما .

٤ - يجوز الاستجمار بالأحجار وما فى معناها وهو : كل جامد منقٍّ طاهر وليس

بمطعوم ولا ذى حرمة ولا فيه سرف ولا حق لغير وليس بروث ولا عظم ولا فحم للنهى عن ذلك فإن استجمر بما لا يجوز أجزأه إن أنفاه كالاستجمار بجدار مملوك لغير أو موقوف فإنه يحرم ويجزئ .

٥ - الواجب فى الاستجمار الاتقاء ولو بحجر واحد والأحسن بثلاثة فإن خرج الثالث نقيا من الأذى كفاه ذلك .

وذلك لما روى عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ أنه قال : «**إنما أنا لكم مثل الوالد فإذا ذهب أحدكم إلى الخلاء فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها بغائط ولا بول ، وليستنج بثلاثة أحجار ونهى عن الروث والرمة وأن يستنجى الرجل بيمينه**»[1] أيها الأحباب ولكن أيهما أفضل الاستنجاء أو الاستجمار؟

فنقول وبالله التوفيق الأفضل الجمع بين الاستنجاء والاستجمار وعلى المسلم أن يقدم الاستجمار ثم الاقتصار على الاستنجاء ثم الاقتصار على الاستجمار إذن فالأولى والأكمل الجمع بينهما وإلا اكتفى بالماء فإن لم يوجد الماء اكتفى بالاستجمار وهو تنقية مخرج البول ومخرج البراز بأحجار صغيرة فيأخذ من الأحجار ثلاثة فإن لم يجد فبواحدة يستجمر ركانها الثلاثة وذلك لحديث سيدنا جابر وسيدنا أبو أيوب وسيدنا أنس قالوا : نزلت هذه الآية : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾[2] فقال رسول الله ﷺ : «**يا معشر الأنصار قد أثنى الله عليكم فما طهوركم؟**» قالوا : نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ونستنجى بالماء فقال : «**هو ذلك فعليكموه**»[3] .

وإذا لم يكن الماء كافيا للغسل عند اقتضائه ، وكان كافيا للاستنجاء ، بدأ بالاستنجاء بالماء ثم أتى بالتيمم[4] .

أيها الأحباب ، وختاما لهذا الدرس الفقهى المبارك أوضح مسألة تتعلق بآداب قضاء الحاجة وهى : (هل يجوز للرجل أن يتبول قائما؟) أقول وبالله التوفيق :

---

(١) رواه الشافعى عن أبى هريرة بإسناد صحيح وهو عند أحمد وأبى داود والنسائى وابن ماجة بنحوه .

(٢) سورة التوبة آية/ ١٠٨ .

(٣) رواه ابن ماجة والدارقطنى والبيهقى . انظر مالك الدلالة صـ ١٥ .

(٤) انظر الفقه المالكى فى ثوب جديد للاستاذ محمد بشير الشقفة جـ١ صـ ١٠٨ ط دار القلم - دمشق .

إن هذه المسألة من المسائل الفقهية التى اختلف فيها أهل العلم على مذهبين :

المذهب الأول : أنه جائز مع الكراهة [١] وممن قال بذلك سادتنا عبدالله بن مسعود وعائشة والحسن وإبراهيم بن سعد وهو رواية عن سيدنا عمر وبه قال الإمامان الشافعى وأحمد .

المذهب الثانى : جواز البول من قيام بلا كراهة [٢] وممن قال بذلك سادتنا على وزيد بن ثابت وسعد بن عبادة وسهيل بن سعد وأبو هريرة وابن عمر وأنس وابن سيرين وعروة والحكم ويزيد بن الأصم . وهو رواية عن سيدنا عمر وإليه ذهب الإمامان سعيد بن المسيب ومالك بن أنس وهذا ما نرتضيه لوجوه :

١ - ما روى عن سيدنا حذيفة رضى الله عنه أنه قال : أتى النبى ﷺ وسلم سباطة قوم فبال قائما [٣] .

٢ - أن هذا الفعل روى عن عدد كبير من الصحابة والتابعين .

٣ - أن البول من قيام جعلت له اليوم أماكن فى ميضئة بعض المساجد بل أكثرها وفى بعض المدن كالإسكندرية والقاهرة وطنطا ودمنهور ورشيد وبذلك يتسنى للمسلم أن يتبول وهو قائم وهو محترز من تساقط البول عليه أثناء تبوله وبعده ، وبذلك يتبين لنا أنه لا حرج على من تبول قائما فإن ذلك جائز شرعا بلا كراهة ، على رأى من رأى ذلك وقد تبين لى أن مساجد (مصر) بصفة عامة بما فى ذلك الكثير من القرى أنهم يوجدون فى الميضئة مكانا للبول من قيام وحيث أن ذلك كذلك فإن البول من قيام لا كراهة فيه لأن الذين قالوا بالجواز مع الكراهة تخوفوا سقوط البول فى السروال فعلى المسلم الذى يود التبول وهو قائم أن يستبرئ من بوله ويأمن سقوط كل البول وبراءة ذكره من أثر البول ومن ثم يكون موافقا لكافة الآراء ولو أن إنسانا مال إلى الرأى الأول وفضل أن يتبول جالسا فله ذلك وهذه مسألة ترجع إلى حرية الشخص وارتياحه والكل

---

(١) المجموع شرح المهذب للإمام النووى جـ ٢ صـ ٨٥ والمغنى جـ١ صـ ١٥٦ .

(٢) انظر الاستذكار لشيخ الإسلام ابن عبدالبر جـ٢ صـ ٦٩ ، ٧٠ وشرح الزرقانى جـ١ صـ ١٣١ والمدونة جـ١ صـ ٢٤ .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

من رسول الله ملتمس أسأل الله عز وجل أن يسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وأن يشملنا برحمته وأن يتم علينا الفقه فى الدين بمنه وكرمه وبجاه سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآله الأطهار وصحبه الأخيار كما نسأله سبحانه أن ينفعنا بما سمعنا وأن يجعلنا من أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب وإلى أن نلقاكم غدا مع سيرة سيد الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * * * * * * * *

الدرس العشرون درس "الأربعاء"

فى سيرة سيد الأنبياء والمرسلين

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى والصلاة والسلام على سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا ومولانا محمد اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه صلاة ترضيك وترضيه بها عنا يا رب العالمين ورضى الله تبارك وتعالى عن كافة الصالحين والعلماء العاملين ومشايخنا ووالدينا وأصحاب الحقوق علينا آمين يارب العالمين .

أما بعد ،

فيا أمة الإسلام أحييكم بتحية الإسلام فى مساء يوم الأربعاء سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، ومرحبا بكم فى هذا المساء المبارك فى سيرة السيد المختار سيدنا ومولانا محمد ﷺ وفى الدرس الماضى طوفنا بحضراتكم حول إيمان أبوى النبى ﷺ بما أنهما أعلى درجة فى أهل الفطرة ثم ذكرنا بعض الأدلة التى حملت فى فحواها إيمان أبوى النبى وتطهيرهما من الشرك والأوثان وقلنا بأن الحق تبارك وتعالى قد قال على لسان الخليل إبراهيم : **﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾** (١) .

ولاشك أن سيدنا ومولانا عبدالله بن عبدالمطلب ومولاتنا وسيدتنا آمنة بنت وهب هما من أبناء سيدنا إبراهيم حيث أنهما من ذريته والليلة بمشيئة الله تبارك وتعالى نستكمل الأدلة الناصحة الواضحة والمبرزة بإيمانهما عليهما السلام ومع الدليل السادس : فعن مولاتنا السيدة عائشة رضى الله عنها أن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ نزل إلى الحَجون (والحجون هو جبل بمعلاة مكة) كئيبا حزينا فأقام به ما شاء ربه - عز وجل - ثم رجع مسرورا فقلت : يا رسول الله نزلت إلى الحجون كئيبا حزينا فأقمت به ما شاء الله ثم رجعت مسرورا ؟ فقال : «**سألت ربى عز وجل فأحيا لى أمى ، فآمنت بى ثم ردها**» (٢) .

---

(١) سورة إبراهيم من الآية /٣٥

(٢) رواه ابن شاهين وأورده الإمام السيوطى فى الفوائد الكامنة صـ ٢٨ .

الدليل السابع : عن مولاتنا السيدة عائشة رضى الله عنها أخبرت أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يُحيى أبويه فأحياهما له : فآمنا به ثم أماتهما [١] .

والله عز وجل قادر على كل شىء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شىء ونبيه ﷺ أهل أن يختص بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته .

الدليل الثامن : ما روى عن أم سماعة بنت أبى رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة أم رسول الله ﷺ فى علتها التى ماتت فيها ومحمد غلام يقع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

بارك فيك الله من غلام ::: يا بن الذى من حُرمة الحمام
نجا بعون الملك المنقام ::: فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام ::: إن صح ما أبصرت فى المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام ::: من عند ذى الجلال والإكرام
تبعث فى الحل وفى الحرام ::: تبعث فى التحقيق والإسلام
دين أبيك التبر إبراهام ::: فالله أنهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت : كل حى ميت ، وكل جديد بال ، وكل كريم يفنى ، وأنا ميتة ، وذكرى باق وقد تركت خيرا ، وولدت طهرا !!

ثم ماتت . فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاة التبَّرة الأمينة ::: ذات الجمال والعفة الرزينة
زوجة عبدالله والقرينة ::: أم نبى الله ذى السكينة
وصاحب المنبر بالمدينة ::: صارت لدى حفرتها رهينة[٢]

ولاشك أن هذا القول من أم المصطفى ﷺ صريح فى أنها موحِّدة إذ ذكرت دين

---

(١) رواه محمد بن سعد فى الطبقات الكبرى والسيوطى فى الفوائد الكامنة صـ ٣٤ .
(٢) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة والسيوطى فى الفوائد الكامنة صـ ٥٤ .

إبراهيم وبعث ابنها ﷺ بالإسلام من عند ذى الجلال والإكرام ونهته عن الأصنام وموالاتها مع الأقوام .

وهل التوحيد شيء غير هذا التوحيد ؟ الاعتراف بالله وإلهيته وأنه لا شريك له والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها ، وهذا القدر كاف فى التبرى من الكفر وثبوت صفة التوحيد فى الجاهلية قبل البعثة ، وإنما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة .

الدليل التاسع : عن سيدنا سفيان بن عُيينة أنه سئل : هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام ؟ قال : لا . ألم تسمع قوله : ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ** ﴾[1] .

الدليل العاشر: عن سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**لم يلتق أبواى قط فى سفاح لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة صافيا مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما**»[2] .

أيها المسلمون الأحبة ، تلكم هى الطائفة من الأدلة الواضحة على إيمان أبوى المصطفى وما ذكرناه من الأدلة إنه غيض من فيض وقليل من كثير نص على إيمان أبوى النور الخاتم سيدنا ومولانا محمد ﷺ . ولا سيما أن سيدنا الإمام أبو بكر بن العربى المالكى قد سئل عن رجل قال إن أبوى النبى ﷺ فى النار فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى قال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾[3] قال : ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبويه إنهما فى النار . اهـ[4]
وصدق من قال :

ومن يقل فى النار والد النبى ::: فهو لعين قاله ابن العربى
ومن يقل بالنار ربى يحرق ::: أم النبى كافر يحرق

ومما يؤيد إسلام آبائه عليه الصلاة والسلام ونجاتهم ونيلهم المراتب العلية زيادة

---

(١) رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره .
(٢) رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة .
(٣) سورة الأحزاب الآية /٥٧ .
(٤) انظر المعيار المعرب جـ١٢ صـ٢٥٨ . وانظر حاشية فتح المنعم للشيخ / محمد حبيب الله الشنقيطى جـ٢ صـ٥ .

على ما قررناه ما ذكره القسطلانى فى المواهب قال: لما توفى آدم كان شيث عليهما الصلاة والسلام وصيا على ولده ثم أوصى شيث بوصية آدم أن لا يوضع هذا النور إلا فى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن إلى قرن إلى أن أدى الله النور إلى عبدالمطلب وولده عبدالله وطهر هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية اهـ[1].

وبعد هذا البيان الطيب والذى عرفنا منه إيمان أبويه ﷺ بل إنهما على درجة عالية من الإيمان نأتى بعد ذلك إلى بيان النسب الشريف:

فهو سيدنا ومولانا محمد ابن سيدنا عبدالله ابن سيدنا عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2] هذا هو نسبه الشريف من جهة أبيه أما من جهة أمه فهو سيدنا ومولانا محمد بن سيدتنا ومولاتنا السيدة آمنة عليها السلام بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركه بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان الذى ينتهى نسبه إلى سيدنا إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم عليه السلام.

أحباب المصطفى: وقد صدق العارف بالله سيدى صالح الجعفرى خطيب الجامع الأزهر الشريف الأسبق رضى الله عنه حيث قال: ومن أجله ﷺ حفظ الله تعالى - نسبه من السفاح والشرك والوثنية من سيدنا آدم عليه السلام إلى جده عبدالمطلب وأبيه عبدالله.

أيها المؤمنون الأحبة ، وبعد ما عرفنا النسب الشريف يجدر بنا أن نقف بحضراتكم وقفة المتأمل فى زواج سيدنا عبدالله بالسيدة آمنة عليهما السلام وقصة زواجهما ، نبدأ بما حكاه سيدنا عبدالمطلب جد المصطفى ﷺ حيث قال رضى الله عنه: (قدمت اليمن

---

(١) انظر حاشية فتح المنعم جـ ٢ صـ٥ .

(٢) انظر السيرة الشامية جـ١ صـ ٣٢٨ وانظر الروض الأنف جـ١ صـ٨ والوفاء لابن الجوزى جـ١ صـ٧٤ وانظر هدى النيرين فى سيرة سيد الكونين جـ١ صـ١٢٠ .

فى رحلة الشتاء فنزلت على حبر اليهود فقال رجل من أهل الديور - يعنى أهل الكتاب: من الرجل ؟

قلت: من قريش ، قال: من أيهم ؟ قلت: من بنى هاشم قال: يا عبدالمطلب أتأذن لى أن أنظر إلى بعضك ؟ قال: نعم ما لم يكن عورة قال: ففتح إحدى منخرى ثم فتح الآخر فقال: أشهد أن فى إحدى يديك ملكا وفى الآخر نبوة !!

وإنا نجد ذلك فى بنى زهرة فكيف ذلك ؟ قلت: لا أدرى . قال: هل لك من شاعة؟ قلت: وما الشاعة ؟ قال: الزوجة .

قلت: أما اليوم ، فلا . قال: فإذا رجعت فتزوج فيهم . فرجع عبدالمطلب إلى مكة فتزوج بهالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة . فولدت له حمزة وصفية) وتزوج عبدالله بن عبدالمطلب آمنة بنت وهب فولدت له رسول الله ﷺ ووهب ووهيب أخوان فقالت قريش حين تزوج عبدالله: فلج (أى فاز) عبدالله على أبيه [1] ، وعن يزيد بن شهاب الزهرى أنه قال: (كان عبدالله بن عبدالمطلب أحسن رجل رئى قط ، خرج يوما على نساء قريش مجتمعات فقالت امرأة منهن: أيكن يتزوج بهذا الفتى فتصطب النور الذى بين عينيه ، فإنى أرى بين عينيه نورا فتزوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فحملت بمحمد ﷺ [2] .

أيها الأحباب: إن النور أوشك على الظهور قد سبقته البشريات فى كتب الله السابقة ولاحت دلائله وأعلامه لدى أهل الكتاب من جانب ، ولدى أهل الفراسة والشفافية والجلاء البصرى من جانب آخر . فاستشرقت القبائل لتقلد هذا الشرف الذى لا يطاول كما اشرأبت له أعناق أهل الكتاب فود اليهود الظفر بأمنية أن يكون منهم رسول الله الخاتم . ولكن سبقت كلمة الله أن يحمل هذا النور بنو إسماعيل عليه السلام بدعوته مع أبيه الخليل على نبينا وعليهما السلام - ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ [3] .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة جـ١ صـ٣٨ .
(٢) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم جـ١ صـ ٤٠ .
(٣) سورة البقرة / الآية / ١٢٩ .

أيها الأحباب - تلكم هى بعض الآثار المبينة لزواج سيدنا عبدالله بالسيدة آمنة . ذلك الزواج المبارك الذى فاح مسكا وبركة على البشرية بل على الخلق أجمعين . ذلكم الزواج المبارك الذى انبثق منه نور الهداية ورحمة للخلق قاطبة إنه النور الذى قال له ربه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وبهذا القدر من السيرة العطرة نكتفى الليلة ونحن على وعد بلقاء فى مثل هذه الليلة من الأسبوع القادم بمشيئة الله تعالى لنستكمل السيرة العطرة وفقنى الله وإياكم وإلى الملتقى إن شاء الله رب العالمين .

* * * * * * * * *

---

(١) سورة الأنبياء الآية /١٠٧

الدرس الحادى والعشرون درس "السبت"

فى الأحوال الشخصية وأحكام الأسرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاما على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ورضى الله تبارك وتعالى عن التابعين وتابعيهم وكافة الصالحين والعلماء والعاملين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،

فيا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ، عود على بدء مع الزواج الإسلامى السعيد ومع أحكام الأسرة فى ظل الكتاب والسنة وفقه السادة الأئمة .

انتهى الحديث مع حضراتكم حول مستحبات النكاح ولم نستكمل الحديث بعد وأرجأنا الحديث عن الخطبة فى هذا اللقاء ، فصلوا على النبى ﷺ تفلحوا .

وهيا بنا مع الحديث الشيق عن الخطبة وأحكامها .

أيها المؤمنون ، يقول الإمام النووى [١] الشافعى (للنكاح خطبتان مسنونتان وهو قول الجمهور إحداهما : تتقدم العقد ، والثانية تتخلله . . وقال قبله : ويحصل الاستحباب سواء خطب الولى أو الزوج أو أجنبى . اهـ ، وقال السادة الحنابلة [٢] إنما هى خُطبة واحدة والمستحب خطبة واحدة يخطبها الولى أو الزوج أو غيرهما . . والمنقول عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وعن السلف خُطبة واحدة وهو أولى ما اتبع وقال قبله : كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى إذا حضر عقد نكاح فلم يخطب فيه بخطبة عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قام وتركهم وهذا كان من أبى عبدالله يعنى الإمام أحمد من المبالغة فى استحبابها لا على الإيجاب .

وقال ابن قدامة : وقد روى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه كان إذا دُعى ليزوج قال : لا تعصفوا علينا الناس الحمد لله وصلى الله على محمد إن فلانا يخطب إليكم ،

---

(١) انظر روضة الطالبين جـ٧ صـ ٣٥ .

(٢) انظر المغنى لابن قدامة الحنبلى جـ٦ صـ ٥٣٦ ، ٥٣٧ .

فإن أنكحتموه فالحمد لله وإن رددتموه فسبحان الله .

وقد روى أن سيدنا بلال رضى الله تعالى عنه أن انطلق يخطب امرأة وأخوه معه . فلما أتاهم حمد الله تعالى وأثنى عليه . ثم قال أنا بلال ، وهذا أخى ونحن رجلان من الحبشة كنا ضالين فهدانا الله ومملوكين فأعتقنا الله تعالى فإن أنكحتمونا فالحمد لله وإن رددتمونا فسبحان الله (١) .

سادسا : ومن مستحبات النكاح : الإشهاد على النكاح (٢) .

وذلك عند العقد غير الولى الذى له ولاية العقد سواء تولى العقد بنفسه أو تولاه وكيله بإذنه أو تولاه ولى أقرب وكان الأبعد الذى له ولاية النكاح موجودا فشهادة الكل عدم .

ويشترط فى الشاهدين أن يكونا عدلين غير فاسقين ولا مستورين فغير العدلين شهادتهما عدم إلا إذا فقد العدول فتكفى شهادة اثنين مستورين ويستكثر من الشهود ما أمكنه .

وإنما يستحب الإشهاد عند العقد خروجا من خلاف العلماء . لأن جمهور الفقهاء شرطوا لصحة العقد الإشهاد عليه عند الانعقاد ، والسادة المالكية يرون أن العقد يقع صحيحا فى نفسه وإن لم يحصل الإشهاد عليه حال العقد كالبيع ولكن صحته لا تتقرر ولا تترتب ثمرته عليه من حل التمتع إلا بحصول الإشهاد قبل الدخول ، فالإشهاد ليس شرطا فى صحة العقد بل هو واجب مستقل . فلو عقدا فيما بينهما سرًّا ثم أخبرا به قبل الدخول عدلين كأن قالا لهما : قد حصل منا العقد لفلان على فلانة أو أخبر ولى الزوجة عدلين وأخبر الزوج عدلين غيرهما جاز ، وتقررت صحة العقد وجاز الدخول .

- وأما إذا أخبر الولى عدلاً والزوج عدلا آخر فلا يصح لأنهما حينئذ بمنزلة الواحد وسوف نبين ذلك فى درس قادم إن شاء الله من دروس الأسرة ، وحاصل مسألة الإشهاد عند النكاح : أن أصل الإشهاد واجب وإحضار الشهود عند العقد

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه جـ٦ صـ ١٨٩ رقم (١٠٤٥٤)

(٢) انظر الشرح الصغير لسيدى أحمد الدردير جـ٢ صـ ٣٣٩ وانظر جواهر الإكليل للشيخ صالح عبدالسميع جـ ١ صـ ٢٧٥ وانظر حاشية سيدى محمد عرفة الدسوقى جـ٢ صـ ٢١٦ .

مستحب فإن حصل الإشهاد عند العقد فقد وجد الأمران الوجوب والاستحباب وإن فقد الإشهاد وقت العقد ووجد عند الدخول فقد حصل الواجب وفات المستحب وإن لم يوجد إشهاد عند الدخول فقد حصل الواجب والعقد صحيح إن شاء الله تعالى .

يقول الإمام النووى رضى الله عنه [١] : يستحب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين ، وأن ينوى بالنكاح المقاصد الشرعية كإقامة السنة وصيانة دينه ، وغيرهما .

سابعا : كتابة عقد النكاح [٢] يستحب كتابة عقد النكاح ولا يشترط كتابة الصداق وإنما يكتب العقد كما هو شأن سائر العقود والوثائق ؛ توثيقا للحقوق وحفظا لها من الضياع ورفعا للنزاع وخصوصا فى عقد النكاح لما يترتب عليه من الأحكام الشرعية الكثيرة والخطيرة فيجب الاهتمام بتسجيله كى يرجع إليه ويعمل بموجبه .

ولكن يستحب ذكر الصداق عند العقد والإشهاد عليه لما فى ذلك من اطمئنان النفس ودفع توهم الاختلاف فى المستقبل ويستحب حلول الصداق كله بلا تأجيل لبعضه وإن لم يقبض كله .

كما يجب على المأذون الشرعى الذى يتولى العقد بين الطرفين أن يسألهما بقوله : هل يوجد شرط أو اتفاق غير الصداق ؟ ليذكر ويكتب فى وثيقة العقد بعد تمام العقد بشهادة الشهود .

وينبه الشهود والمتعاقدان على توقيع إمضاءاتهم فى العقد .

كما يشترط فى كاتب الوثائق سبعة شروط وهى [٣] : أن يكون عدلا - متكلما - سميعا - بصيرا - عالما بفقه الوثائق - عارفا بنصوصها - سالما من اللحن الذى يغير المعنى .

تلكم هى الشروط المطلوبة فى المأذون الشرعى الذى يتولى عقود الزواج وليس

---

(١) انظر روضة الطالبين جـ٤ صـ٣٦ .

(٢) انظر قوانين الأحكام الشرعية لابن جزى صـ ٢١٨ وملخص الأحكام الشرعية - لمحمد محمد بن عامر صـ ١٨٠ .

(٣) انظر الفقه المالكى فى ثوبه الجديد جـ ٣ صـ ٧٨ .

منها أن يقول أثناء صيغة العقد وعلى مذهب الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان إنها كلمة لا تقلل من عقد الزواج ولا تزيد من شأنه بل إنها كلمة دخيلة على العقد كان زمانها يوم أن كانت الدولة تأخذ أحكام الأسرة والأحوال الشخصية على مذهب سيدنا الإمام أبى حنيفة ، أما اليوم فقد صارت أحكام الأسرة مأخوذة من أراء الأئمة الأربعة فمثلا نجدهم فى الرضاع يأخذون برأى السادة الشافعية ، وفى رد الهدايا عند انفساخ الخطبة يأخذون بأحد قولى المذهب المالكى بل إنهم أحيانا يتركون رأى الأئمة الأربعة ويأخذون بآراء ابن تيمية رغم هجوم علماء عصره له من أجل تلك الآراء ورغم الهجوم على ابن تيمية من علماء الفقه على المذاهب الأربعة بسبب تلك الآراء التى أفتى بها ابن تيمية ومع ذلك فقانون الأحوال الشخصية الآن يأخذ بها ويفتى . فكيف إذن تحمل الناس على قول تلك الكلمة حتى أن البعض منهم أى من العامة فهم أنه يتزوج على هذا المذهب وخطأ ذلك يرجع إلى الجهلة ممن يعملون بوظيفة المأذونية : إن هذه الكلمة أيها المؤمنون بدعة دخيلة على عقد الزواج ماأنزل الله بها من سلطان ، فعلى كل مأذون أن يكتفى بقول على كتاب الله وسنة رسوله وإن شاء قال وعلى مذهب الأئمة وإلا اكتفى بالكتاب والسنة ، ولا داعى أبدا للتحجر وصلابة الرأى بغير علم وبلا حق شرعى حفظ الله الجميع إلى الالتزام بالكتاب والسنة وبكلام الأئمة والعلماء العاملين وقد استجاب لى بعض المأذونين وامتثل جزاه الله خيرا .

والبعض الآخر صمم على جهله غفر الله لنا وله . هذا ، وهناك بعض البدع أحب أن ألفت إليها الأنظار لأن البعض منها يقع من المأذون أيضا وهو قوله أثناء عقد الزواج أما بعد ، فإنى استخرت الله تعالى الذى لا خاب من استخاره إلى آخر الصيغة التى تسمعونها من بعضهم .

إنى سائلكم سؤالا متى استخار المأذون ربه لإجراء هذا العقد ؟ ومتى استخار وكيل الزوج أو الزوجة ربه فى هذا الزواج؟ إن كان وكيل الزوج أو وكيل الزوجة أو الزوجان استخاروا ربهم صادفت تلك الكلمة أهلا ومحلا وإلا فإنما هى كما قال الله : ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾ نعم إن من السنة صلاة الاستخارة عند اختيار أحد الزوجين صاحبه ، والكثير لا يصلى استخارة والبعض يصلى ، وأنت أيها المأذون عندما تحملهم على قول تلك العبارة وهم لم يستخيروا فوزرهم على عاتقك أنت ولسوف

تسأل عن تلك الأكذوبة أمام الله عز وجل إذا لم يستخيروا الله ، وأذكرهم جميعا قول الله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١) .

كما أذكرهم قوله سبحانه : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (٢) اللهم إنى قد بلغت اللهم فاشهد .

والصيغة الصحيحة أن تلقن الزوج أو وكيله وكذا وكيل الزوجة أن يقول : [إنى توكلت على الله وزوجتك أو زوجت موكلك فلان موكلتك فلانة البكر البالغ الرشيد على كتاب الله وسنة رسوله وعلى مذهب الأئمة وعلى الصداق المسمى بيننا وأشهد الله على ذلك والله خير الشاهدين] .

ويرد الوكيل الآخر عليه بالقبول بقوله : (قبلت زواجك من موكلتك إلى موكلى على كتاب الله - إلى آخر الصيغة سالفة الذكر والله الموفق .

أيها المؤمنون ، ومن البدع المذمومة : وضع فوطة على يد الوكيلين أو وكيل الزوجة والزوج فهذا كله خطأ بعيد كل البعد عن الشرع الحكيم فالواجب أن نقلع عن ذلك إذ لا فائدة من وضعها ولا طائل من ورائها والوحيد المستفيد من وضعها هو السيد المأذون ولا سيما لو كانت جديدة فإنه يقوم بطيها ووضعها فى حقيبته مع القدر الذى يأخذه من الحلوى والسجاير ، فاتقوا الله واجتنبوا ذلك .

ومن البدع أيضا : عقد القران فى المسجد بالطريقة المعروفة التى نراها الآن فإن المسجد يمتلئ بالناس والكثير منهم لا يصلى وما دخل المسجد إلا للمجاملة أو لحصوله على كم من السجاير والحلوى أو زجاجة من المشروبات ثم يحدث ضجيج فى المسجد بأصوات الفسقة والسفلة من أولئك الناس الذين لم يعرفوا للمسجد حرمته ولا قدسيته ناهيك عن رمى أوراق الحلوى وغطاء زجاجة الكاكولا بل ربما أشعلت نيران السيجارة فى المسجد ومن المؤسف المبكى المخزى المحزن أن بعض الأزاهرة ومنهم أئمة مساجد والوعاظ ومدرسين بالمعاهد الأزهرية يحضرون هذه المحافل ولم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يسيطروا

---

(١) سورة ق الآية /١٨ .

(٢) سورة الإسراء الآية /١٣ ، ١٤ .

على تلك الجماهير الغفيرة التى امتلأ المسجد بها . فالشيخ يتكلم وقارئ القرآن يتلوا القرآن والكل مشغول مع نفسه وليس هناك من سامع ولا متدبر وبذلك نكون قد أهنا القرآن والعلم ولم ندع للمسجد حرمته ولا قدسيته وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد يرد البعض ما قلناه بحجة ما روى عن مولاتنا وأمنا السيدة عائشة رضى الله عنها أنه ﷺ قال : «**أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف**» [١] وهذا الحديث فيه أى فى سنده عيسى بن ميمون الأنصارى وهو ضعيف وعلى فرض صحة الحديث فإن المطلوب على سبيل الاستحباب إجراء صيغة عقد النكاح فى المسجد بلا رفع صوت ولا ذكر شروط [٢] وإلا كان حراما إذا كان بالصيغة والكيفية التى نشاهدها الآن ، والحرمة لا لذات العقد فى المسجد وإنما كانت الحرمة لما أدت إليه من إهانة لقدسية المسجد والانصراف عن سماع القرآن والعلم كنت أود أن تكون هذه المناسبة فرصة طيبة لمعرفة أحكام الزواج ولكن هيهات هيهات وأهيب بإخوانى الأزهرية ومنهم أئمة المساجد الفضلاء المخلصين لدينهم ولعلمهم ووطنهم أهيب بهم جزاهم الله خيرا إن كانوا يودون إحياء هذه السنة أن يحاربوا تلك الفوضى ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا بمنع الحلوى والمشروبات والسجاير داخل المسجد إنما يكون المسجد قاصر على سماع ما تيسر من القرآن وبعض الدروس القصيرة تخفيفا على الناس والخطبة وصيغة العقد ثم ندعوا لهما كما سيأتى إن شاء الله فى درس لاحق ثم نخرج لنستكمل بقية مراسم الحفل عند بيت الزوج أو الزوجة إن استطعنا ذلك ، وإلا دخل الخاصة من أهل الزوج والزوجة ومعهم المأذون الشرعى والأولياء لكل من الزوج والزوجة لإجراء صيغة العقد تبركا بالمسجد ثم يخرجوا هذا هو اللائق بنا . اللهم إنى قد بلغت اللهم فاشهد .

أيها الأحباب نعود بحضراتكم إلى الحديث حول مستحبات النكاح فنقول وبالله التوفيق .

ثامنا : من مستحبات النكاح : التهنئة للزوجين عند العقد وعند الدخول .

---

(١) رواه الترمذى فى جامعه وقال غريب .

(٢) انظر تحفة الأحوزى جا صـ١٧ وفتح البارى جـ١٣ صـ١٢٥ وانظر كشاف القناع جـ١ صـ٥٤٢ وانظر إعلام الساجد بأحكام المساجد صـ٣٦٠ وانظر الدين الخالص جـ٣ صـ٣٢١ .

ومعنى التهنئة : هى المباركة للشخص بخير أصابه - خلاف التعزية وهى مواجهة من أصابه خير بالسرور مع الدعاء له بالاستمتاع بهذا الخير ويقال فى التهنئة مثلا سرنا ما فعلتم ونحو ذلك من الكلام الطيب الجميل ومن المعلوم أن التهنئة مستحبة باتفاق المذاهب الأربعة .

تاسعا : كذلك من مستحبات النكاح الدعاء للعروسين وأولى ما يدعى به ما أثر عن النبى ﷺ أنه كان إذا رفأ الإنسان إذا تزوج قال : **«بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى الخير»** [(١)] ومعنى رفأه : هنأه ودعا له وكان من عادتهم أن يقولوا : بالرفاء والبنين .

وقد اختلف أهل العلم فى حكم عبارة بالرفاء والبنين فكرهها البعض ومنهم الإمام النووى من الشافعية [(٢)] والسادة المالكية [(٣)] فيصرحوا بإباحة قولها وذلك من غير كراهة وإليه أميل وأفتى إن شاء الله تعالى .

أيها الأحباب ، وللمسلم أن يدعو للزوجين بما يفتح الله عليه به ولا حرج فى ذلك إن شاء الله تعالى .

إخوانى فى الله وأحبابى فى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ كانت هذه وقفات طيبة حول ما يستحب فى النكاح ولا يزال الحديث موصولا معكم وبكم حول بقية تلك المستحبات ، وذلك فى الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى ، وعلينا أن نعمل بما سمعنا وأن نبلغهم لأصدقائنا وأصحابنا وهذا أفضل بكثير من الخوض فى الباطل وإذا كان إبلاغ ذلك لأصدقائنا وأصحابنا مطلوب كان الأجدر بطلبه الزوجة والأهل لينتفعوا به إن شاء الله تعالى أسأل الله عز وجل أن يوفقنا إلى طاعته ومرضاته وأن يجعلنى وإياكم من أولئك الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم وأولئك هم أولوا الألباب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والله أعلم .

* * * * * * * * *

---

(١) رواه الترمذى فى النكاح باب ما يقال للمتزوج رقم (١٠٩١) جـ٣ صـ ٤٠٠ وقال : حديث حسن صحيح ورواه أبو داود جـ٢ صـ ٥٩٨ رقم (٢١٣٠) ورواه ابن ماجة .

(٢) انظر الأذكار للإمام النووى صـ ٣٦٠ .

(٣) وانظر مواهب الجليل (لشيخ الإسلام سيدى الحطاب جـ ٥ صـ ٢٧) .

الدرس الثانى والعشرون درس "الأحد"
فى تفسير القرآن الكريم مع سورة البقرة فى بدء الخلق

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الأول بلا بداية الآخر بلا نهاية والصلاة والسلام على أول خلق الله وخاتم رسل الله سيدنا ومولانا محمد الرحمة المهداة للعالمين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الهداة الأخيار أما بعد :

فيا أيها المؤمنون الأحبة : سلام الله عليكم ورحمته تعالى وبركاته ومرحبا بكم فى لقائكم المتجدد حول تفسير الكتاب العزيز ، ومع الزهراء النيرة مع سورة البقرة المباركة أحد الزهراوين ولقد تضمنت تلك السورة الكريمة لعدة مقاصد من أبرزها : تعرضها لنشأة الخلق وخلق الإنسان ، نعم وهذا هو لقاؤنا الليلة مع نشأة الخلق وفى رحاب قوله تعالى جل ثناؤه .

بسم الله الرحمن الرحم : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

مناسبة الآية الكريمة لما قبلها

أيها الأحباب من المعلوم أن الآيات القرآنية متصلة ببعضها اتصالا وثيقا ومن ثم فإننا نعرض الآن للصلة التى بين هذه الآية والتى قبلها وأرى لزاما على أن أبرز المناسبة لتلك الصلة الطيبة بين الآيتين نعم أيها الأحباب :

فبعد أن ذكر المولى سبحانه وتعالى صفات الفاسقين وموقف الكفار من القرآن ، وجه الخطاب إلى الكفار فى هذه الآية بذكر البراهين الداعية إلى الإيمان . وهى النعم الدالة على قدرته تعالى من مبدأ الخلق إلى منتهاه من إحيائهم بعد الإماتة وذلك فى قوله فى الآية السابقة : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) ثم خلق الخيرات المكنونة فى الأرض ليتمتعوا بجميع ما فى ظاهرها وباطنها وخلق سبع سماوات مزينة بمصابيح لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر

---

(١) سورة البقرة الآية / ٢٩ .

(٢) سورة البقرة الآية / ٢٨ .

أفبعد هذا كله يكفرون بمحمد وبرسالته ﷺ ؟

التفسير والبيان

أيها المؤمنون : وبعد ما علمنا المناسبة بين الآيتين الكريمتين نأتى بفضل الله تعالى إلى الآية الكريمة لنطوف حول بساتينها وننهل من معينها ومع تفسير وبيان لهذه الآية والله المستعان .

أيها الأحباب : إن الله تعالى ذكر برهانا على البعث وعلى توجيه النفوس نحو الإيمان فأبان أنه خلق لكم الأرض وما فيها لتنتفعوا بكل ما فيها وتعتبروا بأن الله هو الخالق الرازق فيكون الانتفاع إما ماديا بالاستفادة من الموجودات العينية فى حال المعيشة ، وإما معنويا بالنظر والاعتبار فيما لا سلطة لأيديكم عليه ، ويتم فى الحالتين غذاء الأجساد والأرواح ، ومكّن الله تعالى للإنسان الحياة فى الأرض بإظلاله بالسقف المحفوظ وهو السماوات السبع التى رفعها بقدرته وسواها محكمة البناء وأوجدها بحكمته وأودع فيها بدائع الكواكب والنجوم لإنارة الأرض فى الليل ، وعلم سبحانه وحده حقيقتها وروائع ما فيها والله عالم بكل ما خلق فى الأرض وفى السماء . وذلك كله دليل القدرة الباهرة الدالة على وجود الإله الخالق وهو وحده القادر على إعادة الخلق والحياة . فهل بعد هذا يسوغ الكفر أو الإلحاد وإنكار وجود الله؟

أيها المؤمنون : إن قوله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً . . . ﴾ الآية نبهت على القدرة الإلهية المهيئة للأرض من أجل نفع الإنسان وتحقيق مصلحته ورعاية حاجة الخلق وعاتب الله تعالى الكفار على جهالتهم بما فى الأرض وتصريف المخلوقات[1] كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ❁ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾[2] .

فالمراد بالآية الاعتبار والاتعاظ بدليل ما قبلها وما بعدها من الإحياء والإماتة والخلق والاستواء إلى السماء وتسويتهن .

---

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربى جـ ١ صـ ١٤ ، وتفسير الرازى جـ ٢ صـ ١٥٤ وتفسير القرطبى جـ١ صـ ٢٥٥ وما بعدها وتفسير ابن كثير جـ ١ صـ ٦٨ .

(٢) سورة فصلت / الآيتان ٩ ، ١٠ .

ولكن وإن كان الهدف الأصلى من إيراد الآية هو ما ذكر ، فقد استدل بها علماء الأصول أيضا على أن الأصل فى الأشياء الإباحة حتى يأتى دليل الحظر [١] أى أن الأصل إباحة الانتفاع بكل ما خلق فى الأرض حتى يأتى دليل المنع . فليس لمخلوق حق فى تحريم شىء أباحه الله إلا بإذنه كما قال سبحانه : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ** ﴾ [٢] ويقول جل شأنه : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [٣] .

ومن هنا أيها المؤمنون : نعلم أنه لا يجوز لأحد أن يُحرم ويحلل بدون دليل قطعى من كتاب أو سنة كما نرى فى عصرنا هذا من يحرمون المصافحة بعد الصلاة ويحرمون كلمة حرما عقيب الصلاة أيضا وكلمة زمزم عقيب الوضوء وقيام الجالس للقادم وغير ذلك من الأمور التى حرموها بلا دليل بحجة أنها بدعة لم ترد وهؤلاء جميعا على خطأ شديد وخطر عظيم فإن القرآن العظيم لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا بينها وجلاها وصدق الجليل إذ يقول : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [٤] .

ومن ثم فإننا نعلم بكل وضوح أن الأصل فى الأشياء الإباحة ما لم يرد أمر وما لم يرد نهى ولنعلم أيضا أن الأمر إما أن يكون للوجوب كقوله تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [٥] . وإما أن يكون للسنية : كقوله تعالى : ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ [٦] . كما أن النهى إما أن يكون للتحريم كقوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلاً** ﴾ [٧] أو يكون النهى للكراهة كقول النبى ﷺ : «**لا صلاة بعد الفجر إلا سجدتين**» [٨] .

---

(١) انظر تفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلى جـ١ صـ ١٢٠ وانظر الجامع لأحكام القرآن الكريم لسيدنا الإمام القرطبى جـ١ صـ ٢٥١ .

(٢) سورة يونس الآية ٥٩ .

(٣) سورة الأعراف الآية / ٣٢ .

(٤) سورة الحشر من الآية / ٧ .

(٥) سورة البقرة من الآية / ٤٣ .

(٦) سورة الكوثر الآية / ٢ .

(٧) سورة النساء الآية / ٢٢ .

(٨) رواه الترمذى وأبو داود والدارقطنى .

أما إذالم يرد أمرا ولا نهيا فإن الأمر يرجع إلى أصله وهو الإباحة أما الجرأة على القول بالتحريم بدون دليل قطعى فإنه افتراء على الله ونعوذ بالله من الافتراء عليه وعلى رسوله وعلى الأئمة الأعلام .

أيها الأحباب : اعلموا جميعا أن علمه سبحانه وتعالى واسع شامل لكل ما خلق ، وهو خالق كل شيء فوجب أن يكون عالما بكل شيء ولا يكون هذا النظام المحكم في السماوات والأرض إلا من لدن حكيم عليم بما خلق ، فلا عجب أن يرسل رسولا مؤيدا بكتاب لهداية الناس يضرب فيه الأمثال بما شاء من مخلوقاته عظم أو صغر . وآية : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى ﴾ وآية : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [1] من مشكلات التفسير ، وللعلماء ثلاثة آراء فيها [2] :

الرأى الأول لكثير من الأئمة : نقرؤها ونؤمن بها ولا نفسرها روى عن سيدنا ومولانا الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة وشيخ فقهاء الحجاز ومفتى مدينة المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه أن رجلا سأله عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ .

فقال الإمام مالك رضى الله عنه : [الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأراك رجل سوء] .

الرأى الثانى للمشبهة . نقرؤها ونفسرها على ما يحتمله ظاهر اللغة وهو أن الاستواء : الارتفاع والعلو على الشيء أو الانتصاب .

وهذا باطل ؛ لأن ذلك من صفات الأجسام ، والله تعالى منزه عن ذلك .

الرأى الثالث لبعض العلماء : نقرؤها ونتأولها ونحيل حملها على ظاهرها فقيل : المعنى استوى كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ::: من غير سيف ودم مهراق

أيها الأحباب ، وبعد بيان لما فى المسألة من آراء فإننا نميل إلى الرأى الأول فإنه الأليق بذات الله سبحانه وتعالى وليس هناك أجمل من جواب إمام دار الهجرة سيدنا

---

(١) سورة طه من الآية / ٥ .

(٢) انظر تفسير الطبرى جـ١ صـ١٤٩ وما بعدها ، وتفسير القرطبى جـ١ صـ ٢٥٤ وما بعدها .

مولانا الإمام مالك رضى الله عنه ونفعنا به .

أيها الأحباب ، ونمضى مع تفسير الآية القرآنية وبيانها فنقول :

وقد دل القرآن فى هذه الآية الكريمة وأمثالها على وجود سبع سماوات وسبع أرضين كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ (١) يعنى : أن السماوات بعضها فوق بعض وأن الأرضين بعها تحت بعض ولكن لم يرد خبر فى السنة يوضح حقيقة السماوات والأرضين ، فلا فائدة فى بحث طبيعة السماء ، وما علينا إلا أن نؤمن بظاهر القرآن فى هذا تعداد ونستدل به على عظمة الخالق الذى رفع السماء وبسط الأرض وقد أورد الرازى فى تفسيره نظريات الفلكيين أو أهل الهيئة التى يفهم منها أن السبع السماوات هى الكواكب السيارة (٢) غير أن العلم الحديث اكتشف وجود كواكب سيارة أخرى مثل نبتون وبلوتو وأورانس غير المعروفة قديما وهى القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل أيها الأحباب .

إن ما ذكرناه فى هذه الليلة من مظاهر قدرة الله تعالى فى نشأة الخلق إنه لغيض من فيض وقليل من كثير من فيض جود الله عز وجل فهو سبحانه القادر المطلق والذى تعددت نعماؤه فهو الخالق البديع المبدع الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

أيها الأحباب : تلكم هى لمحات وقفنا معها الليلة فى رحاب تلك الآية الكريمة وإنى لأسأل الله عز وجل أن ينفعنا بالقرآن إنه ربى جواد كريم ويوم الأحد القادم نلتقى بفضل الله تبارك وتعالى مع استخلاف الإنسان فى الأرض وتعليمه اللغات ، فإلى أن يجمعنا الجامع نستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم إنه ربى نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير .

وصلى اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والله تعالى أعلى وأعلم .

* * * * * * * *

---

(١) سورة الطلاق من الآية / ١٢ .

(٢) تفسير الرازى ج١ ص ١٥٦ .

الدرس الثالث والعشرون درس "الاثنين"

فى الحديث الشريف

تابع الدرس الثالث حول الحديث الأول من دروسنا فى هذا الكتاب ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . أما بعد :

فيا أيها المؤمنون ، سلام الله عليكم ورحمته تعالى وبركاته منذ أسابيع مضت وفى الدرس الثالث كنت قد وعدتكم باستكمال شرح الحديث الأول والذى قال فيه مولانا رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا**» وقد وقفنا عند قوله ﷺ : «**ولا يبع بعضكم على بيع بعض**» وها أنذا أشرع فى المقصود فأقول بعد ما تصلوا على النبى المعصوم .

فقد ورد فى السنة الشريفة النهى على بيع المسلم على بيع أخيه فمن ذلك ما روى عن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لا يبع المؤمن على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه**» (١) .

وفى رواية لا يسم المسلم على سوم أخيه ولا يخطب على خطبته (٢) وعن سيدنا عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا يبع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له**» (٣) . أيها الأحباب ، واعلموا جميعا بارك الله فيكم أن النهى فى هذه الأحاديث إنما هو للتحريم فيحرم على الشخص أن يشترى شيئا قد سبق بيعه لشخص آخر كما يحرم عليه أن يخطب إنسانة أثناء خطبتها لإنسان آخر وسوف نعرض الآن لكلام الفقهاء فى المسألة . فقد اختلفوا فى صحة البيع إذا كان على بيع الغير .

قال أبو حنيفة والشافعى وأكثر الحنابلة: يصح البيع . وقال الإمام مالك فى النكاح إنه إن لم يدخل بها فرق بينهما ، وإن دخل بها لا يفرق وقال أبو بكر من

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخارى .

الحنابلة فى البيع والنكاح إنه باطل على كل حال وحكاه عن الإمام أحمد .

ومعنى البيع على بيع أخيه : أن يكون قد باع منه شيئا فيبذل للمشترى سلعته ليشتريها ويفسخ بيع الأول ولكن هل يختص ذلك بما إذا كان البذل فى مدة الخيار بحيث يمكن المشترى من الفسخ فيه أم هو عام فى مدة الخيار وبعدها ؟ قال العلامة ابن رجب الحنبلى فى جامعه : (فيه اختلاف بين العلماء وقد حكاه الإمام أحمد فى رواية حرب ومال إلى القول بأنه عام فى الحالين وهو قول طائفة من الحنابلة) .

ومنهم من خصه بما إذا كان فى مدة الخيار ، وهو ظاهر كلام أحمد فى رواية ابن مشيقص ومنصوص الشافعى والأول الأظهر لأن المشترى وإن لم يتمكن من الفسخ بنفسه بعد انقضاء مدة الخيار فإنه إذا رغب فى رد السلعة الأولى على بائعها فإنه يتسبب فى ردها عليه بأنواع من الطرق المستفيضة لضرره ، ولو بإلحاح عليه فى المسأله وما أدى إلى ضرر المسلم كان محرما [1] . قوله ﷺ: «**ولا تباغضوا ولا تدابروا**» اعلموا هدانى الله وإياكم أن الحب فى الله ميزة الأتقياء والبغض فى الله كذلك الذين خلصت نفوسهم من الاعتبارات الشخصية وسمت أرواحهم من الموازين الأرضية والحب فى الله والبغض فى الله غير داخل فى هذا النهى النبوى ولكن ينبغى التنبيه على أن البغض فى الله منبثق عن امتثال أمر الله واجتناب نواهيه ومن ثم فبغض الإنسان لرجل ظهر منه شر - وهو فيه معذور - هو عينه البغض فى الله المأجور عنه ولهذا فى الأثر دليل حيث قال عمر رضى الله عنه : [إنا كنا نعرفكم إذ رسول الله بين أظهرنا وإذ ينزل الوحى وإنما نعرفكم بما نخبركم إلا من أظهر منكم لنا خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه ومن أظهر منكم شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه ، سرائركم بينكم وبين ربكم .

وقال الربيع بن خيثم : لو رأيت رجلا يظهر خيرا ويسر شرا أحببته عليه أجرك الله على حبك الخير ولو رأيت رجلا يظهر شرا ويسر خيرا أبغضته عليه أجرك الله على بغضك الشر .

والحاسد الذى يتمنى زوال النعم ويسعى إلى نقلها لنفسه معترض على قضاء الله

---

(١) انظر إيضاح المعانى الخفية فى الأربعين النووية صـ ٢٨٦ وانظر جامع العلوم والحكم صـ ٣١٣ وانظر زاد المعاد فى هدى خير العباد جـ ٣ صـ ٢٠ .

وقدره غير راض بما قسم الله له ولله در القائل :

ألا قــل لمــن بــات لى حاســدا ::: أتــدرى عــلى مــن أسأت الأدب
أســأت عــلى الله فى حكمــه ::: إذ أنــت لم تــرض لى مــا وهــب
فكــان جــزاؤك إن خضــت ::: وسد عليــك طريــق الطلــب

وبعد ما نهى رسول الله ﷺ عن بيع المسلم على بيع أخيه أمرنا ﷺ بالتآخى فقال : «**وكونوا عبادا الله إخوانا**» يقول العارف بالله تعالى سيدى إبراهيم الشبراخيتى فى الفتوحات : [هذه الجملة كالتعليل لما قبلها كأنه قال إذا تركتم التباغض والتحاسد وما بعده كنتم عباد الله إخوانا وإلا كنتم أعداءً ومعنى كونوا إخوانا : تعاطوا أسباب المودة واكتسبوا ما تصيرون به إخوانا من الأمور المقتضية لذلك كابتداء السلام ورده وتشميت العاطس وتشييع الجنائز وعيادة المريض والمعاونة على البر والتقوى وطلاقة الوجه والمصافحة والنصح ، وقد قيل لخالد بن صفوان أى الإخوان أحب إليك؟ قال : الذى يغفر زللى ويسد خللى ويقبل عللى .

وقال القرطبى : كونوا كإخوان النسب فى الشفقة والرحمة والمودة والمواساة وقد روى عنه ﷺ أنه قال : «**تهادوا فإن الهداية تذهب وحر الصدور**» [(١)] . وقوله ﷺ : «**المسلم أخو المسلم**» .

بمعنى أنه يجمعهما دين واحد ومن ثم قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾[(٢)] فهم كالإخوة الحقيقية وهو أن يجمع الشخصين ولادة واحدة من صلب واحد والإخوة الدينية أعظم من الإخوة الحقيقية لأن ثمرتها أخروية وثمرة تلك دنيوية ثم نبه ﷺ عن الظلم فيقول : «**ولا يظلمه**» أى لا ينقصه حقه ويمنعه إياه ؛ لأن الظلم حرام ومُذهْب للبركة ولذلك روى عن سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : أن ملكا من الملوك خرج يسير فى مملكته وهو مستخف من الناس حتى نزل على رجل له بقرة فراحت عليه تلك البقرة فحلبت فإذا حلابها مقدار حلاب ثلاثين بقرة فحدث الملك نفسه بأخذها فلما كان الغد غدت البقرة إلى مرعاه ثم راحت فحلبت فنقص لبنها على

---

(١) الترمذى وانظر الفتوحات الوهبية للعالم العارف بالله سيدى إبراهيم الشبراخيتى صـ ٢٦٤ .
(٢) الحجرات آية/ ١٠ .

النصف وجاء مقدار خمس عشرة بقرة فدعا الملك صاحبها فقال: أخبرنى عن بقرتك أرعت اليوم فى غير مرعاها بالأمس وشربت من غير مشربها بالأمس فقال: ما رعت فى غير مرعاها بالأمس ولا شربت فى غير مشربها بالأمس فقال: ما بال حلابها على النصف فقال: أرى الملك هَمَّ بأخذها فنقص لبنها فإن الملك إذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة قال وأنت من أين يرفعك الملك؟ قال: هو كما قلت فعاهد الملك ربه أن لا يظلم ولا يأخذ البقرة فعدت فرعت ثم راحت فحلبت فإذا لبنها قد عاد على مقدار ثلاثين بقرة فاعتبر الملك وقال بينه وبين نفسه أرى الملك إذا ظلم أوهم بالظلم ذهبت البركة لا جرم لأعدلن فلأكونن على أفضل العدل [1].

ولذلك قيل:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ::: فالظلم آخره يأتيك بالندم
اصبر على الظلم ولا تنتصر ::: فالظلم مردود على الظالم
وكن إلى الله مظلوما فما ::: ربى على الظالم بالنائم

ثم يقول صلوات ربى وسلامه عليه «**ولا يخذله**» أى لا يتركه لمن يظلمه ولا ينصره وقد قال ﷺ: «**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**» قيل له: كيف ينصره ظالما؟ قال: «**يمنعه من الظلم**» [2]. ثم يقول ﷺ: «**ولا يكذبه**» أى لا يخبره بأمر على خلاف ما هو عليه لأنه غش وخيانة، وفى الحديث: «**إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلا من نتن ما جاء به**» [3].

وينبغى لمن اضطر إلى الكذب أن يعرض إلى المعاريض ما أمكن حتى لا يعود نفسه الكذب وفى الخبر: إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ومثال التعريض ما صح عن سيدنا أبى بكر الصديق: أنه كان يمشى مع النبى ﷺ أو خلفه حين هاجر معه فتلقاه العرب وهم يعرفونه ولا يعرفون النبى ﷺ فيقولون: ما هذا؟ فيقول: يهدينى السبيل [4] فيظنون أنه يعنى هداية الطريق وهو يريد سبيل الخير، وكان العارف بالله سيدى الإمام

---

(١) رواه ابن مردويه والأصبهانى فى الترغيب والبيهقى عن مجاهد.
(٢) رواه البخارى وأبو عيسى الترمذى فى جامعه.
(٣) رواه الترمذى.
(٤) انظر الفتوحات الوهبية للإمام الشيخ إبراهيم الشبراخيتى صـ ٢٦٥.

إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه إذا طلب فى البيت يقول لخادمه: قل له أنظره فى المسجد ، وقد ورد أن أعرابيا بايع النبى ﷺ على ترك خصلة من الخصال المحرمة كالزنا والسرقة والكذب فقال النبى ﷺ: «**دع الكذب**» فصار كأنما هم بزنا أو سرقة أو غيرهما قال: كيف أصنع إن سألنى النبى ﷺ فإن صدقته حدّنى وإن كذبته فقد عاهدنى على ترك الكذب [١] فكان تركه سببا لترك الفواحش كلها وحسنت توبته ومن ثم يقول العارف بالله سيدنا ومولانا الإمام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه والكذب خمسة أقسام:

١ - واجب لانقاذ مال مسلم أو نفسه .

٢ - وحرام وهو الكذب لغير منفعة شرعية .

٣ - ومندوب وهو الكذب على الكفار أن المسلمين أخذوا فى أهبة الحرب إذا قصد بذلك إرهابهم .

٤ - ومكروه وهو الكذب للزوجة تطييبا لنفسها .

٥- ومباح للإصلاح بين الناس .

وتعقب الإمام ابن ناجى رضى الله عنه القسم الرابع بأن السنة جوّزت الكذب فيه اهـ ، وقال قوم الكذب كله قبيح فقد سئل مولانا الإمام مالك رضى الله عنه عن الرجل يكذب لزوجته وابنه تطييبا لنفسها فقال لا خير فى الكذب .

ثم يقول مولانا رسول الله ﷺ: «**ولا يحقره**» أى يستصغر شأنه ويضع من قدره بالترفع عليه ولا ينظره بعين القلة ، والاستصغار كما يحدث فى زمننا هذا ولا سيما من الأغنياء الذين يستحقرون الفقراء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ومن مظاهر استحقار الغنى للفقير ألا يسلم عليه كلما مر به وكذلك لا يرد السلام على الفقير إذا ما ألقى الفقير عليه السلام الذى هو تحية الإسلام وهذا إنما يصدر فى الغالب ممن غلب عليه الكبر والجهل ولا ينتقصه بالوقيعة فيه بالاستهزاء والسخرية به وذكر معايبه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبق فى محادثته لاحتمال أن

---

(١) انظر المرجع السابق صـ ٢٦٥ .

يكون أفضل وأقرب عند الله منه وفى الحديث: «**رُب أشعث أغبر ذى طمرين أى ثوبين خلقين لا يعبأ به لو أقسم على الله لأبره**» (١) وفى الحديث أيضا لا يحل لمسلم أن يشير أو ينظر أخيه بنظر يؤذيه (٢) .

ومر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار فقال له مالك: لو تركت الخيلاء لكان أجمل لك أما تعرفنى؟ فقال له الإمام مالك بن دينار والله أعرفك معرفة جيدة أو لك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت مع ذلك تحمل العذرة فأرخى الفتى رأسه وكف عما كان عليه (وقال أفلاطون لرجل جاهل معجب مختال فى نفسه وددت أنى مثلك فى ظنك وأن أعدائى مثلك فى الحقيقة) وقال في الأم عجبت لمن جرى مجرى البول مرتين فيقف يتكبر ومن ثم فقد قال الله تعالى: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (٣) فقرن الكبر بالفساد .

فتأملوا يرحمكم الله: يا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ وكذلك من جملة احتقار المسلم اغتيابه وهو ذكره أخاه المسلم بما يكره وهى أى الغيبة محرّمة بإجماع الأمة اللهم إلا ما استثناه العلماء ، فمن ذلك أولا: التظلم لمن يظن أوله قدرة على إزالة ظلمه أو تخفيفه .

ثانيا: الاستغاثة على تغيير المنكر بذكره لمن يظن أن له قدرة على إزالته بنحو فلان يعمل كذا فازجره عنه ، ثالثا: الاستفتاء أن يقول المستفتى للمفتى ظلمنى فلان بكذا فهل يجوز له وما الطريق فى خلاصى منه أو تحصيل حقى ولذلك روى أن هند بنت عتبة قالت للنبى ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى وبنيّ فآخذ من غير علمه؟ فقال: «**خذى ما يكفيك وبنيك بالمعروف**» فذكرت الشح ولم يزجرها النبى ﷺ إذا كان قصدها الاستفتاء .

رابعا: تحذير المسلمين من الشر مثل أن يشترى مملوكا وعرف المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن فى سكوتك ضرر على المشترى وكذا

---

(١) رواه الإمام مسلم صـ٢٦٢٦ / ١٣٨ .

(٢) رواه سيدنا ابن المبارك فى كتاب الزهد .

(٣) سورة القصص الآية / ٨٣ .

المستشار فى تزويج أو إيداع له أن يذكر له ما يعرفه على قصد النصح للمتزوج لا على قصد الوقيعة وإن علم أنه يترك التزويج مثلا بمجرد قوله : لا تصلح لك فهذا الواجب فإن علم أنه لا يتركه إلا بالتصريح بالعيب فله أن يصرح به . خامسا : أن يكون الإنسان معروفا بما فيه من نقص كالأعرج والأعمش والأعور والأصم والأقرع فقد نقل العلماء لنا جواز ذلك وذلك لضرورة التعريف فإن أمكن تعريفه بعبارة أخرى فهى أولى ولذلك كان الأولى أن لا ننطق إلا بالألفاظ التى لا تؤذى مشاعر النفس .

سادسا : أن يكون مبتدعا .

سابعا : أن يكون متجاهرا بالفسق كالمجاهر بشرب الخمر وأخذ الأموال من الناس ظلما فاذكر منه ما يتظاهر منه فلا إثم ، وروى عن بعض العارفين أنه قال : لا يكن حظ المؤمن منك إلا ثلاث خصال : إن لم تنفعه فلا تضره ، وإن لم تسره فلا تغمه ، وإن لم تمدحه فلا تذمه ، ولقد روى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لا غيبة لفاسق " نسأل الله عز وجل أن يجنبنا الفسق والعصيان ثم نمضى مع الحبيب النبى حيث يقول صلوات ربى وسلامه عليه فى هذا الحديث الجامع الذى معنا تلك الليلة : «**التقوى ههنا**» أى محل سببها الذى هو الخوف الحامل عليها القلب الذى فى الصدر لا حقيقتها الذى هو الاتقاء من العذاب بفعل المأمور واجتناب المحظور ، وفى الحديث : «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» [١] ومعنى نظر الله مجازاته ويصح أن يراد بالتقوى هنا : الإخلاص نحو قوله تعالى : ﴿ **فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾[٢] . أى من إخلاص القلوب .

ويشير ﷺ إلى صدره فعل تلك ثلاث مرات (من كلام الراوى) (بحسب) امرئ من الشر أى كافيه منه أن يحقر أخاه المسلم قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [٣] أى لا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيرا منك

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة الحج من الآية / ٣٢ .
(٣) سورة الحجرات الآية / ١١ .

ويحتمل أن المراد بعسى : يصير أى لا تحتقر غيرك فربما صار عزيزا وصرت ذليلا فينتقم منك ، ولذلك قال بعضهم :

لا تهين الفقير علك أن ::: تركع يوما والدهر قد رفعه

﴿ **وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ أى لا يعب بعضكم على بعض واللمز بالقول وغيره والهمز بالقول فقط روى عن ابن جريج أن الهمز بالعين والشدق واليد واللمز باللسان ، قال البيهقى : وبلغنى عن الليث أنه قال اللمز الذى يعبك فى وجهك ، والهمز الذى يعبك فى الغيب ﴿ **وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ** ﴾ أى لا تنادوهم بما يكرهون من الألقاب من الثبر وهو الطرح وكما نسمع البعض من الناس وهم يحتقرون البعض بقولهم له يا أعمى يا أسود يا ابن المرأة القصيرة يا ابن المرأة السوداء كما حدث من أبى ذر لبلال حيث قال له يا ابن السوداء فحينئذ عنفه النبى بقوله له : «**يا أباذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية**» [1] . فتأملوا غفر الله لى ولكم واعلموا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ أن من عاب غيره ففى الحقيقة إنما عاب نفسه ، نعم قال جل شأنه : ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ** ﴾ [2] فوصف سبحانه أصحاب البيوت بأنهم أنفسنا ونمضى مع سيدنا رسول الله ﷺ حيث يقول لنا : «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله**» الذى خصه الله به وجعله ملكا له فلا يحل أخذه بحقه ، فقد روى عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ أنه قال : «**لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه**» [3] فلنعلم أمة الإسلام أن دم المسلم حرام فلا يجوز لنا أن نتعرض له بالقتل أو الضرب أو السب أو الشتم فإن هو بدأك بالقتل فلا يحق لأهلك أن يقتلوه بل عليهم أن يتركوا الأمر لله ثم لأيدى العدالة فهى التى تأخذ حقه وذلك عن طريق الشرطة والقضاء فإن تقاعسوا وتهاونوا فإن الله يأخذ لك بحقك يوم القيامة وكذلك مال المسلم حرام فعلينا أن نبادر برد الحقوق والمظالم إلى أصحابها وذلك قبل الموت نسأل الله عز وجل السلامة فى الدين والدنيا والآخرة ، بين الحبيب المصطفى حرمة التعدى على الأعراض فيقول عليه الصلاة والسلام : «**وعرضه**» ومن ثم قال بعضهم : [أدركنا السلف وهم لا يرون

---

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة النور من الآية / ٦١ .

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه .

العبادة فى الصوم ، ولا فى الصلاة ولكن فى إعراضهم وكفهم عن أعراض الناس وجعل ﷺ هذه الثلاثة كل المسلم لشدة احتياجه إليها واقتصر عليها لأن ما سواها فرع منها وراجع إليها ولما كانت حرمتها هى الأصل والغالب لم يحتاج إلى تقييدها إذا لم يعرض ما يبيحها شرعا كالقتل أو آخذ مال المرتد فيها وتوبيخ المسلم تعزيز أو نحو ذلك .

يا أحباب الله ورسوله ، هكذا رأينا مدى الإفادة من حديث البشير النذير والذى هو من جوامع كلمه ﷺ ، نعم فقد أوتى صلوات ربى وسلامه عليه جوامع الكلم وتلك من فضائله ﷺ والتى فضل بها على كافة الأنبياء والمرسلين ، والذى أرجوه من حضراتكم أن نعى ما سمعنا فنجتنب ما فيه من موبقات ورذائل ومن هنا نقرُّ عينا بشفاعته ﷺ ذلك لأن الخير فى اتباع ما أمر واجتناب ما نهى إذ أنه المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى بل إنه الأستاذ والأب المبجل الموقر المعظم ﷺ فهلا اتبعناه وسرنا على هديه جعلنى الله وإياكم من أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب .

وإلى أن يجمعنا الله فى مثل هذا الموعد ، وذلك فى الغد القريب مع الفقه الإسلامى أستودعكم الله الذى لا تضيع عنده الودائع ، وصلى اللهم على معلم الناس الأعظم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة والحمد لله رب العالمين . والله أعلم وسلام الله عليكم ورحمته تعالى وبركاته ومغفرته ورضوانه ونشكركم على حسن استماعكم وجزاكم الله خيرا .

* * * * * * * * *

الدرس الرابع والعشرون درس "الثلاثاء"

فى رحاب فقه العبادات تابع أحكام الطهارة (كتاب الوضوء)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاما على إمام الأنبياء وسيد المرسلين والرحمة المهداة والنعمة المسداة للعالمين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وكل تابع مستنير أما بعد :

فيا أحباب الحبيب المصطفى ، أحييكم بتحية الإسلام ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . مرحبا بكم فى مساء يوم الثلاثاء ومع درس الفقه الإسلامى والمتعلق بأحكام العبادات وإذا كنا قد تحدثنا عن الطهارة وما يتعلق بها من مياه وإزالة النجاسة وما ماثل ذلك فإن حديثنا الليلة يدور حول أحكام الوضوء .

نعم . ولسوف نتناول تلك الليلة الحديث حول حكم الوضوء ودليله وفضله ومتى فرض ثم نتكلم عن أسبابه والله المستعان ، اعلموا إخوانى بارك الله فيكم أن الوضوء طهارة مائية تتعلق بالوجه واليدين والرأس والرجلين والأصل فى فرضيته للصلاة الكتاب ، والسنة والإجماع .

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ** ﴾ [1] .

وأما السنة . فلما روى عن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ** » [2] .

وقد انعقد إجماع المسلمين على ذلك ، فصار معلوما عند العام والخاص كالأمور الضرورية . فمن جحده بعد ذلك فهو مرتد عن الإسلام والعياذ بالله .

واعلموا إخوانى بارك الله فيكم أن الوضوء قد فرض صبيحة ليلة الإسراء حين جاء جبريل إلى النبى ﷺ فتوضأ وعلمه إياه وإذ كنا أحبابى قد تحدثنا عن حكم الوضوء مُدعما بالكتاب والسنة وبينا متى فرض فيجدر بنا أن نبين فضل الوضوء كما بينته سنة

---

(١) سورة المائدة الآية / ٦ .

(٢) رواه الشيخان وأبو داود والترمذى .

مولانا رسول الله ﷺ .

نعم . فقد وردت عدة أحاديث فى فضائل الوضوء نذكر منها : ما روى عن سيدنا أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟**» قالوا بلى يا رسول الله . قال : «**إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط . فذلكم الرباط فذلكم الرباط**» [١] .

وما روى عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال : «**إذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظافر يديه . فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظافر رجليه . ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة**» [٢] ثم تعالوا بنا إلى الأحكام الفقهية المتعلقة بالوضوء . ولنبدأ بأسبابه ومبطلاته أو موجباته ألا وهى نواقض الوضوء فنقول وبالله التوفيق :-

فقد قسم العلماء نواقض الوضوء إلى ثلاثة أنواع : أحداث وأسباب وردة وشك .

فالأحداث جمع حدث وهى ما تنقض الوضوء بنفسها كالغائط (البراز) والريح بصوت أو بغير صوت أو هما أى البراز والريح يخرجان من الدبر والبول والودى والمذى . ويشترط فى الجميع أن يخرج من المخرج المعتاد أى من أحد السبيلين (القبل والدبر) وأن يكون معتاد الخروج غير سلس كما سنوضحه بإذن الله تعالى . ومن الأحداث التى توجب دم الاستحاضة وهو سيلان الدم فى غير زمن الحيض والنفاس . هذا إذا كان انقطاع الدم أكثر من إتيانه فإن كان إتيانه أكثر أو تساويا فلا ينقض [٣] .

ويجب الوضوء أيضا من خروج المنى بغير لذة معتادة أما خروجه بلذة معتادة فيجب منه الغسل كما سنبين ذلك فى موجبات الغسل إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواه الإمام مالك فى موطئه والإمام مسلم فى صحيحه .
(٢) رواه الإمام مالك فى موطئه وابن ماجه فى سننه .
(٣) انظر كفاية الطالب الربانى جـ١ صـ١١٨ .

هذه هى الأحداث التى يجب منها الوضوء وذلك باتفاق الفقهاء [١] والأصل فى ذلك قوله تعالى : ﴿ **أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ** ﴾ [٢] .

والغائط هنا يشمل الخلاء والبول قال ابن العربى فى تفسيره للغائط : [هو المطمئن من الأرض كانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة أتوه رغبة فى التستر فكنى به عما يخرج من السبيلين] اهـ [٣] وعن سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا يقبل الله أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**» فقال رجل من حضر موت : ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال : «**فساء أو ضراط**» [٤] . أما المذى والودى : فالمذى يجب منه غسل الذكر والوضوء ونحوه بلفظ آخر : «**إذا وجد ذلك أحدكم فلينضح فرجه بالماء وليتوضأ وضوءه للصلاة**» [٥] .

وعن سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال : «**المنى والمذى والودى فالمنى منه الغسل ومن هذين الوضوء يغسل ذكره ويتوضأ**» [٦] . وأما دم الاستحاضة فعن عدى بن ثابت عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال : «**المستحاضة تدع الصلاة أيام أقرائها ثم تغتسل وتتوضأ عند كل صلاة وتصوم وتصلى**» [٧] .

أما النوع الثانى من موجبات الوضوء ونواقضه فالمراد به أسباب الأحداث :

وهى ما غطى العقل من نوم ثقيل يعنى أن أسباب الحدث تنقض الوضوء وهى زوال عقل بسبب نوم ثقيل أو إغماء أو جنون أو سكر ولمس بشرط أن يكون اللامس بالغا وأن يكون الملموس ممن يشتهى عادة ذكرا كان أم أنثى وأن يكون قصد اللذة أو وجدها . أما القبلة بفم فإنها تنتقض مطلقا ولو انتفى القصد واللذة أو وقعت بإكراه أو استغفال فتنقض وضوءهما إن كانا بالغين وإلا فالبالغ منهما إلا إذا كانت لوداع أو

---

(١) انظر الكافى للإمام ابن عبدالبر جـ١ صـ ١٤٥ واللباب شرح الكتاب جـ١ صـ ١١ ومغنى المحتاج جـ ١ صـ ٣٢ والمغنى جـ ١ صـ ١٦٨ .

(٢) سورة النساء الآية / ٤٣ .

(٣) انظر أحكام القرآن لابن العربى جـ١ صـ ٣٤٤ .

(٤) متفق عليه .

(٥) رواه الإمام مالك فى موطنه .

(٦) رواه الإمام البيهقى فى السنن الكبرى .

(٧) رواه أبو داود وابن ماجة والترمذى .

شفقة فلا تنقض [(١)] .

ومن أسباب الحدث مس الذكر وسيأتى تفصيل ذلك - ودليله إن شاء الله أما النوم فالأصل فيه حديث سيدنا على رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «**وكاء السهو العينان فمن نام فليتوضأ**» [(٢)] وقيد الإمام مالك النوم المذكور بالنوم الثقيل وهو مالا يشعر صاحبه بصوت مرتفع ولا يشعر بسقوط ما سقط منه قاله العارف بالله سيدى عبدالباقى الزرقانى ولا عبرة بهيئة النائم ويؤيده ما روى عن سيدنا الحسن أنه قال : (إذا استثقل الرجل نوما قائما أو قاعدا أو مضجعا توضأ» [(٣)] وبه قال الإمام أحمد أى أن النوم الثقيل ينقض الوضوء بغض النظر عن هيئة النائم ، أما الخفيف فلا ينقض إلا فى حالة الاضطجاع [(٤)] وقال الإمام الشافعى : إن المعتبر فى النوم هيئة النائم فإذا كان النائم ممكنا مقعدته أى إليته من مقره من أرض أو غيرها أى قاعدا لا ينتقض وضوؤه ولو كان النوم ثقيلا . وإن كان غير ذلك نقض الوضوء [(٥)] وقال الإمام أبو حنيفة (ينقض الوضوء النوم إذا كان النائم مضطجعا أو متكئا أو مستندا إلى شىء لو أزيل عنه لسقط أما إذا نام قائما أو قاعدا أو راكعا أو ساجدا فلا ينقض وضوؤه [(٦)] . واستدل من لم ير الوضوء من نوم القاعد . بحديث أنس قال : (كان أصحاب رسول الله ﷺ ينامون ثم يصلون ولا يتوضؤون) [(٧)] يعنى وهم جلوس فى المسجد ، قال النووى : (وفيه أن نوم الجالس لا ينقض الوضوء) [(٨)] .

وروى عن سيدنا رسول الله ﷺ: «**لا وضوء على من نام قاعدا إنما الوضوء على من نام مضطجعا**» [(٩)] .

---

(١) انظر حاشية الدسوقى جـ ١ صـ ١٢٠ ، ١٢١ .
(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه .
(٣) انظر المغنى جـ١ صـ ١٧٣ .
(٤) رواه عبدالرزاق فى مصنفه .
(٥) انظر مغنى المحتاج جـ١ صـ ٣٤ .
(٦) انظر شرح الكتاب جـ١ صـ ١٣ .
(٧) رواه مسلم .
(٨) انظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٤ صـ ٧٢ ، ٧٣ .
(٩) رواه أبو داود والترمذى والدارقطنى مرفوعا .

أما الإغماء فالأصل فيه ما روى عن سيدتنا عائشة رضى الله عنها - أن النبى : ثقل فقال : «**أصلى الناس ؟**» قلنا يا رسول الله لا . هم ينتظرونك . قال : «**ضعوا لى الماء فى المخضب**» ففعلنا فاغتسل ثم ذهب ليتوضأ فأغمى عليه ثم أفاق فقال : «**أصلى الناس؟**» فقلنا : يا رسول الله لا ، هم ينتظرونك قال : «**ضعوا لى ماء فى المخضب**» [١] .

والإجماع منعقد بأن زوال العقل بأى حال من الأحوال ينقض الوضوء . أما القبلة واللمس فعن سيدنا عبدالله بن عمر أنه قال : (قبلة الرجل لامرأته وجسُها بيده من الملامسة ، فمن قبّل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء) [٢] .

وقد قيد إمامنا مالك اللمس بقصد اللذة أو وجودها أما عند عدم قصد اللذة أو عدم وجودها فلا ينقض وذلك لما روى عن مولاتنا السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (كنت أنام بين يدى رسول الله ﷺ ورجلاى معترضتان فى قبلته فإذا سجد غمزنى فقبضت رجلى فإذا قام بسطتهما قالت : والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح)[٣]اهـ .

قال الإمام ابن قدامة فى المغنى : إن لمس النساء لشهوة ينقض الوضوء ولا ينقضه لغير شهوة هذا هو المشهور عن الإمام أحمد .

ونقل ابن قدامة عن أحمد أيضا رواية ثانية تقضى بعدم النقض للوضوء بحال كما هو مذهب أبو حنيفة [٤] . أما الإمام الشافعى فإن اللمس ينقض عنده مطلقا ولو عند عدم قصد اللذة أو عدم وجودها إلا لمس المحرم فلا ينقض عنده قاله فى المنهاج [٥] ، أما مس الذكر ببطن الكف أو الأصابع أو بجنبيهما - وبدون حائل فالأصل فيه حديث بسرة بنت صفوان ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ**»[٦] . وفى رواية عنه ﷺ أنه قال : «**من مس ذكره فلا يصلى حتى يتوضأ**» [٧]

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه الإمام مالك فى موطئه .
(٣) رواه مالك فى الموطأ والبخارى فى صحيحه .
(٤) انظر المغنى جـ١ صـ ١٩٢ .
(٥) انظر مغنى المحتاج جـ ١ صـ ٣٤ .
(٦) أخرجه مالك فى الموطأ جـ١ صـ ٤٢ .
(٧) أخرجه أحمد وأصحاب السنن .

ويفهم من الحديثين الجليلين أن لمس الذكر ينقض الوضوء بشرط أن يكون بدون حائل ، وبشرط أن يكون الملموس ذكره هو فإن مس ذكر غيره فلا ينقض الوضوء وهذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك ، وقال الإمامان الشافعى وأحمد لمس الذكر ينقض مطلقا سواء كان ذكره أم ذكر غيره واتفق الإمام الشافعى مع الإمام مالك فى اشتراط أن يكون اللمس بباطن اليد وبدون حائل ووافقهما الإمام أحمد فى عدم الحائل ، وخالفهما بأن لا فرق عنده بين بطن الكف وظهره [١] وأما الإمام أبو حنيفة [٢] فإنه يرى أن مس الذكر لا ينقض الوضوء وهى رواية عن الإمام مالك [٣] .

ودليل هذا الرأى قوله ﷺ لمن سأله عن مس الذكر فقال له : «**إنما هو بضعة منك**» [٤] . وإذا ما تمعنا فى دليل الفريق الأول والفريق الثانى لوجدنا أن هناك تعارضا ظاهر والحق : أنه لا تعارض لأمور ثلاثة :

الأول : أن الحديث الذى استدل به الإمام أبو حنيفة به ضعف وحديث بسرة أقوى منه .

الثانى : أن حديث طلق بن على والذى استدل به الفريق الثانى منسوخ بحديث بسرة .

الثالث : أن حديث طلق بن على (إنما هو بضعة منك) محمول على ما إذا كان المس بحائل ، وحديث بسرة بدون حائل ، وإلا فبالله هل الإحساس بمس الإصبع كالإحساس بمس الذكر فتأملوا رحمكم الله ومن هنا نعلم أن من مس ذكره فعليه أن يتوضأ والله أعلم ، وقد اختلف العلماء فى مس المرأة لفرجها فالصحيح عند المالكية أنه لا ينقض إلا إذا ألطفت) [٥] أى أدخلت أصابعها داخل فرجها ، وللإمام أحمد روايتان : "إحداهما : ينقض لعموم حديث : «**من مس فرجه فليتوضأ**» والأخرى : (لا ينقض لأن الحديث وارد فى مس الذكر وليس مس المرأة فرجها فى معناه لكونه لا يدعو

---

(١) انظر مغنى المحتاج جـ١ صـ ٣٥ والمغنى جـ١ صـ ١٧٩ .

(٢) رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن .

(٣) انظر رحمة الأمة صـ ١٣ .

(٤) انظر التلقين للإمام المازرى جـ١ صـ ١٩١ .

(٥) انظر التاج والإكليل بهامش مواهب الجليل جـ ١ صـ ٣٠٢ .

إلى خروج خارج ، فلم ينقض [١] أما الإمام الشافعي فالوضوء عنده ينتقض بذلك قولا واحدا لأنه لا فرق عنده بين فرج الذكر وفرج الأنثى [٢] .

أما أبو حنيفة فيما لاشك فيه أن الوضوء لا ينتقض عنده بمس المرأة فرجها مثل قوله في الرجل . تلكم هى الأحداث وأسباب الأحداث وهما النوع الأول والثانى من نواقض الوضوء وكما أنهما ثابتان بالكتاب والسنة فإن بعضها ثابت بالإجماع .

يقول الإمام ابن المنذر رضى الله عنه : أجمع أهل العلم على أن خروج الغائط من الدبر وخروج البول من ذكر الرجل وقبل المرأة وخروج المذى ، وخروج الريح من الدبر أحداث ينقض كل واحد منها الطهارة [٣] .

وحكى رضى الله عنه أيضا الإجماع على أن زوال العقل بأى وجه كان ينقض الطهارة كما حكى الإجماع على أن دم الاستحاضة ينقض الطهارة وانفرد ربيعة فقال : لا ينقض الطهارة [٤] .

ويستثنى مما يخرج من السبيلين ، الدود والحصى فلا ينقضان الوضوء عند السادة المالكية ولو خرجا ببلة ، وإذا خرجا ببلة كثيرة وجب منهما الاستنجاء أو الاستجمار مع عدم نقض الوضوء ، قال الشيخ أحمد الشنقيطى : ولا يستنجى من ريح ولا من حصى وذلك على سبيل الكراهة ولا من حصى ودود ولو ببلة خفيفة ، وأما لو كثرت فلابد من الاستنجاء أو الاستجمار وإن كانت لا تنقض الوضوء وبها يلفز أى شىء خرج من المخرج المعتاد أوجب قطع الصلاة والاستنجاء والوضوء لم ينتقض [٥] .

وعند الأئمة الثلاثة أبو حنيفة والشافعى وأحمد كل ذلك ينقض الوضوء .

والآن ننتقل إلى القسم الثالث من نواقض الوضوء ألا وهو : ما ليس بحدث ولا سبب وهو الردة أعاذنا الله منها وكذلك الشك فى الحدث . وكل منهما ينقض الوضوء .

---

(١) انظر المغنى جـ ١ صـ ١٨٢ .
(٢) انظر مغنى المحتاج جـ ١ صـ ١٦٨ .
(٣) انظر المغنى للإمام ابن قدامة جـ١ صـ ١٨٢ .
(٤) انظر كتاب الإجماع لابن المنذر صـ ٣١ .
(٥) انظر مغنى قراءة المختصر جـ١ صـ ٢٨ (مخطوطة) .

أما الردة فالأصل فى نقضها قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [١] وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ [٢] وبهذا قال الإمام أحمد [٣] والإمام مالك [٤] أما الإمام الشافعى فلا تنقض الردة الوضوء عنده على الصحيح من مذهبه [٥] كما قال الإمام النووى فى المجموع ، وعلق إحباط العمل على أن يموت المرتد وهو كافر واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٦] .

أما الشك فى الحدث فهو ناقض للوضوء عند السادة المالكية أما من تيقن الحدث وشك فى الوضوء أو تيقن الوضوء والحدث وشك فى السابق منهما فإن عليه الوضوء لأن الذمة لا تبرأ إلا بيقين وإن تيقن الطهارة وشك فى الحدث فمشهور ، مذهب الإمام مالك انتقاض الوضوء إلا أن يكون موسوسا والعياذ بالله ، وقال الأئمة الثلاثة: لا وضوء عليه ، وهو قول ثان للإمام مالك وأجمع العلماء أن من أيقن بالحدث وشك فى الوضوء أن شكه لا يفيد فائدة وأن عليه الوضوء فرضا وهذا يدلك على أن الشك عندهم ملغى وأن العمل على اليقين عندهم وهذا أصل كبير فى الفقه فتدبره وقف عليه .

ودليل ذلك لما روى عن عبدالله بن زيد عن عباد بن تميم عن عمه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ الرجل الذى يخيل إليه أنه يجد الشىء فى الصلاة ؟ فقال: «**لا ينفتل - أولا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا**» [٧] .

ومن ثم فإن الشك فى الوضوء فيه قولان بالنقض وعدمه فمن توضأ فقد أخذ برأى الإمام مالك ومن لم يتوضأ فقد أخذ برأى غيره وبالقول الثانى له . والكل من رسول الله ملتمس . وأما المستنكح للشك وهو الموسوس فلا وضوء عليه بإجماع

---

(١) سورة الزمر الآية / ٦٥ .
(٢) سورة المائدة من الآية / ٥ .
(٣) انظر المغنى جـ١ صـ ١٧٦ .
(٤) انظر تبيين المسالك جـ ١ صـ ١٥٨ .
(٥) انظر المجموع شرح المهذب جـ ٢ صـ ٦١ .
(٦) سورة البقرة الآية / ٢١٧ .
(٧) متفق عليه واللفظ للبخارى .

العلماء هذا وقد سئل سيدنا الإمام عبدالرحمن بن القاسم عمن افتتح الصلاة المكتوبة فلما صلى ركعتين شك فى أن يكون على وضوء ، فتمادى فى صلاته وهو على شكه ذلك ، فلما فرغ من صلاته استيقن أنه كان على وضوء ؟ قال: صلاته مجزئة عنه إلا أن يكون نواها نافلة حين شك ؛ لأنه لما دخل فى الصلاة بطهارة متيقنة لم يؤثر عنده فيها الشك الطارئ عليه بعد دخوله فى الصلاة والأصل فى ذلك ما روى عن سيدنا رسول ﷺ قال: «**إن الشيطان يفسو بين إليتى أحدكم فإذا كان يصلى فلا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا**» [١] ولا يجب الوضوء عند السادة المالكية [٢] مما خرج من غير أحد السبيلين وعلى ذلك عمل أهل المدينة وهو مذهب الإمام الشافعى .

وقال الإمام أبو حنيفة بوجوب الوضوء من الدم والقيح (إذا خرجا من البدن فتجاوزا إلى موضع يلحقه حكم التطهير والقىء ملء الفم ، قاله فى بداية المبتدئ من كتب الأحناف [٣] وبه قال الإمام أحمد فى القىء والدم إذا تفاحشا كما قاله الخرقى فى مختصره [٤] .

حكم من تقهقه فى الصلاة

إن من تقهقه فى الصلاة لاشك أنه أساء الأدب مع مولاه وصلاته باطلة ولا وضوء عليه وبذلك قال الجمهور ، أما الإمام أبو حنيفة فذهب إلى نقض الوضوء بالقهقهة ورأى الجمهور هو الأولى بالقبول وبه نفتى إن شاء الله تعالى .

حكم الوضوء من أكل لحم الجزور (الجمال)

قال الإمام أحمد من أكل لحم جزور فعليه الوضوء وبه قال النووى من الشافعية والجمهور على خلاف ذلك وعليه فلا وضوء على من أكل لحم جزور على رأى الجمهور . وآخر عمل النبى ﷺ أنه أكل لحم جزور ولم يتوضأ [٥] .

أيها الأحباب ، هذه هى نواقض الوضوء أو موجباته ولكن هل هناك أمور يجب

---

(١) رواه البزار وأصله فى الصحيحين من حديث عبدالله بن زيد وانظر البيان والتحصيل جـ٢ صـ ٥ ، ٦ .
(٢) انظر تبيين المسالك جـ١ صـ١٦١ وانظر مغنى المحتاج جـ١ صـ ٣٢ .
(٣) انظر الهداية .
(٤) انظر المغنى جـ ١ صـ ١٨٤ .
(٥) انظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ صـ٤٩ .

لها الوضوء غير النواقض المذكورة نعم: فهناك أمور يجب لها الوضوء وأمور يستحب لها الوضوء وبيان ذلك في الدرس القادم وفي الجزء الثاني من كتابنا هذا إن شاء الله تعالى وفي النهاية نضرع إلى الله العلي القدير أن يفقهنا وإياكم في ديننا وأن يبصرنا بعيوبنا إنه ربي نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والله تعالى أعلى وأعلم ، والحمد لله رب العالمين .

* * * * * * * * *

الدرس الخامس والعشرون درس "الأربعاء"

فى سيرة سيد الأنبياء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاما على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فيا إخوان الصفا وأحباب الحبيب المصطفى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومرحبا بكم فى رحاب سيرة الحبيب المصطفى ، ومع الحلقة الخامسة من سيرة سيد الخلق ومع الدرس الخامس والعشرين من دروس المساء نلتقى الليلة .

وفى الحلقة الماضية بينا أن سيدنا إبراهيم دعا الحق تبارك وتعالى أن يبعث من صلبه رسولا فاستجاب الله دعاءه قال جل شأنه مبينا دعاء الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ (١) .

ومما يدل كذلك على استجلاء نور نبينا ﷺ فى وجه أبيه عبدالله قبل زواجه بأمه وبعده قبل الحمل به ﷺ أن أكثر من امرأة من قريش عرضت نفسها على عبدالله بن عبدالمطلب لتحمل النور الذى معه .

فقد روى الإمام محمد بن سعد فى طبقاته - وابن الجوزى وابن سيد الناس وغيرهم أن عبدالله بن عبدالمطلب بعد أن نحرت الإبل فداء له مر مع أبيه على امرأة من بنى أسد . هى قتيله بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل - وهى عند الكعبة ، وكانت تنظر وتعتاف أى تتكهن بالطير وغيرها فقالت له : أين تذهب يا عبدالله ؟ قال مع أبى قالت : لك مثل الإبل التى نحرت - وكانت مائة وقع على الآن فقال : إنى مع أبى ولا أستطيع فراقه وأنشد .

أمـــا الحـــرام فالممـــات دونـــه ::: والحـــــل لأجـــــل فأســـــتبينه

---

(١) سورة البقرة الآية / ١٢٩ .

فكيف بالأمــر الـــذى تبغيـــه ::: يحمـــى الكريـــم عرضه ودينه [1]

فخرج به عبدالمطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بنى زهرة سنا وشرفا - فزوجه آمنة بنت وهب وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا فدخل عليها فى موضعها وأقام عندها ثلاثا - وكانت تلك السنة عندهم إذا دخل الرجل عل امرأته فى أهلها . فلما دخل بها حملت بسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ثم خرج من عندها فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت . فلم ير منها الإقبال الذى كان يراه منها من قبل فقال لها : مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضته على بالأمس ؟

قالت له : فارقك النور الذى كان معك بالأمس فليس لى بك اليوم حاجة [2] .

أيها الأحباب : وإذا كنا تحدثنا عن زواج والديه ﷺ فيجدر بنا أن نذكر شيئا من العجائب التى حدثت أثناء حمل مولاتنا السيدة آمنة بالحبيب المصطفى ﷺ فمن ذلك قولها رضى الله عنها :

(ما شعرت أنى حملت به : ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء إلا أنى قد أنكرت رفع حيضتى ، وربما كانت ترفعنى وتعود وأتانى آت وأنا بين النائم واليقظان فقال : هل شعرت بأنك حملت ؟ فكأنى أقول ما أدرى فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها وذلك يوم الاثنين قالت : فكان ذلك مما يقن عندى الحمل ثم أمهلنى حتى إذا دنا ولادتى أتانى ذلك الآتى فقال : قولى أعيذه بالواحد الصمد من شر كل حاسد قالت فكنت أقول ذلك . فذكرت ذلك لنسائى فقلن لى : تعلقى حديدا فى عضديك وفى عنقك قالت : ففعلت قالت : فلم يكن ترك على إلا أياما فأجده قد قطع فكنت لا أتعلقه[3] .

أيها الأحباب ، كذلك من آيات الحمل به صلوات الله وسلامه عليه ما رواه سيدى العارف بالله الإمام سهل بن عبدالله التسترى رضى الله تعالى عنه قال : لما أراد

---

(١) انظر عيون الأثر جـ ١ صـ ٢٤ والروض الأنف .

(٢) انظر سيرة ابن هشام والروض الأنف جـ١ صـ ١٧٩ ، ١٨٠ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ج١ ص ٩٨ والوفا لابن الجوزى ج١ ص ٨٨ ، ٨٩ .

الله تعالى خلق محمد ﷺ فى بطن أمه آمنة ليلة رجب ، وكانت ليلة جمعة أمر الله تعالى فى تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس وينادى مناد فى السماوات والأرض ألا إن النور المخزون المكنون الذى يكون منه النبى الهادى فى هذه الليلة يستقر فى بطن أمه الذى فيه يتم خلقه ويخرج إلى الناس بشيرا ونذيرا [١] وفى رواية كعب الأحبار : أنه نودى تلك الليلة فى السماء وصفاحها والأرض وبقاعها : إن النور المكنون الذى منه رسول الله ﷺ يستقر الليلة فى بطن آمنة فيا طوبى لها ثم يا طوبى !! وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا وهى منكوسة ، وكانت قريش فى جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الأرض وحملت الأشجار وأتاهم الرفد من كل جانب ، فسميت تلك السنة التى حمل فيها برسول الله ﷺ سنة الفتح والابتهاج [٢] .

أيها الأحباب : تلكم هى بعض العجائب الربانية والكرامات الإلهية والنفحات الصمدية التى امتن الله بها على الحبيب المصطفى وعلى الناس جمعاء ببركته ﷺ ، ولسنا بذلك نكون قد صددنا وتتبعنا كل العجائب إنما ذكرنا تلك الليلة قطرة من بحار العجائب والمنح الإلهية التى كانت أثناء حمل مولاتنا وأمنا السيدة آمنة بالحبيب المصطفى ﷺ .

يا أحباب الحبيب المصطفى ، وإذا كنا قد تحدثنا عن شىء من العجائب الطيبة التى وقعت أثناء الحمل به صلوات ربى وسلامه عليه فإننا نتساءل هل رأى المصطفى والده سيدنا عبدالله بن عبدالمطلب؟

الحق أنه لم يره وذلك لأن الجليل أراد لحبيبه ومصطفاه أن لا يقول : أبى أبى وإنما ينادى : ربى . ربى ، ومن ثم فإن سيدنا عبدالله بن عبدالمطلب انتقل إلى الدار الآخرة والمصطفى ﷺ جنين فى بطن أمه وذلك بعد ما حملت به سيدتنا آمنة وذلك بشهرين وكان انتقاله إلى الدار الآخرة فى أرض يثرب وهى طيبة المدينة المنورة دار هجرة ابنه عليه الصلاة والسلام وعلماء السيرة جزاهم الله خيرا يقصون علينا قصة سفرة إلى المدينة المنورة فيقولون :

---

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ١ صـ٩٨ والوفا لابن الجوزى جـ١ صـ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) انظر السيرة الحلبية جـ ١ صـ ٥٥ط التجارية وانظر السيرة النبوية للسيد أحمد زينى دحلان مفتى السادة الشافعية بمكة المكرمة - بهامش الحلبية جـ ١ صـ ٣٦ ، ٣٧ .

خرج عبدالله بن عبدالمطلب إلى الشام إلى غزوة فى عير من عيرات قريش يحملون تجارات ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبدالله بن عبدالمطلب يومئذ مريض فقال: أنا أتخلف عند أخوالى بنى عدى بن النجار .

فأقام عندهم مريضا شهرا ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبدالمطلب عن عبدالله فقالوا: خلفناه عند أخواله بنى عدى بن النجار وهو مريض - فبعث إليه عبدالمطلب أكبر ولده (الحارث) فوجده قد توفى ودفن فى دار النابغة - وهو رجل من بنى عدى بن النجار فى الدار التى إذا دخلتها فالدويرة عن يسارك وأخبره أخواله بمرضه وبقيامهم عليه وما ولوا من أمره وأنهم قبروه ، فرجع إلى أبيه فأخبره فوجد عليه عبدالمطلب وإخوته وأخواته وجدا شديدا ورسول الله ﷺ يومئذ حمل ولعبد الله يوم توفى: خمس وعشرون سنة [١] .

يا أحباب الله ورسوله ، هكذا وجدنا العناية الإلهية تأبى أن لا يتولى المصطفى إلا هى ، وحقا قد ولد المصطفى بلا أب ولم يقل أبى . أبى كما هو شأن الأطفال إنما كان لسانه ينير يقول رباه . رباه فقد حفظه الله ورعاه وكأنه ذو أب وذو أم بل هو أعلى وأرفع من ذلك بكثير ، أيها المؤمنون الأحبة ، والآن تعالوا بنا لنعيش مع المولد المبارك إلى ما شاء الله لنا أن ننهل من السيرة العطرة فى تلك الليلة الغراء . أولاً: الحديث عن تاريخ مولده ﷺ ومكانه فقد تناول العلماء تحديده يوما وشهرا وعاما .

فأما اليوم: فهو يوم الاثنين لما روى عن أبى قتادة رضى عنه أن النبى ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: **«ذاك يوم ولدت فيه وأنزل على فيه»** [٢] .

وعن سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال: (ولد النبى ﷺ يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين . ورفع الحجر يوم الاثنين) [٣] .

ولكن هل كان المولد المبارك نهارا أو ليلا ؟

قال بعض علماء السيرة: كان مولده نهارا مستدلا بقوله ﷺ: **«ذاك يوم ولدت**

---

(١) انظر طبقات ابن سعد جـ ١ صـ ٥٩ والوفا لابن الجوزى جـ١ صـ ٨٩ .

(٢) رواه الإمام أحمد والإمام مسلم والإمام أبو داود .

(٣) رواه الإمامان أحمد والطبرانى .

فيه» واليوم إنما هو النهار بنص التنزيل ويقول سيدنا الإمام سعيد بن المسيب رضى الله عنه: ولد رسول الله ﷺ عند إبهاء النهار (أى وسط النهار) [١] . وقال آخرون: بل ولد ﷺ ليلا . لما روى عن عثمان بن العاص عن أمه رضى الله تعالى عنهما . أنها شهدت ولادة النبى ﷺ ليلا قالت: فما شىء أنظر إليه من البيت إلا نورا وإنى لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إنى لأقول: لتقعن علىّ [٢] ، وقال آخرون: بل ولد فجر الاثنين وممن قال بذلك الزبير بن بكار وابن عساكر وهذا القول هو قول بين سابقيه وهذا ما نميل به ونرجحه إذ أن الفجر ملحق بالليل وهو أول النهار ويدل له قول جده عبدالمطلب: ولد لى الليلة مع الصبح مولود ، ويرضى الله عن الإمام شرف الدين البوصيرى إذ قال رضوان الله عليه:

ليلة المولد الذى كان للدين ::: سرور بيومه وازدهاء
فهنيئا به لآمنة الفضل ::: الذى شرفت به حواء
من لحواء أنها حملت أحمد ::: أو أنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب ::: من فخار ما لم تنله النساء [٣]

ويقول الإمام الحلبى فى سيرته (وقد أقسم الله بليلة مولده ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ ... ﴾ هذا عن اليوم أو الليلة ، وأما الشهر فهو شهر ربيع الأول الأنور على القول الأشهر . فقد قال محمد بن إسحاق ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لا ثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول [٤] .

ويذكر الإمام جعفر الصادق أنه صلوات ربى وسلامه عليه ولد يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول [٥] .

وهناك أقوال أخرى ولكننا اكتفينا بأشهرها ، وأما العام فهو عام الفيل .

وقد ولد ﷺ وشهر بعد حادث الفيل بخمسين يوما وهذا ما عليه أكثر علماء

---

(١) انظر السيرة الحلبية جـ١ صـ ٦٨ والسيرة النبوية للزينى دحلان بهامش الحلبية جـ١ صـ ٣٨ .
(٢) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .
(٣) انظر شرح الإمام ابن حجر الهيثمى على متن الهمزية فى مدح خير البرية صـ ٢٦ ط التقدم .
(٤) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه عن سيدنا جابر وسيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهم .
(٥) انظر الطبقات الكبرى للإمام محمد بن سعد جـ ١ صـ ١٠٠ .

السيرة [١] .

وهو يوافق سنة ٥٧١ ميلادية بميلاد المسيح عليه السلام هذا عن الزمان .

أما عن المكان : فالقول المشهور لدى العلماء أنه ولد بمكة بشعب بنى هاشم بزقاق يعرف بزقاق المولد بالدار التى وهبها النبى ﷺ عقيل بن أبى طالب - كما نقل الشامى عن ابن الأثير - فلم تزل بيد عقيل حتى توفى فكانت بين أولاده إلى أن باعوها لمحمد بن يوسف أخى الحجاج بمائة ألف دينار [٢] فأدخلها فى داره وصارت تعرف بدار ابن يوسف .

أيها الأحباب ، هذا عن الزمان والمكان الذى ولد فيه رسول الله ﷺ وأرى لزاما على أن أنتقل بحضراتكم إلى الحديث عن وضع الحبيب المصطفى وما يتعلق بذلك من حديث فصلوا على صاحب المولد المبارك ﷺ .

ففى تلك الليلة الغراء التى تفتحت فيها أبواب السماء وغمر الكون بالضياء ، كان العالم كله فى ترقب لمطلع الفجر حيث توالت الأنبياء والأخبار وبشريات الواقفين على ظهوره من كتب السماء . وكان كل شىء يقف عند نقطة الانتظار بيد أنه بدنو النور لم تحتمل طباع الأشياء وعاداتها شدة اقترابه . فكانت الخوارق والآيات والإرهاصات كلها إيذانا بالميلاد ولم تكن ميلادا فقط لبشرية نبى الإنسانية بل كأن العالم قد ولد معه من جديد إذ رأى فيه قوام حياته وروح جوده وهويته وجوهريته إنها البشائر تترى :

فعن سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه أنه قال : والله إنى لغلام يفعة ابن سبع أو ثمان سنين أعقل ما سمعت إذ سمعت يهوديا وهو على أطمة يثرب يصرخ : يا معشر اليهود . فلما اجتمعوا قالوا : ويلك مالك ؟؟ فقال : طلع نجم أحمد الذى يبعث - الليلة [٣] . وعن سيدنا عثمان بن أبى العاص أنه قال : حدثتنى أمى أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله ﷺ ليلة ولدته قالت : فما شىء أنظر إليه فى البيت إلا نور

---

(١) انظر السيرة الشامية جـ١ صـ٤٠٤ والروض الأنف جـ١ صـ ١٨٤ .
(٢) انظر السيرة الحلبية جـ١ صـ ٧٣ .
(٣) رواه الحاكم فى المستدرك جـ ٣ صـ ٤٨٦ والبيهقى فى دلائل النبوة جـ١ صـ ٤٨ .

وإنى لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إنى لأقول ليقعن علىّ [١] .

وزاد الإمام الشامى على هذا فى روايته - فلما وضعته خرج منها نور أضاء له البيت والدار حتى جعلت لا أرى إلا نورا [٢] إنه النور الذى غمر كل شىء فتنور به كل شىء . تلكم هى بعض الآيات والإرهاصات إبان مولده ﷺ .

أيها الأحباب ، منذ قليل أخبرنا سيادتكم بأن المصطفى ﷺ ولد بعام يسمى بعام الفيل فما هى قصة ذلك الفيل نقول وبالله التوفيق :

إن قصة هذه الحادثة : أن أبرهة الأشرم ملك اليمن قد رأى الناس يتجهزون أيام الموسم لحج بيت الله الحرام فهاله ذلك فبنى كنيسة بصنعاء لم ير مثلها وسماها القليس ، وكتب إلى النجاشى قد بنيت لك كنيسة وأريد أن أصرف حج العرب إليها ، فجاء رجل من بنى كنانة فأحدث فيها ولطخ قبلتها بعذرة ، وجمع جيفا فألقاها بها ثم خرج فلحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟

فقيل له : هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك : أصرف إليها حج العرب ، فغضب لذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت فيهدمه ولينقض الكعبة حجرا حجرا . وكتب إلى النجاشى يخبره بذلك . وسأله أن يبعث إليه فيله (محمودا)ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار ومعه الفيل فى ستين ألفا [٣] فلما سمعت العرب بخروجه - فظعوا به ورأى جهاده حقا عليهم إعظاما لبيت الله الحرام ، وقد اعترضه بعض أشراف اليمن مع أحد ملوكهم - يقال له ذو نفر فهزمه أبرهة كما عرض له - بأرض خثعم بعض قبائل العرب بقيادة نفيل بن حبيب الخثعمى فهزمهم أيضا كما هزم من اعترضه بالطائف من رجال ثقيف مسعود بن معتب الثقفى وبعثوا معه من يدله على طريق مكة - وهو أبو رغال الذى أنزله المغمس بطريق الطائف ومات به فجمعت العرب قبره فهو القبر الذى يرجمه الناس بالمغمس [٤] .

---

(١) رواه أبو نعيم والبيهقى والطبرانى .
(٢) انظر سبل الهدى والرشاد جـ١ صـ٤١١ ودلائل النبوة لأبى نعيم جـ١ صـ ٤٠ نشر عالم الكتب بيروت .
(٣) انظر شرح سيدى محمد الزرقانى على المواهب اللدنية جـ١ صـ ٨٣ .
(٤) انظر سيرة ابن هشام مع الروض الأنف جـ ١ صـ ٦٧ .

فلما كانوا بالمغمس على ستة أميال من مكة بعثوا بمقدماتهم إلى مكة فاستاقت خيل أبرهة نعما وهى إبل قريش وغنمها وأصابت فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم[1] وهنا: حيث وقع الاعتداء على مال جد رسول الله ﷺ مع الشروع فى الإقدام على غزو حرم الله الأمين - يحين سطوع إرهاصات النبوة المحمدية . ويأتى دور الخوارق- حيث لا طاقة لقريش بهذا الغزو .

وسيدنا عبدالمطلب عندئذ قد ركب فى قريش حتى طلع جبل (ثبير) فاستدارت دارة غرة رسول الله ﷺ على جبهته كالهلال واشتد شعاعها على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبدالمطلب إلى ذلك قال: يا معشر قريش: ارجعوا فقد كفيتم هذا الأمر . فوالله ما استدار هذا النور منى إلا أن يكون الظفر لنا !! فرجعوا متفرقين .

ثم إن أبرهة قد بعث رسولا من قومه إلى مكة - بين يديه ليدخل الرعب على قريش ويوطئ لهدم البيت . فلما دخل مكة ونظر إلى وجه عبدالمطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما أفاق: خر ساجدا لعبد المطلب وقال أشهد أنك سيد قريش حقا ، وفى النهاية ردت لعبدالمطلب إبله وحفظ الله بيته وتلك بشرى سيدنا عبدالمطلب عندما قال لأبرهة: إن البيت له رب يحميه حقا فقد تكفل رب البيت بحماية البيت فسلط الله جنودا من قبله وقد تكفل القرآن الكريم بتصوير هذا النصر العظيم لبيته الآمن إن شاء الله رب العالمين ، وذلك فى سورة من سور القرآن الكريم ألا وهى سورة الفيل استمعوا إلى قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [2] .

هكذا نرى النصر لبيته سبحانه وتعالى حفظ الله بيوته فى الأرض وأتم فرحتنا بنصرة المسجد الأقصى وتخليصه من أيدى المعتدين الظالمين إخوة القردة والخنازير آمين يارب العالمين .

أيها الأحباب ، ولما ولد رسولنا الأعظم ﷺ فرح به جده عبدالمطلب فيذكر علماء

---

(١) انظر سيرة ابن هشام والبيهقى فى دلائله جـ ١ صـ٥٨ .
(٢) سورة الفيل .

السيرة أن مولاتنا السيدة آمنة لما ولدت الحبيب المصطفى ﷺ أرسلت إلى جده سيدنا عبدالمطلب فجاءه البشير وهو جالس فى الحجر معه ولده ورجال من قومه فأخبره أن آمنة ولدت غلاما ، فسر بذلك عبد المطلب وقام هو ومن معه فدخل عليها فأخبرته بكل ما رأت وما قيل لها ، وما أمرت به أن تسميه فأخذه عبدالمطلب فأدخله الكعبة وقام عندها يدعو الله ويشكر ما أعطاه قال الإمام الواقدى فأخبرت أن عبدالمطلب قال يومئذ :

الحمد لله الذى أعطانى ::: هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان ::: أعيذه بالبيت ذى الأركان
حتى أراه بالغ البنيان ::: أعيذه من شر ذى شنآن

من حاسد مضطرب العيان [(١)] ولما كان اليوم السابع من ولادته ﷺ ذبح عنه جده ودعا له قريشا فلما أكلوا قال: يا عبدالمطلب أرأيت ابنك هذا الذى كرمتنا على وجهه ، ما سميته ؟

قال: سميته محمدا قالوا: فلم رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال: أردت أن يحمده الله تعالى فى السماء وخلقه فى الأرض[(٢)] يا أحباب الحبيب المصطفى وإذا كان سيدنا عبدالمطلب قد سمى المصطفى ﷺ محمدا فإن لحضرة المختار أسماء كثيرة وإن كثرة الأسماء لتدل على شرف المسمى وليس هناك على ظهر الأرض أشرف منه ﷺ ، وهذه الأسماء تكفل الكتاب العزيز وسنة البشير النذير بذكرها وهذا ما سوف نلتقى به معكم فى مثل هذا الموعد من الأربعاء القادم بمشيئة الله تبارك وتعالى :

وفى النهاية لا يفوتنى أن أضرع المولى جل علاه أن ينفعنا بالسيرة العطرة وأن يمن علينا بالسير على أخلاق صاحب السيرة وآله وأصحابه بمنه وكرمه إنه ربى نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير ولا يفوتنى أن ألفت أنظار حضراتكم إلى ضرورة اصطحاب أبنائنا الصغار إلى المسجد ليستفيدوا معنا من تلك السيرة وتلك الدروس وأن نعلمها لنساءنا لينهلوا من معينها وبذلك نحظى ببيت طيب قائم على مرضات الله

---

(١) انظر الطبقات الكبرى للإمام ابن سعد جـ ١ صـ ١٠٣ ثم دلائل البيهقى جـ ١ صـ ٥١ .
(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقى ج١ ص ٥٢ والسيرة الشامية ج١ ص ٤٣٧ .

ورسوله وفقكم الله إلى مرضاته وأستودكم الله الذى لا تضيع ودائعه وإلى أن يجمعنا بكم المولى عز وجل لنلتقى فى بستان العلم وحدائق الإيمان وصلى اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين والله تعالى أعلى وأعلم .

****

خاتمـــة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا ومولانا محمد سيد العرب والعجم . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ألوا البر والإحسان ، والفضل والخير والتقى رضى الله عنهم وأرضاهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فيا أحباب الحبيب المصطفى ﷺ . أشكر ربى عز وجل فى امتنانه علىَّ بإكمال هذا العمل والذى رغبة المخلصين من عباد الله المؤمنين وقد حرصنا بحمد الله وتوفيقه على إخراجه موثقا من الكتاب والسنة ، وأمهات كتب التراث حتى لا يحار القارئ فى آية أو حديث أو أثر أو حكم من أين جئنا به لأن العلم أمانة ومسؤولية كما حرصنا أن تكون مواضيع هذا الكتاب معالجة لأهم القضايا والمسائل وليدة العصر .

والله أسأل أن يعيننا على إكمال بقية الدروس وذلك فى الأجزاء المقبلة إن شاء الله عز وجل .

هذا وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء الأول من الدروس يوم الخميس لعشر خلون من شهر الله الحرام رجب الفرد الأصم لعام ألف وأربعمائة واثنين وعشرين من هجرة أشرف الخلق ومولانا محمد ﷺ .

وهو الموافق للسابع والعشرين من شهر سبتمبر لعام ألفين وواحد من ميلاد عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم والحمد لله رب العالمين . وصلى اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * * * * * * * *

تقاريظ السادة الدعاة

أخى المؤمن الكريم وبعد الفراغ من هذا الكتاب شرَّفنا جماعة من أصحاب الفضيلة العلماء لهذه التقاريظ النيرة .

تقريظ فضيلة الشيخ / عبده حسن عرب والذى شرفنا بقوله :

الحمد لله الذى علم بالقلم علَّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الحبيب الأكرم والرسول الأعظم وعلى آله وصحبه أهل العزائم والهمم الذين كتب الله لهم النجاة والسلامة فى الآخرة ووعدهم بالرضا والخلود فى دار السعادة والنعيم .

وبعد ،

فلقد وجدت فى هذا الكتاب حينما دُعيت لإلقاء نظرة عليه وتصفحته فوجدته جديرا بالاطلاع وقد اشتمل على حكم سامية ونصائح غالية تحث على الزهد فى الدنيا وتبعث فى العمل للآخرة من خلال درس الأربعاء فى السيرة والأخلاق ، وإن المتصفح لهذا الكتاب ليشهد له بسعة الاطلاع وعلو الهمة والغوص فى بحار المعرفة وبطون الكتب لاستخراج الدرر الثمينة النفيسة فى أحكام الأسرة والتفسير الواضح المنير والحديث النافع المبسَّط والفقه الإسلامى الذى لا تعقيد فيه ، والتوجيه الدينى والسلوك الأخلاقى وإنه لجدير بحق أن ينشر فى الأمصار لينتفع به من فى الأقطار وهو خير زاد لمن ليس لديه زاد فى التفسير والحديث ، والفقه والتوجيه والإرشاد . ولقد وجدت فى درس الثلاثاء (درس الفقه) لمحات فقهية جديرة بالتقدير . حيث اختار مؤلفه فضيلة الشيخ أستاذى ومعلمى / عاشور محمود أيوب لنفسه طريقة خاصة تعنى بالسنة أيما عناية وتختار من آراء . أصحاب المذاهب الأربعة ما تطمئن إليه النفس مع التشدد أحيانا بالأخذ بالأحوط من هذه الأراء والأقوال . ولما قرأت النسخة الخطية بعد كتابتها وجلست مع مؤلفها عجبت من أمور :

١ - أن هذا العالم الجليل ربى نفسه بنفسه مع إكباره وإجلاله لشيوخ وعلماء الجيل الماضى كان لاتصاله بهم أثر كبير فيما اتجه إليه .

٢ - أنه ليس فى عالم التأليف ممن عرفتهم المطابع والمكتبات ومع ذلك إذا

اطلعت على الكتاب كان لك أن تضعه بين كتب المجربين من كبار الكتاب والمؤلفين .

٣ - حينما كنت أناقشه فى موضوع أو حكم كنت أفتح باب المناقشة ثم أتعمد تركه يتكلم وحده مدافعا عن رأيه ، ولقد كان فضيلته دائما يرد آراءه فى المسألة إلى أقوال ومذاهب مما يدل على اطلاع جامع وعلى هضم لهذه الأقوال وعلى فقه لأسبابها . وهذا كله لا يتسير لكثير من الكاتبين .

٤ - وفى النهاية . لا يسعنى إلا أن أشكر الله تعالى على توفيقه لشيخنا الفاضل على إعداده وعلى المجهود الكبير الذى بذل فى إتقانه .

أسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين وأن يجعله فى ميزان حسناته يوم الدين . آمين . آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

عبده حسن على عرب إمام وخطيب ومدرس

مسجد / الرحمة بمنشأة علوان

مركز رشيد / محافظة البحيرة

* * * * * * * * *

تقريظ بقلم الأستاذ / محمد حسن قنديل حيث قال فضيلته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ،

فماذا يقول المرء وهو واقف أمام بحر من العلم لا ساحل له أبحر بنا فيه عالم جليل من علماء مدينة رشيد لنحيا فى رياض نسمات مباركات تفيض علينا من رحاب مسجد سيدى / على المحلى . لقد أخذ بأيدينا فضيلة الشيخ / عاشور أيوب - أحد العلامات البارزة فى رشيد ليعرض علينا نتاجا علميا خرج من القلب فوصل إلى قلوب عشاقه ومحبيه . وكيف لا . . . . وقد جمع بين الأصالة والمعاصرة . فبينما نعيش من خلال عرضه للموضوع مع السلف الصالح فى حياتهم التى كانت تطبيقا للكتاب والسنة إذ به يضع أيدينا على مواطن القصور فى عصرنا ومجتمعاتنا محاولا قدر جهده أن يرفع الغبار من فوق العيون ليعيد المسلم إلى عصر الإسلام الأول ، إن هذا الكتاب يعتبر تواصلا لجهد صاحبه فى مجال الدعوة إلى دين الله ، فالرجل لا يألوا جهدا فى تبليغ الرسالة التى أُنيطت بعنقه وأداء الأمانة التى كلف بها سواء بلسانه أو بقلمه وإن شئت فقل بسلوكه وفعله .

وقد أتحفنا فى هذا الكتاب بجواهر مرصعة من تراث الإسلام المجيد فمرة يصحبنا فى رحله إيمانية مع كتاب الله ليربى النفوس على هدى ربها ، ومرة يفيض علينا من ينابيع الحكمة النبوية لنسعد بهدى الرسول وسنته ، ومرة يأخذ بأيدينا إلى رحاب الفقه الإسلامى الواضح الذى لا مشقة فيه ولا حرج لنرى عن قرب سماحة الدين ويسر تعاليمه وصلاحيته لكل زمان ومكان منذ نزول الوحى وإلى قيام الساعة ، وتارة يصحبنا فى رحلة الشوق والحنين لنعيش مع رسول الله ﷺ سيرته وحياته والتى كانت واقعا ملموسا ونموذجا مشرفا لتعاليم القرآن الكريم ولقد كانت معالجة شيخنا لأحكام الأسرة أمرا يدعو للفخر وكيف لا ؟ وكلماته شاهد حق يعلو صوته فى سماء الدنيا ليدحض أقوال أولئك الأفّاكين الذين يدَّعون أن الإسلام لا يصلح لهذا العصر لأنه غير

قادر على حل مشكلاته فتأتى كلمات هذا الكتاب بلسما شافيا لكل أدواء المجتمع .

وأخيرا فالكتاب رسالة إلى العلماء والدعاة بالأزهر والأوقاف وكأنه دعوة من وراء حجاب إلى أن يقتفى العلماء فى كل مجالسهم هذا المنهج الذى يتسم بالوسطية والاعتدال ويجمع بين الأصالة والمعاصرة ليلتف الناس حول العلماء من جديد . ولا يفوتنى أن أشير إلى تلك اللمسة الصوفية التى أضفت على الكتاب بهاءً وإشراقاً . ولا أملك إلا أن أسأل الله العلى القدير أن ينفع به كاتبه وقارئه والمرشد إليه وأن يرزق صاحبه الأجر الجزيل والذكر الجميل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

محمد حسن محمد قنديل / المعيد بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر الشريف بقسم الحديث النبوى الشريف وعلومه

* * * * * * * * *

تقريظ بقلم الأستاذ / خليل أحمد خليل حيث قال سيادته :

لقد قرأت النفحات فإذا هى آيات لامعات فى سير الشخصيات وكذلك هى قبسات منيرات أذكاها فضيلة الشيخ / عاشور لقد أعمل فكره وكد وجد فأبدع ووعى وجاءت هذه النفحات نجوما زاهرة ونظرات باهرة وسطورا ساطرة وأنت القارئ الكريم عندما تطالع النفحات وفنونها تجد التمكن المكين والعلم المتين فى كل فنون سواء أكانت شخصيات أو باب العبادات تجد الفهم الثاقب والبناء المتين وإذا عرجت إلى باب الفقه تحتار أهو مالكى أم حنفى بل تجد الفقه المقارن يطالعك وينتقل بك من زهرة إلى زهرة ومن فتوى تثلج الصدور وتبرد النحور وتجلب السرور وتضىء لك السرور . شيخ شرح فبرح ، فأفتى فأكدى ، وهذا يدل على طول باع وعلم غزير - تحس أنك أمام بحر متلاطم كل أمواجه تحملك إلى شاطئ الأمان فهنيئا لمن قرأها ووعاها ندعو للشيخ بالصفاء والنقاء وأن يسبغ عليه نعمه ظاهرة ونعمه باطنة بحق الله العليم .

أخوك / خليل سيد أحمد خليل - وكيل مدرسة إدفينا الثانوية

* * * * * * * * *

تقريظ بقلم الشيخ / محمد عبدالله تاج الدين حيث قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد صفوة الخلق وإمام المرسلين وعلى آله وأصحابه هداة الأمة الذين حملوا لواء الشريعة بين الخافقين فاهتدى بهم الضال واستقام بهم المعوج . وبعد :

فإن خير الكلام ما قل ودل ، وما خرج من القلب وقع فى القلب وما خرج من اللسان لا يتجاوز الأذان وقد تصفحت (نفحات من بيوت الله من خلال دروس المساء) الذى نظم عقدها فضيلة الشيخ / عاشور محمود أيوب إمام وخطيب مسجد العارف بالله سيدى على المحلى برشيد ، فوجدتها جوهرة ثمينة ودرة يتيمة وحلة فضفاضة يزدهى بها كل لالبس ، لقد جمعت (نفحات من بيوت الله) كل لفظ جميل ومعنى مستملح حيث غاص صاحبها على بحور البلاغة واستخرج منها أسمى جواهرها وأعلى لآليها وتجنب صاحبها حشو الكلام فلم يأت إلا بآية محكمة من الكتاب العزيز ، أو حديث صحيح من أحاديث سيد العرب والعجم .

وإن المتصفح لهذا الكتاب ليشهد لصاحبه بسعة الاطلاع وعلو الهمة والغوص فى بحار المعرفة وبطون الكتب لاستخراج الدرر النفيسة والجواهر الثمينة فى التوجيه الدينى والتفسير والحديث والفقه والسلوك الأخلاقى وإنه لجدير بحق أن ينشر فى الأمصار لينتفع به من فى الأقطار وهو خير زاد لمن ليس لديه زاد فى التوجيه والإرشاد وهو نور لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

أسأل الله تعالى أن ينفع به مؤلفه وقارئه وسامعه إنه سميع مجيب الدعاء .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم .

محمـــد عبـــد الله تـــاج الديـــن

إمام وخطيب ومدرس مسجد سيدى أبى العون الكبير

إدفينـا - رشيـــد - بحيـــرة

* * * * * * * * *

الفهـــــرس

الموضوعـــات	الصفحة



المنصورة ت / ٢٢٣٣٨٦٧